

الأجتهاد بالشيعة في اللغة المواقع ودلائله

الدكتور محمد حسن جبل

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية - جامعة القاهرة

مكتبة الجيزة العامة

Giza Public Library

مترجم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الشارع هوادى - القاهرة

ص ١٣٠ - ت: ٧٦٠٥٢٣

Giza Public Library



000048014 - 7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، واهتدى بهداه . وبعد

فقد تولدت فكرة هذا الكتاب في أثناء معالجة موضوع كتاب آخر هو « الاستدراك على المعاجم العربية » ، إذ اقتضى موضوع الاستدراك مواجهة قضية الاحتجاج اللغوي ، لأن النُطق التي ضربت حول معيار الاحتجاج كانت سبباً في إغفال كثير مما أجده المولّدون ، وطالب ذلك الكتاب باستدراكه .

• ولما كانت الدراسات التي تناولت موضوع الاحتجاج من قبل (•).

من الدراسات السابقة في موضوع الاحتجاج اللغوي :

- ١ - الاقتراح السيوطي ٢٧ - ٨٤ .
- ٢ - الخزانة للبندادي (هارون) ١ / ٥ - ١٧ .
- ٣ - شرح كفاية المتحفظ لمحمد بن الطيب الفامي ٩٥ - ١٠٤ .
- ٤ - القياس للشيخ محمد الخضر .
- ٥ - في أصول النحو . سعيد الأفغاني ٦ - ٧٦ .
- ٦ - الشواهد والاستشهاد في النحو . عبد الجبار علوان .
- ٧ - الرواية والاستشهاد باللغة د . محمد عيد ٩٩ - ٢١٨ .
- ٨ - الشاهد وأصول النحو في كتاب سيويو خديجة الحديثي ١٠ - ١١٥ .
- ٩ - الشواهد النحوية د . أحمد ماهر القمري .
- ١٠ - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف د . خديجة الحديثي .
- ١١ - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي د . فتحى الدجنى .
- ١٢ - أصول النحو العربي . محمد خير الحلواني .
- ١٣ - أصول النحو العربي في نظر النحاة ، ورأى ابن مضاء ، وضوء علم اللغة الحديث د . محمد عيد .
- ١٤ - القواعد النحوية: مادتها وطريقتهما . د . عبد الحميد حسن .

لم تقف عند تفصيل معنى الاستشهاد اللغوي ، أو مدى الالتزام بالنطق المضروبة حول معياره - ربما لأن أطر تلك الدراسات لم تستدع ذلك ، فقد أصبح لزاما أن أقوم أنا بذلك التفصيل وبحث مدى الالتزام حتى تنجلي الحقيقة في موضوع الاحتجاج اللغوي بكل أبعاده ، ولتقوم الأحكام المستخلصات في هذا الموضوع بعد ذلك على أسس علمية .

● ولما كان الشعر هو أبرز (١) ما احتج به من كلام العرب في تقرير التحديدات والضوابط اللغوية في مستويات الدرس اللغوي - الأصوات ، والصيغ ، والتركيب ومتن اللغة والدلالة ، فقد قصرت البحث في مدى الالتزام بنطق الاحتجاج عليه ، هذا مع العلم بأن ما يصدق على الشعر قد يصدق على غيره من كلام العرب في هذا المجال .

● وقد اقتضى تأصيل الدراسة - ببيان وجه الحاجة إلى الشواهد في تقرير الأحكام اللغوية - أن نقف عند موضوع السليقة اللغوية ، لأنها أحد الأسس المهمة لكون الاستشهاد اللغوي ضروريا ، وقد أطلنا تلك الوقفة ، لأن مسألة السليقة اللغوية هذه صارت موضع جحد عند المحدثين (٢)

(١) عدد شواهد « الكتاب » الشعرية ألف وخمسون شاعدا ، وعدد الأمثال مع الأساليب والنماذج النحوية (أعنى الشواهد النثرية) الواردة في الكتاب ثلاث مئة وخمسون . هذا عن كلام العرب . أما القرآن الكريم فعدد الآيات المستشهد بها في « الكتاب » أربع مئة وسبع وأربعون آية ، والأحاديث الشريفة فيه ثمانية (كل ذلك إحصاء من فهارس « الكتاب » للعلامة عبد السلام هارون) أي أن هناك (١٠٥٠) شاعدا من الشعر مقابل (٨٠٥) شواهد من كل ما عداه . فإذا اتخذنا « الكتاب » مثلا للمؤلفات اللغوية - وإنه كذلك في غير متن اللغة والدلالة - فإن هذا البيان لتوعيات الشواهد ، وعدد كل منها فيه ، يثبت اعتماد الأحكام اللغوية في جمهورها الأعظم - على الشعر .

(٢) انظر مثلا اللغة العربية المعاصرة د . محمد كامل حسين ٥٨ - ٦٦ .

ومن هنا فقد رتب الكتاب على الأبواب التالية :

ب الباب الأول : السليقة اللغوية ، وحققها في تحديد معالم الصواب اللغوي ، وفيه عرفت بالسليقة اللغوية ، وميزت بين سليقة اللغة وسليقة اللاغى ، وأصلت ما تميزت به العربية من قوة السليقية ، مما كان له أثره في قوة سليقية أهلها ، ثم عقدت فصلا لإثبات سليقية الصواب اللغوي عند عرب عصر الاحتجاج ، وختمت الباب بفصل عن ضرورة الاحتجاج بالشواهد في الأحكام اللغوية بينت فيه قيام هذه الضرورة على حق السليقة ، وعلى الحفاظ الوطنى والقومى ، والاعتزاز الحضارى ، والغيرة الدينية .

أما الباب الثانى : « الشاهد ومعنى الاستشهاد » ، فقد وقفت فيه عند معنى الشاهد ، وأنواع الشواهد ، وتأصيل استعمال كلمة شاهد في معناها الاصطلاحي ، ثم عند تفصيل التعريف الاصطلاحي للشاهد اللغوي ، وبيان صور ما يدخل في تعريفه .

• ولما كان الهدف من الشواهد اللغوية هو إثبات أن الجزئية اللغوية المستشهد لها عربية حقيقة ، فقد عقدت الباب الثالث لبيان « معيار عروبة الكلام » التى تجعله موضعاً للاحتجاج به ، وتفصيل النُطق التى ضربت لضمان عروبه هذه : من قبلية ، ومكانية ، وزمانية ، ومشاركة .

• وأما الباب الرابع فقد عقدته لبيان « أثر نُطق الاحتجاج » ثم مناقشتها وقدمت - لبيان الأثر - صورة عامة ، وأخرى تفصيلية واقعية للالتزام اللغويين فى مؤلفاتهم بنُطق الاحتجاج ، مشيراً فى أثناء ذلك إلى ما جره الالتزام بتلك النطق من إهدار لما استجد - وراء تلك النطق - من الثروة اللغوية ، ومن ثم انتقلت إلى مناقشة تلك النطق حيث بينت ما فيها من تعميم وتشدد ، أدبياً إلى إهدار ما أهدر .

- وأما الأبواب الخامس والسادس والسابع فقد عقدتها لعرض ما وقع من الأئمة اللغويين من تجاوز - فى احتجاجاتهم اللغوية - لنُطق الاحتجاج

إحساساً منهم بما شاب نطق الاحتجاج - من ناحية ، واعترا فأمهم بضرورة النمو والتطور للغة - من جانب آخر ، وفقها لطبيعة العربية من جانب ثالث . فكان الباب الخامس لتجاوز النطاقين القَبَلِي والمَكَانِي حيث أشرت إشارات محددة إلى ما وقع من احتجاجات بشعر شعراء من القبائل التي قيل إن اللغة لم تؤخذ عنها ، وبشعر شعراء من المناطق التي قيل إن اللغة لم تؤخذ عن أهلها . وخصّص الباب السادس لأخطر هذه التجاوزات قدراً وهو تجاوز النطاق الزمني : حيث عرضت - بتفصيل كاف - كثيراً مما وقع من الاحتجاجات بشعر شعراء أواخر النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وما بعده حتى القرن الخامس . وقد حرصت ألا أختصر في عرض هذه الاحتجاجات ، حفاظاً لحق القارئ في أن تكون الصورة أمامه كاملة ، يستطيع أن يفحصها دون أن يضطر للرجوع إلى أصولها من أجل ذلك الفحص ، وليكون الاقتناع في آخر الأمر راسخاً إن شاء الله تعالى ، وقدمت لكل شاعر (١) بما قيل في فصاحته ومستوى شاعريته ، مما يوجه احتجاج الأئمة بشعره . أما الباب السابع فهو يكاد يكون عرضاً لوجه آخر مما في الباب السادس ؛ إذ عينت فيه الأئمة الذين احتجوا بشعر الموالدين محدداً . ووضح الاحتجاج في مؤلفاتهم - مع عرض واحد من تلك الاحتجاجات لكل إمام . ثم إن ما عرضته في البابين من الاحتجاجات كان في مجالي متن اللغة وما إليه ، والنحو وما إليه ، على السواء ، مع التمييز بين النوعين . وكذلك في سائر الأبواب ماعدا الباب الخامس ، حيث كانت الأمثلة التي حددناها من مجال متن اللغة فحسب .

- وأما الباب الثامن والأخير « تحقيق واستخلاص » فقد خصصت للفصل الأول منه لمواجهة كل الشبهات التي قد تثار حول كون تلك الاحتجاجات بشعر الموالدين هي احتجاجات حقيقية فعلاً ، وأنها تمثل نسبة ذات اعتبار . وقفت فيها وقفات مطولة عند خمس مسائل : الأولى :

(١) ما عدا مطيعاً والتميمي وعقيل بن بلال .

مدى انطباق تعريف الشاهد على تلك الاحتجاجات ، والثانية : مدى حُجّية الأخذ بتوثيق إمام ما لأحد الشعراء أو احتجاجه بشعره ، والثالثة : دلالة صيغة عبارة الإمام عند سوقه الشاهد من شواهد المولدين تلك ، والرابعة : مدى منهجية اللغويين الذين احتجوا بشعر المولدين ، والخامسة : حجم هذه الاحتجاجات ونسبتها إلى مجموع شواهد كتاب سيبويه ، وهو يمثل أكبر مجموعة للشواهد تقريبا .

وأخيراً خصصت الفصل الثاني لاستخلاص دلالة الاحتجاجات الكثيرة بشعر المولدين . وهى أنه مادام قد تم وضع قواعد اللغة وأصولها ومقاييسها أخذنا من نتاج عصر الفصاحة السليبية ، - فإن قبول ما يستجد فى اللغة بعد ذلك ينبغى أن يناط باتساقه مع تلك الأصول والمقاييس - مع الثقة فى فصاحة قائله . وذلك بصرف النظر عن كونه من المولدين ، وبينت أن هذه هى أيضا دلالة عمل الرواة والشرح الذين رَووا شعر المولدين وشرحوه . وأخيرا بينت أن هذا هو الاتجاه الذى أخذ به مجمع اللغة العربية المصرى فى معاجمه الثلاثة . وإن كان هذا الكتاب يؤصل عمل المجمع ، ويفسح المجال لمراجعة كل مدونات المولدين لالتقاط ما يمكن أن يكونوا أجدّوه فى اللغة .

وبعد ، فإن العلم أمانة ومسئولية ، وإذا اقتنع الباحث برأى أو أمر - بعد البحث العلمى الجادّ المخلص ، فمن واجبه أن يصدع به ، مهما كان فى الجانب الآخر ما يضاده مما لا يهزّ اقتناعه ، وإلا كان خائنا لتلك الأمانة . ومن هنا قال ابن جنى : « ومن وجد مقالا قال به ، وإن لم يسبق إليه غيره » (١) وقال : « فكل من فُرّق له عن علّة صحيحة ، وطريق نهج كان خايل نفسه ، وأبا عمرو فكره » . ثم رسم ابن جنى ضمانات ذلك الموقف بقوله : « إلا أننا - مع هذا الذى رأيناه وسوغنا مرتكبه - لانسمح

(١) الخصائص ٢ / ١٥٥ .

له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها ، وتالت أواخر على أوائل . . . إلا بعد أن يناهضه إيقاناً ، ويثابته عرفاناً . . . فإذا هو حذا على هذا المثال . . . أمضى الرأي فيما يريه الله منه غير معازٍ به ، ولا غاضٍ من السلف رحمهم الله في شيء منه . . . (١).

أقول هذا ، لأن هذا الكتاب فيه ما يبدو أنه مخالفة للقدمات في واحدة من أشهر مقرراتهم ، وفيه ما يخالف المحدثين في بعض اتجاهاتهم. إن حصيلة ما تخلص إليه بحوث هذا الكتاب هي ضرورة قبول ما أجده المولدون في اللغة . وهذا يبدو مخالفا لما أخذ به القدماء بصورة عامة من رفض ما أجده المولدون ، وذلك منذ بدءوا وضع المعاجم اللغوية إلى العصر الحديث . ولئن كان مجمع اللغة العربية قد قبل كثيراً مما أجده المولدون ، إلا أن ذلك ما زال يجري في نطاق الملتقطات المستثناة ، بينما هذا الكتاب يؤصل هذا الاتجاه من ناحية ، ثم يطالب بمراجعة دقيقة وشاملة لتتاج فصحاء المولدين ، حتى يُضمَّ جميع ما أجده ، ما دام ذلك لا يخرج على أصول مقررة أو قياس مطرد .

كذلك فإن هذا الكتاب يتكلم عن السليقة ، ويجعلها أحد مبررات الالتزام بسوق الشواهد التي تشهد للأحكام اللغوية ، وكذلك يتكلم عن العلاقة الإيجابية بين الألفاظ والمعاني في اللغة العربية . والأمران : السليقة والعلاقة لا يكاد يوجد من الدارسين المحدثين من يعترف بهما . لكننا برغم ذلك تناولنا السليقة ومجالات العلاقة بين الألفاظ والمعاني بما نرى فيه مقنعا لكل باحث منصف : غير حريص على الالتزام بآراء الأوربيين أو المتخففين .

(١) الخصائص ١ / ١٩٠ .

— ٩ —

— أسأل الله عز وجل أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً ، وأن يديم
النفع به . اللهم آمين .

طنطا في ٢٨ من ذى القعدة ١٤٠٦ هـ .

٣ من أغسطس ١٩٨٦ م

أ د . محمد حسن حسن جبل

كلية اللغة العربية بالمنصورة — جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بمكة المكرمة — جامعة أم القرى

٢.٢ د. محمد حسن جيل

الباب الأول

السليقة اللغوية

وحقها في تحديد معالم الصواب اللغوي

هذه اللغة العربية التي شرفنا الله بها كان العرب يتكلمونها صحيحة فصيحة بالسليقة منذ العصر الجاهلي - على ما تقضى به صورتها التي وصلتنا عن ذلك العصر . وقد استمرّت على تلك الصورة في مجملها قرونا عدة ، فلما آن أن توضع معايير الصواب اللغوي في جميع مستويات الدراسة اللغوية ليستعين بها الموالى وعرب الحضر ، استنبطت تلك المعايير من النتاج اللغوي لعرب تلك القرون ، بالإضافة إلى القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، واحتج لنفاصيها بشواهد من ذلك النتاج رعاية لحق السليقية وحق الدين .

وقبل أن نتكلم عن الشواهد ، أو نقدم ما يثبت سليقية الصواب اللغوي لدى أولئك العرب المتقدمين ، علينا أن نعرف بالسليقة ، وبالفروق بين العربية وغيرها في هذا المجال .

الفضل الأول

السليقة اللغوية

معنى السليقة :

والسليقة ليست معنى غيبياً ، ولا غائماً . فمن الحقائق العلمية أن الإنسان يخلق مزوداً بقدرة على الكلام تتمثل في مراكز في المخ للذاكرة اللغوية ، وللعمليات العقلية العليا ، وللقراءة والكتابة ، ولحركات النطق^(١) - وذلك بالإضافة إلى مراكز الحس والحركة الموجودة في أدمغة سائر الأحياء .

فهذه القدرة هي أساس السليقة التي نتحدث عنها ؛ ذلك أنه عندما يستوعب الإنسان قدراً صالحاً من لغة بيئته ، فإنه يصبح في وسعه أن يؤلف جملاً وعبارات لم يسمعها بذاتها من قبل ، وذلك هو الحد الأدنى من السليقة .

فقد فسرت السليقة (لغوياً) بالطبيعة والسجية (أى المخلُق أو الصفة الراضخة ، والمقصود هنا صفة القدرة أو المهارة اللغوية) « يقال فلان يتكلم بالسليقة أى ينطق بالكلام صحيحاً من غير تعلم . . . والسليقى العربى الذى ينطق بالكلام صحيحاً من غير تعلم . ومنه قول الشاعر :

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليقى أقول فأعرب » (٢) .

(١) انظر المعنى اللغوى ٩٨ - ١٠٣ والمراجع التى أشير إليها هناك .

(٢) هذا التعريف من المعجم الوسيط (سلق) ط ٢ ج ١ / ٤٤٥ وهو خلاصة ما فى اللسان والتاج ففيهما «السليقة الطبع/ الطبيعة والسجية . فلان يقرأ بالسليقة أى بطبيعته لا بتعلم/ بطبعه الذى نشأ عليه ولنته/ بطبيعته ليس بتعلم . وهو يتكلم بالسليقة أى عن طبعه لا عن تعلم . . » والسليقى من الكلام ما تكلم به البدوى بطبعه ولنته وإن كان غيره من الكلام أثر وأحسن » كما فسرت السليقة بالفصاحة ، وذكر البيت «ولست بنحوى . . .» وقيل فى تفسيره « أى أجرى »

فالسليقة إذاً هي قدرة أو مهارة لغوية راسخة في نفس صاحبها تمكنه من الأداء اللغوي الصحيح من غير تعلم .

والتعلم المنفي في كلامهم عن السليقة هنا هو التعلم المقصود في الكتب والمدرسة وما إلى ذلك . أما تعلم الطفل مثلاً بواسطة ما يسمعه أو يراه عفواً من والديه وأهل بيته فهو أهم روافد السليقة .

وهذه السليقة اللغوية التي ذكرنا تعريفها تقرب مما سماه ابن خلدون (١) « الملكة اللغوية » . فقد عرفت الملكة (بالتحريك) بأنها صفة راسخة في النفس ، أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة ، مثل الملكة العددية ، والملكة اللغوية (٢) .

« على طبعي ولا أحن » انظر ل (سلق) ١٢ / ٢٦ / ١٩ - ٢٣ وتاج العروس ٦ / ٣٨٣ / ١٩ - ٢٣ ، وبهذا يعلم أن المعجم الوسيط صرح في تعريفه السليقة بقيد الصحة « ينطق بالكلام صحيحاً » ومأخذ هذا القيد من كلام الأئمة القدماء تفسيرهم السليقية بالفصاحة ، وقولهم في تفسير البيت « أجرى على طبعي ولا أحن » . وأرى أن هذه الصحة في نطق الكلام ينبغي أن تتناول كل ما يجعل الأداء اللغوي صحيحاً كدقة استعمال الألفاظ في معانيها وسلامة التركيب والإعراب تبقى هنا كلمتان الأولى أن الليث قال في تفسيره للسليق من الكلام إنه « مالا يتعاهد إعرابه » وهو فصيح في السمع ، عثور في النحو» ل ١٢ / ٢٧ / ١ وهذا يناقض القيد الذي صرح به المعجم الوسيط وزكيته . والذي أراه أن قوله « لا يتعاهد إعرابه » وقوله « عثور في النحو » ليس من حد السليقة ولا شرطها ، وإنما هذا تنزيل منه لمعنى السليقية على ما أصبح يقع من السليقيين في عصره . وقد جاء تفسير للسليقية يتناول ما أراده الليث لكن بتعبير أدق وهو أنها « اللغة التي يسترسل فيها المتكلم على سليقته أي سجيته وطبيعته من غير تعمد إعراب ولا تجنب لحن » ل ١٢ / ٢٧ / ٣ - ٤ نعم من غير تعمد إعراب أو تعمد تجنب اللحن . لكن الإعراب رغم عدم تعمد التزامه قد يلتزم سليقية ، واللحن رغم عدم تعمد التحرز منه قد يتجنب ، وهذا ما نقصده .

- الكلمة الثانية : أن لفظ الطبيعة في تعريف السليقية لا يفهم منه ضرورة ما يوجد في الإنسان خلقة دون اختيار كالذي يولد أصم أو مختل العقل ، فيكون معنى السليقة العربية النطق بالعربية فطرة حتى لو ولد في غير بيئة عربية - هذا لا نقوله .

(١) انظر عن الملكة اللغوية وتربيتها في نظر ابن خلدون (مقدمة) (بتحقيق وافي) ١٢٦٤ - ١٢٦٦ ، ١٢٧٨ - ١٢٧٩ ، ١٢٨٥ - ١٢٩٠ .

(٢) المعجم الوسيط (ملك) ص ٨٨٦ .

- ١٥ -

وقد فصل ابن خلدون في الكلام عن الملكة اللغوية وكيفية تربيتها . (١) ،
والفرق بين الملكة وبين المفهوم القديم للسليقية - وهو المفهوم الذي قدمناه .
 ونتخذه - أن الملكة تربى بالتعلم المقصود وغير المقصود معا ، أما السليقة
 فلا تكون إلا بالتعلم غير المقصود (٢) . ثم إن السليقة أصل وأقوى
 من الملكة .

لقد ذكرنا منذ قليل أن تأليف الإنسان جملا وعبارات لم يسمعها بذاتها
 من قبل هو الحد الأدنى من السليقية ، ونضيف الآن أن هناك فوق
 ذلك درجات من السليقية يتفاوت اللاغون في بلوغها بقدر ما تسعفهم
 استعداداتهم وطبائع لغاتهم معا ، فإذا تهيأت للغة طبيعة تساعد على السليقية
واستوعبها اللاغى وتشبع بروحها - مع نصوع حسه اللغوى ، فإنه يترقى
 في السليقية بدرجاتها : من دقة التعبير ، ولحظ الفروق في التعبير بالألفاظ
 المتقاربة المعانى ؛ إلى استعمال التراكيب بشتى أنواعها - في مقاماتها
 - محكمة مضبوطة دقيقة الدلالة ، إلى ارتجال الألفاظ والعبارات -
 أعنى ابتكارها والتصرف فيها - لمعان جديدة أو قديمة ، ثم إلى أسلوب
 الحكمة وجوامع الكلم .

وقد أشار ابن جنى إلى المرحلة قبل الأخيرة هنا في قوله : « إنَّ
 الأعرابيَّ إذا قَوَّيْتُ فصاحتَه ، وَسَمَّتْ طبيعَتَه ، تصرَّفَ وارْتَجَلَ ما لمْ
 يسبقه أحد قبله به (٣) » وجاء بأمثلة كثيرة لذلك المرتجل (٤) .

(١) انظر المقدمة ص ١٢٧٩ ، ١٢٨٥ - ١٢٩٢ .

(٢) هذا استخلاص من تعريف المعاجم للسليقة وتعريف ابن خلدون للملكة .

(٣) الخصائص ٢/ ٢٥ .

(٤) انظر الخصائص ٢/ ٢١ - ٢٤ .

الفصل الثاني

سليقية اللغة العربية : قوتها ، وأساس هذه القوة وأثرها (١)

(سليقية اللغة وسليقية اللاغى) :

وقد يقال إنه بناء على ما ذكر من معنى السليقة ، فإن لدى أهل كل لغة قدراً من السليقية ، حيث يستطيعون أن يعبروا عما يشاءون بعبارات ربما لم يسمعوها من قبل ، وأقول نعم إلى هذا الحد . ولكننا أسلفنا أن هناك فرقاً في الدرجة ، ونضيف أن هناك فرقاً بين سليقية اللغة وسليقية اللاغى ، وأنه يترتب على هذا وذاك فرق أو فروق بين السليقية لدى أهل العربية ، والسليقية لدى غيرهم .

— فإذا كانت سليقية اللاغى — هي تعبير والطبيعي — غير المتكلف بتعلم أو غيره — أى الذى يشبهه (أرجاعه) (٢) غير المتكلفة إزاء ما يواجهه من المواقف المختلفة — أى عند ما « محس فيعبر » ، فإن صورة تحقق ذلك فى اللغة نفسها أن تكون العلاقة فيها بين الأشياء وأسمائها (٣) (أى بين المعانى والألفاظ)

(١) انظر ما أسلفناه من تعريف الملكة فى المعجم الوسيط ، وما أحلنا إليه من كلام ابن خلدون عن الملكة اللغوية وتربيتها .

(٢) الأرجاع جمع رجع (بالفتح) يقصد بها ما يسمى ردود الفعل أو الانعكاسات — نقلاً من الرجوع : جواب الصدى . وفضل جمع فعل هذا على أفعال — مع قلة مثله — للتمييز .

(٣) نستعمل هنا الأسماء بمعنى ألفاظ اللغة عامة . وهذا ليس غريباً ولا جديداً ، فقد قيل به فى تفسير قوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » (انظر مثلاً تفسير البيضاوى فى هذه الآية حيث قال ما خلاصته أن الأسماء تصدق على الأفعال والحروف ، وذلك إما من حيث المعنى الاشتقاقى اللغوى للاسم — وهو أنه ما كان علامة للشيء ، ودليلاً يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال ، وأما من حيث المعنى العرقى له وهو أنه اللفظ الموضوع لمعنى — وهو يعنى أيضاً ، كما أن هذا المعنى للاسم يستلزم المعنى الأول (البيضاوى على هامش حاشية زادة ٢٤٧/١ — ٢٤٨ ، وانظر كذلك التعليلات فى الحاشية المذكورة على كلامه) وجاء معنى ذلك أيضاً فى المزهى ، وزاد معللاً لشول الأسماء فى الآية الأفعال والحروف « عدم القابل بالفصل (أى بين الأسماء من ناحية والأفعال والحروف من ناحية أخرى) ، وأن الأفعال والحروف أيضاً أسماء ، وأن الاسم ما كان علامة (— على ما قال البيضاوى) والتمييز (بين الأنواع الثلاثة) من تصرف النحاة لامن اللغة ، وأن التكلم بالأسماء وحدها متعذر » اهـ المزهى ١٧/١ بتصرف يسير .

(م ٢ — الاحتجاج بالشعر فى اللغة)

مباشرة وطبيعية ؛ أى أن تكون الأسماء (= الألفاظ) معبرة عن ملاحظ
موجودة فعلا في الأشياء ، لأنه في هذه الحالة تكون الأسماء (= الألفاظ)
تعبيرات سليقية غير متكلفة ، كأنها أرجاع أو أصداء لما أحسه المعبر
من ملاحظ في المسميات فسمها بها ، أى أنه « أحس فسمى » . وهذا
عين السليقية في اللغة نفسها .

أما في حالة كون الألفاظ رموزاً عشواء للمعاني ، وضعت باصطلاح
أو شبهه - على ما هو الرأى السائد لدى علماء الغرب (١) - وقد يكون
كذلك في لغاتهم ، ولكنه لا يلزمنا في لغتنا - فإن هذا هو التكلف بعينه
وهو أبعد ما يكون عن السليقية ، لأنه أبعد ما يكون عن الطبيعية ؛ إذ ليس
هناك - على زعم القائلين بهذا - إحساس بمعنى أو ملاحظ ، وبالتالي
فليس الاسم تعبيراً عن معنى أو ملاحظ .

(قوة السليقية في اللغة العربية وأساسها) :

وإذا صح هذا البيان لسليقية اللغة - وإنه لصحيح ، فإننى
أزعم أن العربية هي من أقوى اللغات سليقية - إن لم تكن أقواها .
ذلك أنه قد توفرت لها تلك العلاقة الحقيقية المباشرة بين الأسماء والأشياء -
أى بين الألفاظ والمعاني . وذلك في عدة صور على ما يلي :

(١) الصورة الأولى لتلك العلاقة هي أن ألفاظ العربية معلّاة ،
أى أن تسمية الأشياء والأحداث بأسمائها أى بالألفاظ الدالة عليها وقعت
لعل . فلم يطلق اللفظ على مسماه عبثاً أو عشوائياً ، وإنما أطلق
تعبيراً عن ملاحظ في الشيء المسمى - اتُّخذ ذلك الملاحظ علامة عليه ،
ثم صار اللفظ المعبر عن ذلك الملاحظ اسماً لشيء كانه ، من حيث إنه
يذكر العلامة التى تميزه . وقد أشرنا إلى ذلك منذ قليل .

- وتعليل الأسماء هذا صرح به ابن الأعرانى (المتوفى ٢٣١ هـ)
- وهو من أئمة اللغويين - فقال : « الأسماء كلها لعل لخصت العرب
ماخصت منها . من العلل مانعلمه ، ومنها مانجهله . وذهب إلى أن مكة

(١) انظر لغات البشر ماريوباي ترجمة د. صلاح العربى ص ٢ ، وانظر تاريخ علم اللغة
منذ نشأته حتى القرن العشرين جورج موتين ترجمة د. بدر الدين قاسم ص ٦٨ ، وكذلك
« من أسرار اللغة » د. ابراهيم أنيس ط ٦ ص ١٤٤ ثم ما قبلها وما بعدها .

سميت مكة لجذب الناس إليها ، و . . . ، ثم قال : « فإن قال قائل لآى علة سمى الرجل رجلاً والمرأة المرأة . . ؟ قلنا : لعل علمتها العرب وجهلناها أو بعضها ، فلم تزل عن العرب حكمة العلم ، بما لحقنا من غموض العلة ، وصعوبة الاستخراج علينا (١) » .

- وقال مرة أخرى - بشأن المعنى الخاص لكل من المترادفين ، وهو الملاحظ الذى سميناه علة التسمية : « ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله (٢) » . وفى هذه النقطة الأخيرة قال ابن جنى : « وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها فى الزمان عنا ، ألا ترى إلى قول سيبويه « أو اعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر » يعنى أن يكون الأول الحاضر شاهداً الحال ، فعرف السبب الذى له ومن أجله وقعت عليه (أى على الحال أو الشيء) التسمية ، والآخر - بعده عن الحال - لم يعرف السبب للتسمية (٣) » .

- وكون الأسماء معللة ليس مذهب ابن الأعرابى وحده ، ولا سيبويه وابن جنى معه فحسب ، بل هو أمر مجمع عليه عند أئمة اللغويين ، وقد شارك كل منهم بجهد فى الصورة التطبيقية للتعليل - وهى الاشتقاق ، ولكثيرين منهم مؤلفات خاصة فيه (٤) . قال ابن فارس : « أجمع أهل اللغة - إلا من شذ عنهم - أن لغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض (٥) » والقياس فى كلامه هنا هو التعليل بعينه (٦) .

(١) المزمهر ١/٤٠٠ .

(٢) نفسه .

(٣) الخصائص ١/٦٦ وهو يشير إلى قول سيبويه حين تعرض عبوراً لمسألة التسمية والمعنى المشتق منه فقال : « فإن كان (يعنى الاسم) عربياً نعرفه ، ولا نعرف الذى اشتق منه فإنما ذاك لأننا جهلنا ما علم غيرنا ، أو يكون الآخر لم يصل إليه علم وصل إلى الأول المسمى » (الكتاب هارون ١٠٢/٢ - ١٠٣) .

(٤) انظر المزمهر ١/٣٥١ .

(٥) الصاحبى (صقر) ٥٧ .

(٦) نعم القياس هنا هو التعليل بعينه ، لأن الشيء إنما يقاس على الشيء لعله جامعة بينهما . وصورته التطبيقية هى الاشتقاق كما هو صريح كلام ابن فارس هنا . وقد أتبع هذا الكلام فى الصاحبى بمدة أمثلة اشتقاقية فانظرها .

- والصورة التطبيقية لبيان علل الألفاظ هي ما يسمى الاشتقاق الصغير (١) : حيث يرد معنى كلمة من تركيب ما إلى معنى كلمة أخرى من نفس التركيب (٢) . وهذه العلل في صورتها تلك حفلت بها كتب الاشتقاق ، كاشتقاق الأسماء للأصمعي ، والاشتقاق لابن دريد ، واشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي - كما أنها منشورة باتساع في كتب الدراسات اللغوية ، كالشروح القديمة للدواوين والمختارات الشعرية ، وغيرها ، وفي المعاجم اللغوية الأساسية .

- وهذه أمثلة سريعة من التراكيب الأولى في معجم لسان العرب . والتعليل فيها - كما في غيرها من كتب الدراسات اللغوية - قد يصرح به ، وقد يفهم من السياق :

- « والبَدْء (بالفتح) والبدىء (ككريم) البئر التي حُفِرَتْ في الإسلام حديثه (٣) وليست بعبادية (٤) ، يقال للركبة بدىء وبديع إذا حفرتها أنت ... » (يعني أنها سميت بدءاً وبديئاً لأنك أنت بدأت حفرها ولم يحفرها أحد قبلك . ونظر في التعبير الأول إلى استحداثها) .

- « والبَدْء (بالفتح) السيد الأول في السيادة ، والثنيان الذي يليه في السؤدد (٥) » .

- « وفي رواية نحن معاشر الأنبياء فينا بِكْء » (بالضم) وبكاء

(١) انظر في أنواع الاشتقاق الخصائص ١٣٣/٢ - ١٣٩ والمزهر ١/١ - ٣٥٤ .
(٢) أي مع تماثل الحروف الأصلية وترقيبها في الكلمتين ، ويشمل ما يسمى المشتقات القياسية كاسمى الفاعل والمفعول واسمى الزمان والمكان . . . وغيرها كأخذ القلم من تقليم الشجر والكتابة بالقلم من كتب القرية . وهذا الاشتقاق الصغير قد يسمى الأصغر (في الخصائص ١٣٣/٢ - ١٣٤ سماه بالاسمين الصغير والأصغر ، وانظر المزهر ١/١ - ٣٤٧ - ٣٤٨ ، والاشتقاق لعبد الله أمين مبحث أنواع الاشتقاق) .

(٣) أي مستحدثة بدئت حديثاً ولم تكن في العصر الجاهل .

(٤) الهادي القديم نسبة إلى عاد قبيلة هود .

(٥) اللسان (بدأ) ١/٢١ - ٦ - ٧ .

(كرخام) أى قلة كلام إلا فى ما نحتاج إليه . بكوت الناقة (ككرم) :
إذا قل لبها « (١) أى أن البككء قلة الكلام مشتق من البككء قلة اللبن .

- « والبهاء بالفتح والمد : الناقة التى تستأنس إلى الحالب . وهو
من بهأت به أى أنست به (٢) » .

- والباء النكاح ، وسمى النكاح بباء وباء من المباءة ، لأن الرجل
يتبوا من أهله أى يستمكن من أهله كما يتبوا من داره . . . /
والأصل فى الباءة المنزل ثم قيل لعقد الزويج بباء لأن من تزوج امرأة
بواها منزلا (٣) » .

- « والجوازىء الوحش (يعنى البقر والظباء لأنها غير مستأنسة)
لتجزئها بالرطب (بالضم : العشب الرطب) عن الماء » (٤) .

- « والجشأة (بالضم) هبوب الريح عند الفجر ... مستعار للفجر
من الجشأة عن الطعام » (٥) .

- « وجشأت الغنم وهو صوت تخرجه من حلوقها ... ومنه
اشتق تجشأت (٦) » .

- وقد مرقرباً قول ابن الأعرابى إنه لا يلزم من جهلنا نحن علة
تسمية ما أن يكون العرب قد جهلوها أيضاً ، وأضيف أنه لا يلزم من خطأ
تعليل ما أو قصوره أن نحكم على كل التعليقات بأنها خاطئة أو أن نجحد
مبدأ التعليل نفسه .

(١) اللسان (بكأ) ٩/٢٧/١ .

(٢) اللسان (بها) ٢٧/١ .

(٣) اللسان (بوا) ١/٢٨/١ - ٧ .

(٤) اللسان (جزأ) ١/٣٨/٢٠ - ٢١ .

(٥) اللسان (جشأ) ٤١/١ .

(٦) نفسه .

(ب) وهناك صور أخرى للعلاقة الإيجابية بين الألفاظ والمعاني في العربية كثيرة ومتنوعة ، ولكن عرضها بالتفصيل يخل بتوازن هذا الكتاب ، كما أن عرضها بإيجاز يذهب بالوضوح المقنع ، ولذا فسنتشير إليها ونحيل على بعض ما فيه تناول أو إيضاح لها :

١ - ارتباط كل صيغ التركيب واستعمالاته بمعنى واحد تدور عليه .
ويسمى (دوران المادة اللغوية على معنى) ولدينا فيه معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، ومنتثورات في الكتب اللغوية ، وبعض الدراسات الحديثة (١) .

٢ - ارتباط تراكيب الفصل المعجمي (٢) بمعنى مشترك يضاف إليه في كل تركيب معنى يقابل ثالثة . ولدينا في هذا المجال بعض الدراسات الحديثة (٣) بالإضافة إلى ما تناثر منه في الكتب القديمة .

٣ - ارتباط بعض المترادفات بملحظ بعينه في الشيء المسمى - مما يؤكد وجود ذلك الملحظ ، وأن اختلاف التعبير عنه إنما يكون للتنويه بكيفيات أو انطباعات خاصة ، وقد سماه ابن جني « تلاقى المعاني على اختلاف الأصول والمباني » (٤) . .

٤ - ارتباط حروف المباني المكونة للألفاظ بمعان خاصة فيها . وقد تناول ابن جني هذا في ما سماه « تَصَاقِبُ الألفاظ لتصاقب المعاني (٥) » بمستوياته (ويدخل في هذا ما سماه « تداخل الأصول » (٦)) ، وما سماه

(١) انظر أصول معاني ألفاظ القرآن الكريم (رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة) د. محمد حسن جبل .

(٢) المقصود بتراكيب الفصل المعجمي كل التراكيب التي تبدأ أصولها بحرفين معينين مثلاً بر (برأ - برث ، برج ، برح ، برد الخ) .

(٣) انظر مثلاً ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية د. أمين فاخر ، أصول معاني ألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن جبل (مخطوط) ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ١٧٣/١ - ١٨٥ (مقال عن العلاقة بين الألفاظ والمعاني د. محمد حسن جبل) .

(٤) انظر الخصائص ١١٣/٢ - ١٣٣ . (٥) الخصائص ١٤٥/٢ - ١٥٢ .

(٦) الخصائص ٤٤/٢ - ٥٥ .

« إمساس الألفاظ أشباه المعاني » (١) وفيه بعض الدراسات الحديثة أيضاً (٢) .

٥ - ارتباط « قوة اللفظ بقوة المعنى » . وهي تسمية ابن جني لتشمل القوة كثرة حروف اللفظ ، أو تكرار حرف أو نسق من حروفه لتقابل قوة المعنى أو سعة أو تكرار وقوعه (٣) . وله مستويات كثيرة (٤) .

٦ - الارتباط بين توالي حركات اللفظ ، وبين توالي الحركات في المعنى أو الحدث الذي يعبر عنه اللفظ (٥) .

٧ - الارتباط بين ترتيب أصول الكلمة فيها وبين ترتيب وقوع الحدث الذي تعبر عنه الكلمة (٦) ، وكذلك الارتباط بين ترتيب وضع الزوائد مع الأصول في اللفظ وبين ترتيب وقوع مقدمات الحدث مع الحدث (٧) .

٨ - الارتباط الصوتي الحكائي بين أصوات اللفظ وأصوات الأشياء التي يعبر عنها - وله مستويات (٨) .

- هكذا توفرت للعربية تسع صور للارتباط أو العلاقة الإيجابية بين الألفاظ ومعانيها ، ذلك الارتباط الذي هو أقوى أساس لسليقيتها ، وأقوى برهان عليها أيضاً . ولا شك أن جانباً كبيراً من ذلك الارتباط الوثيق بين الألفاظ ومعانيها في العربية يرجع إلى خصائص البيئة البدوية (٩) التي

(١) الخصائص ١٥٧/٢ - ١٦٢ .

(٢) انظر مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ١٩٦/١ - ٢١١ .

(٣) انظر الخصائص ٢٦٤/٣ - ٢٦٨ ، ١٥٣/٢ ، ١٥٥ - ١٥٦ .

(٤) يشمل كل صيغ الزوائد حيث تمبر زوائدها عن معانٍ مزيدة .

(٥) انظر الخصائص ١٥٢/٢ - ١٥٣ .

(٦) انظر الخصائص ١٦٣/٢ - ١٦٤ .

(٧) انظر الخصائص ١٥٣/٢ - ١٥٤ .

(٨) انظر فقه اللغة وسر العربية للشمالي ٢١٥ - ٢١٧ ، ٢٢١ .

(٩) يمكن إجمال خصائص البيئة البدوية العربية في :

(١) صفاتها ، وانكشاف كل شيء فيها (نعني بذلك عيشهم على صحراء مكشوفة لا يغطيها مبان ثابتة ، ولا أشجار كثيفة ، ولا يحجب عنهم السماء حاجب . فيبدو كل شيء على الأرض وفي الأفق ظاهراً مكشوفاً) .

نضجت فيها العربية ، ولذلك فهو يحمل سمات الطابع أو المزاج الخاص (١) الذى تربيته تلك البيئة فى أبنائها . ولئن كان ذلك الارتباط بين المفردات ومعانيها فى العربية بهذا الوضوح والقوة ، فإن تأمل تركيب العبارات فيها يكشف عن تناسب مع البيئة لا يخفى (٢) .

= (ب) وبساطة الحياة (يعنى بذلك الاجتزاء بالحد الأدنى فى المأكل والمشرب والملبس والسكن وسبل المعيشة والاكتفاء بما يسغى الحياة) وخلوها من التعقيد ومن معظم القيود التى تعرف عن حياة المدن .

(ج) والعلاقة المباشرة بين الناس والأشياء من ناحية ، وبينهم وبين الطبيعة من ناحية أخرى (فهم يستولدون الأنعام ويربون أولادها على ما قننته الأرض بالمطر ، ويأكلون من لحومها وألبانها ويتخذون من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها بيوتاً وملابس وأثاثاً الخ يقيمونها وينزلونها وينسجونها بأيديهم - على مستوى فردى أو أسرى ه ومن ناحية أخرى ليست بينهم وبين الطبيعة بحرهما وبردها وشمها ومطرها ورياحها الخ حواجز حصينة . إنما هى الأخبية وما إليها) .

(د) وخلو الأذهان من الأفكار والمذاهب الفلسفية الوافدة والمعقدة .

(هـ) وبعد وسط الجزيرة عن المخالطين من غير العرب .

(١) المزاج " يتكون بالمعيشة الطويلة لأى شئ ه ، ويؤثر فى تكييف المعاش وتقديره للأمور كما يؤثر فى تعبيره . فالذين يعاشون ماله رائحة خاصة أو طعم خاص أو وقع خاص يتقبلونه ، ثم يستريحون إليه ويعجبون به ، ولو كان كريهاً إلى غيرهم . تأمل ذلك لدى الصناع وأصحاب الحرف المختلفة ، ولدى الذين يدخنون أو يبيعون غاز الوقود أو يشربون الخامض . . أو يعيشون فى أوربة أو يعيشون الأوربيين . الخ فإلف ما هو كرهه أو مستهجن عند الآخرين ينبئ عن مزاج خاص . وهذا المزاج الخاص يثبت ويوضح المزاج العام المتميز كالذى تربيته البيئة البدوية العربية لدى العربى ، وهو يؤثر فى إحساسه بالأشياء أو انطباعه عنها ، ثم فى تقديره أو تكييفه لها تقديرأ أو تكييفأ يوجه إلى الأسماء التى ينبغى أن تسمى بها تعبيراً عن ذلك الانطباع والتقدير المتأثرين بالبيئة (انظر المعنى اللغوى - الفصل الخاص بالتكييف ١٢٢ - ١٢٣) .

(٢) تركيب العبارات هو فى الحقيقة نظم لعلاقات بين الأشياء وعناصر الأحداث يتمثل فى العلاقات بين أسمائها :

فأنماط التركيب فى العربية متعددة (الجمل فى العربية : اسمية وفعلية بسيطتان أو مركبتان ، وهناك ما هو بينهما ، والانجليزية والفرنسية مثلاً الجملة فيها اسمية بسيطة (أو مركبة فقط) ، والعلاقات متنوعة ومقبولة ، والإعراب يساعد فى تحديد العلاقات ، ويتوازى مع مواقع عناصر =

— وقد أذكى سليقية العربية تلك ثبات ظروف البيئة المذكورة لأحقاب متطاولة ، والحس المرهف الذى جعل التعبير اللغوى أحد أهم عناصر المتعة والجمال فى حياتهم ، مع اطراد حياة اللغة على ذلك — وللقرآن الكريم منذ نزوله الفضل الأكبر فى ذلك الاطراد — دون تغيرات حادة ، أو تهجين قهرى كما حدث للغات الأوروبية مثلاً (١) .

— ولقد قيض الله تعالى للعربية ما حفظ لها قوتها السليقية تلك ، وحفظها من ثم — مع عوامل أخرى — من مصير أكثر اللغات التى عاصرتها فى أواسط الألف الأول للميلاد إذ تحولت إلى لغات مختلفة .

فقد دفع أئمة العربية بالحس اللغوى المتمكن ، وبالغيرة الدينية ، إلى تحديد عصر الذروة فى قوة السليقية اللغوية ونقائنها (وهو عصر الاحتجاج) بحدود قبليّة وزمانيّة ومكانيّة — على ما سيأتى ، وبذلك حققوا للسليقية اللغوية العربية ما لم يتحقق لأية لغة أخرى . فإنهم حين ميزوا عصر الذروة فيها ذلك التميز جعلوا اللغة فيه — ألفاظها وصيغها وعباراتها ودلالاتها — هى

= العبارة (مثلاً: المبتدأ ركن أسامى مسند إليه مرفوع على الأصل ، والخبر هو نفس المبتدأ فى المعنى فيرفع مثله ، والفاعل كالمبتدأ ، والمفعول وقع عليه تأثير الفعل فيغير عن الحركة الأصلية إلى حركة الإطلاق ، وكذلك كل ما يأتى تكملة زائداً على الأركان الأساسية ، والتوابع هى المتبوعات فى المعنى فتعرب إعرابها ، والمجرور متعلق مضاف ، . . . وهكذا) .

— بالإضافة إلى أنه يمكن تحريك هذه العناصر (أى بالتقديم والتأخير ، وكذلك الحذف . . .) لتعبر عن مختلف الأنظار — وكل ذلك صدى للحرية ولوضوح الأشياء والعلاقات المباشرة فى حياة البيئة البدوية التى ذكرنا خصائصها آنفاً ، وتربت فيها العربية .

(١) انظر مثلاً مقدمة معجم الانجليزية The Universal Eng.Dict. (IX) ص ٩ حيث يقرر أن الانجليزية القديمة (قبل ١١٠٠ م) هى واحدة من لغات الطور الرابع من أطوار اللغات الناشئة عن الآرية الأم ، وأن الانجليزية الحالية هى الطور الثالث من الانجليزية الحديثة التى بدأت منذ عام ١٤٠٠ م — علماً بأن المثقف الانجليزى فى العصر الحاضر لا يعرف لغة شكسبير المتوفى ١٦١٦ م إلا إذا كان متخصصاً فيها . وعارض ذلك بالعربية حيث نستعمل فى حياتنا وصحفنا اليومية — بله الكتب العلمية والأدبية — جمهرة الألفاظ والتراكيب الغريبة على ما كانت مستعملة به فى عصر المملوكات (نحو ٥٠٠ م) . وما تطور منها ظل على صلة متينة بأصله الدلالى والصوقى) .

الصدورة الصحيحة للعربية ، بل عدوا ما خرج عما استعمل فيه - من الألفاظ وغيرها - لغوا لا يعترف به في اللغة أو الأدب .

وبالرغم من تشدد هذه النظرة ، إلا أنها وُجِّهت إلى استيعاب تراث عصر الذروة هذا ، وصيرت مستوى اللغة والأدب فيه هو موضع القدوة ومناط التنافس ، فحفظت اللغة بذلك من الاضمحلال والتحول ، كما ساعد ذلك على ترسيخ سليقية العربية واستمرارها .

(آثار قوة سليقية العربية) :

وكان من أثر قوة سليقية العربية تلك ، وما قيضه الله لحفظها ، أنها تستطيع أن تشحن اللاغين بها المتشبعين بروحها ، بسليقة كاملة القوة حتى إن الواحد منهم يرتجل ألفاظ اللغة ارتجالاً . كما ذكر عن العجاج ، ورؤية ، وابن أحر (١) ، وحتى إنه ليبلغ الشأو الأقصى في الطاقة اللغوية والنتاج اللغوي بلاغة وإحكاماً . وفي تاريخ العربية الكثير من الأدباء والشعراء الفحول والمبدعين .

- وكان من أثر ذلك أيضاً ما تميزت به العربية من التوسع العظيم في الألفاظ المترادفة ، وفي أساليب التعبير البيانية ؛ ذلك أن قوى السليقية من أهلها يحس بمعاني أسمائها (= ألفاظها) مجسمة في ملاحظ التسمية من مسمياتها ، وذلك يربى فيه حس الالتفات إلى المسميات ، والتأمل في خصائصها ، فيرى فيها مزيداً من الملاحظ ، فيطلق على الشيء مقابل كل ملحظ وصفاً يصير - بعد ذلك - اسماً مرادفاً لما سبقه .

كما أن التأمل في خصائص المسميات بالحس المرهف الذي تربيته تلك السليقية القوية يجعله يلحظ ما بين بعضها وبعض من مشابه ، وعلاقات لطيفة تصبح مادة لشئ الأساليب البيانية .

(١) انظر الخصائص ٢/٢٤ - ٢٥ ثم ٢١ - ٢٤ .

— ٢٧ —

— كذلك فإنه كان من أثر قوة سليقية العربية في اللاغين بها إمكان بحثها بمستراها الأعلى ، وبروحها العربية الأصيلة في نفس من يتوغل في العلم بها ، وتشرب روحها ، إذا أسعفته موهبة مواتية :

— فكما رأينا في القرن الثالث الهجري دعبلا ، وأبا تمام ، وعمارة ابن عقيل ، والبحري ، وابن المعتز ، وكثيرين غيرهم .

— رأينا في القرن الرابع المتنبى ، وأبا فراس الحمداني ، والسري الرفاء ، وابن سكرة ، وابن الحجاج ، وغيرهم .

— ورأينا في القرن الخامس ابن نباتة السعدي ، والشريف الرضي ، ومهيار الديلمي ، وأبا العلاء المعري ، والشريف المرتضى وغيرهم .

— ورأينا في القرن السادس محمد بن أحمد الأبيوردي ، والحسين ابن علي الطغراني ، وابن حمديس الصقلي ، وأحمد بن محمد الأرجاني وغيرهم .

— ورأينا في القرن السابع محمد بن نصر الله بن عُنَيْن ، والبهاء زهير ، وأبا الحسين الجزار ، والشاب الظريف ، ولسان الدين بن الخطيب ، وسراج الدين الوراق ، والإمام البوصيري وغيرهم .

— ورأينا في القرن الثامن نصير الدين الحمّامي ، وصفي الدين الحلّسي ، وجمال الدين بن نباتة . وغيرهم .

— ورأينا في القرن التاسع ابن حجة الحموي ، وابن سودون ، والوزير ابن مكناس . . وغيرهم .

— ورأينا في القرن العاشر تاج الدين بن عربشاه وغيره .

— ورأينا في القرن الحادي عشر ابن النحاس الحلبي ، وعبد الرحيم العباسي ، وابن منجك وغيرهم .

— ورأينا في القرن الثاني عشر الشيخ عبد الله الشبراوي ، وغيره .

- ورأينا في القرن الثالث عشر السيد إسماعيل الخشاب ، وناصيف اليازجي ، ومحمود صفوت الساعاتي وغيرهم .

- ورأينا في القرن الرابع عشر محمود سامي البارودي ، وإسماعيل صبري وحافظ إبراهيم ، وأحمد شوقي وغيرهم .

- كل هؤلاء وغيرهم . . كثيرون منهم بلغوا - أو قاربوا - مبلغ شعراء العصر الجاهلي والقرنين التاليين له في نفس اللغة بألفاظها وتراكيبها وبيانها - مع إلف جمهور المثقفين لما يقولون . فهذا شاهد صدق لتأثير سليقية العربية ، ولتمييزها بذلك ، إذ يتعذر أن يظهر الآن شعراء حقيقيون باليونانية القديمة أو اللاتينية ، أو ما عاصرها .

.

- وأخيراً فقد بلغ من قوة السليقية في العربية أن تربى في الأعاجم الذين يعاشون العرب جيلاً أو جيلين سليقة لغوية كاملة القوة ؛ حيث نبغ من هؤلاء شعراء عظماء يضارعون في الشاعرية نظراءهم من العرب الخالص . فهناك سحيم عبد بنى الحسحاس (٥٤٠هـ) وكان نوبيا (١) ، وزياد الأعجم (١٠٠هـ) (من أصل فارسي) (٢) ونصيب بن رباح (١٠٨هـ) (أفريقي) (٣) وأبودلامة (١٦١هـ) (أفريقي) (٤) ، وبشار بن برد (١٦٧هـ) (فارسي) (٥) ، وأبو عطاء السندي (نحو ١٨٠هـ) (هندي) (٦) ، وخلف الأحمر (١٨٠هـ) (فارسي) (٧) ، ونصيب الأصغر (بعد ١٩٠هـ) (أفريقي) (٨) ، وأبوحنيفة اليهودي

(١) انظر عنه تاريخ التراث العربي (الشعر) ٢/٣٠٩ - ٣١١ .

(٢) انظر عنه السابق ٣/٩٦ .

(٣) نفسه ٣/١٥٥ .

(٤) نفسه ٣/٢٥١ .

(٥) نفسه ٣/٢٢٧ .

(٦) نفسه ٣/٢٥٣ .

(٧) نفسه ٣/٢٣٥ .

(٨) نفسه ٤/١٠٤ .

في هذا مجلى آخر لتأثير سليقية العربية ، يمتد من قوة هذه السليقية ويشهد لها أيضا .

- (د) نقشہ ۱۴۲/۴

وانظر قاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان فإنه يلتمس الأصول الأعجمية للشعراء العرب ويحتفل بإبرازها حاجة ما كان ليبلغها.

الفصل الثالث

سليقية الصواب اللغوى عند عرب عصر الاحتجاج

أسلفنا القول بأن العرب كانوا يتكلمون العربية صحيحة فصيحة بالسليقة منذ العصر الجاهلى ، وأن ذلك استمر عدة قرون . وعلينا الآن أن نقدم الشواهد التى تثبت تلك الفصاحة السليقية لأولئك العرب فى تلك القرون لأن ضوابط الفصاحة اللغوية للعربية - ونعنى بها الصواب اللغوى أساسا - قد استنبطت من النشاط اللغوى والنتاج اللغوى لعرب تلك القرون .

(أدلة وجود تلك الفصاحة السليقية)

أولا : كثرة عدد الشعراء وسموفهم :

ولانه ليكنى لإثبات سليقية الفصاحة اللغوية عند أولئك العرب أن تلقى نظرة على (عدد) الشعراء الجاهليين والمخضرمين وعلى (مدى) السمو الفنى فى شعرهم : حيث نجد أن شعراء القرنين اللذين ينتهيان بسنة ٥٥٠ لا يقل عدد المعروفين منهم عن سبع مئة شاعر (١) ، هذا عدا الذين ضاعت كل

(١) يقدر ميلاد أقدم شاعرين جاهليين معروفين (مهلهل وعمر بن قيس) ، بأنه ليس قبل سنة ٤٥٠ م . (تاريخ التراث العربى . فؤاد سزكين ترجمة د . محمود فهى حجازى ط جامعة الإمام محمد بن سعود - المجلد الثانى ج ١/ ١٣ وانظر أيضاً ص ١٥ ، ١٧) . وقد ترجم فؤاد سزكين فى الجزء الثانى من هذا المجلد لشعراء العصر الجاهلى وصدر الإسلام حتى سنة ٥٥٠ م (٦٧٠ م) فبلغوا (٢٨٠) شاعراً - بينما بلغ عدد الشعراء فى « معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين » (أى شعراء القرنين نفسيهما تقريباً) تأليف د . عفيف عبد الرحمن (٦٩١) شاعراً ، وبلغ عدد الشعراء فى « معجم الشعراء فى لسان العرب » د . ياسين الأيوبى (١١٦٩) شاعراً وجلهم من شعراء عصر الاحتجاج المنتهى حوالى منتصف القرن الثانى - أى بزيادة قرن على القرنين السابقين . والمقطوع به أن شعراء لسان العرب هؤلاء لم يشملوا شعراء العرب إلى نهاية عصر الاحتجاج . كما أن الأرجح أن معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين المذكور فاته عدد لا بأس به أيضاً .

آثارهم ، والذين جهلت أسماؤهم وبقيت بعض أشعارهم . مع أن الشعراء كما هو معروف تماماً - هم من خاصة الأدباء الذين يعدون بالآحاد أو العشرات ، لا بالمئات . ثم نجد إلى هذا إجماعاً على أن التاج الشعري لـ هذين القرنين بلغ الغاية (١) في روعته الفنية من حيث دقة التعبير ، وإحكام التركيب ، وعمق المعاني ، ورقة الحس والذوق المتمثلين في طرافة التصوير الخيالي ولطف علاقاته .

- وإن لهذا كله دلالاته . فكثرة عدد الشعراء في ذاتها دليل على شيوع الملكة اللغوية في مستواها الراقى ، وشيوع ذلك الطابع الرائع لشعر هذين القرنين يعنى شيوع الحس اللغوى الراقى عند جمهورهما العربى . ثم إنه من المعلوم أن الضبط الإعرابى - حركات وسكنات وحروف - يمثل عنصراً أساسياً من عناصر الوزن الشعري ، وهذا بدوره يعنى أن الضبط الإعرابى كان ملتزماً أو - على الأقل - شديد الشيوع في مجتمعات العرب في هذين القرنين . وهذا كله يقضى بأن اللغة في مستواها الصحيح والرفيع كانت طبيعية سليمة لدى عرب القرنين . إذ القول بغير ذلك يعنى الزعم بأن أولئك الشعراء - مع كثرتهم تلك - كانوا يخاطبون جماهيرهم بمالا تعرف تلك الجماهير ، أو بما هو غريب عليها ، وهذا زعم يرد على صاحبه ، لأنه دعوى بشذوذ يخالف طبيعة الأشياء .

ثانياً : موقفهم من اللحن :

- ويكفى أيضاً لإثبات سليقية الفصاحة لأولئك العرب ما ترادفت به الأخبار عن موقفهم من اللحن في اللغة سواء في استعمال منها (٢) ، أو

(١) هذا الحكم متعالم وانظر في الأخبار عنه قول بروكلمان عن العلماء العرب إنهم « ينظرون إلى مثل ذلك العصر الأول (يعنى شعراء العصر الجاهلى) على أنهم نماذج لا يلحق شأوها » ، تاريخ الأدب العربى ١/ ٣٦ ، وانظر أيضاً ١/ ٤٣ ، ٤٤ (أعلى الصفحتين) وذلك بصرف النظر عما نفيه في مواضع أخرى من كتابه هذا . وانظر كذلك تاريخ التراث العربى مجلد ٢ ج ١ / ١٧ « لقد أشار باحثون كثيرون إلى الطابع اللغوى والفنى والجمالى للشعر العربى القديم ، ويكاد يتفق رأى اليوم بين الباحثين على أن شعر الجاهلية - أى شعر المئة عام السابقة على ظهور الإسلام قد وصل إلى مرحلة رفيعة من التطور » .

(٢) من أمثلة ما ذكروه من اللحن في استعمال متن اللغة : قول عبيد الله بن زياد « افتحوا سيوفكم » أى سلوها ، وقوله « اجلس على است الأرض » (البيان والتبيين ٢/ ٢١٠ - ٢١١) وقول خالد القسرى « أطعموني ماء » (نفسه ١/ ١٢٢ ، ٢/ ٢٦٧) .

في ضبط ألفاظها وتراكيبها (١) . فقد أحسوا باللحن ، وتنهبوا إليه ، وتأذت نفوسهم به ، وعابوه وعابوا أصحابه ، وأدبوا عليه ، وعدّوه مُسَقِطاً للشرف والحرمة والهيبة ، قادحا في الأهلية للإمامة في الصلاة ، وفي الأهلية للولاية على الناس .

ونجّز في بسط كل من هذه النقاط بكلمة لشهرة موضوع اللحن هذا ... ونقدم في رأس مسألة اللحن هذه قوله صلى الله عليه وسلم لما سمع رجلا يلحن: « أرشدوا أنحاكم فتد ضل (٢) » وقوله: « رحم الله امرأ أصلح من لسانه » (٣) .

إن أخبار اللحن والتنبيه إليه والتنبيه عليه تشغل فصولا في مؤلفات كثيرة (٤) . وتَنَدَّبُهُ من لم يتعلم اللغة صناعة إلى ما يقع من اللحن يعني تمتعه بالحس المرهف إزاء صواب هذه اللغة وخطئها ، وهذا لا يكون إلا بتمكن معرفته بالأداء الصحيح للغة في نفسه تمكنا تاماً .

(تأذيتهم باللحن) :

— كما أن تأذى نفوسهم به — على ما أثر من قول عمر للفتيان الذين كانوا لا يحسنون الرمي فلما كلمتهم لحنوا : « لحنكم أشدُّ على من فساد رميكم » (٥) ، وقول أبي الأسود: « إني لأجد لحن غميراً كغمير اللحم » (٦)

(١) انظر البيان والتبيين ٢/٢١١ — ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٨ — ٢١٩ .

(٢) انظر كنز العمال ١/١٥١ والخصائص ٨/٢ ومعجم ياقوت ١/٨٢ .

(٣) الأضداد لابن الأنباري (أبو الفضل) ٢٤٤ .

(٤) انظر البيان والتبيين ٢/٢٠٤ — ٢٢٤ وعيون الأخبار ٢/١٥٨ — ١٦٠ والمقدّمات ٢/٤٧٨ — ٤٨٢ ، ومعجم الأدباء ياقوت ١/٦٩ ، ٧٩ — ٩١ إلى صفحات وأخبار متناثرة كثيرة كالذي في الأضداد لابن الأنباري في الكلام عن (لحن) (في تحقيق أبي الفضل ٢٤٤ — ٢٤٦) .

(٥) الأضداد لابن الأنباري ٢٤٤ وانظر مراتب النحويين ٢٣ .

(٦) عيون الأخبار ٢/١٥٨ والفهر بالتحريك زهوة قريبة إلى النتن .

(م ٣ — الاجتجاج بالشعر في اللغة)

وقول عمر بن عبد العزيز : « أكاد أضرس إذا سمعت اللحن » (١) ، وقول مسلمة بن عبد الملك : « اللحن في الكلام أقبح من الجدرى في الوجه » (٢) .

— وقد بلغ من هذا التأذى أن يستغفر أحدهم للحنة وقعت منه (٣) ، وأن يتوجع آخر من لحنه بما يتوجع به من لدغة النار (٤) ، وأن يسارع ثالث إلى إنكار لحنه وقعت ممن نعى إليه أباه ، وشم الناعى — قبل أن يسترجع على أبيه (٥) . وأن يعجب الأعرابي إذ يجد أهل السوق يربحون رغم أنهم يلحنون ، وأنه لا يربح رغم أنه لا يلحن (٦) . وكأنه لعمق إحساسه بضرورة الفصاحة — يجعلها قوام الإنسانية ، ومن هنا يكاد يعتقد أن الرزق ينبغي أن يناط بسلامة الكلام .

— إن هذا التأذى ينبىء عن تشبع نفوسهم أو « تكيفها » بالمستوى الصحيح للأداء اللغوى بحيث يمثل اللحن شيئاً مؤلماً لهذه النفوس ، مثيراً لا شمرأزاها . وهذا هو معنى كون الفصاحة اللغوية فطرية في هذه النفوس .

(عيبهم اللحن وأنفتهم منه) :

— ويؤكد هذا عيبهم اللحن على من يقع منه (٧) ، وأنفتهم أن ينسب إليهم — على ما روى من تراوى عبد الملك وخالد بن يزيد بلحن ذويهما (٨) .

(١) الأضداد لابن الأنبارى ٣٤٥ .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢١٦ وعيون الأخبار ٢/١٥٨ .

(٣) هو أيوب السخيتاني كما روى الخليل . (معجم الأدباء ، ١/١١٨) .

(٤) لحن محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال : حس . إني لأجد حرارتها في حلق (أضداد ابن الأنبارى ٢٤٥) « حس » يقال تالما من كى النار ونحوه .

(٥) قال الفجيج لمعاوية بن بجير — وكان والياً على البصرة — « مات بجيراً » فقال له : لحن لا أم لك (معجم الأدباء ، ١/٨٠) .

(٦) عيون الأخبار ٢/١٥٩ ومعجم الأدباء ، ١/٨٠ .

(٧) انظر الفصول التى أحلنا إليها بشأن التنبيه إلى اللحن قبل ثمانية تعليقات : البيان ، عيون الأخبار ، المقد الفريد ، الأضداد .

(٨) القصة في مجمع الأمثال (محبس الدين) ٢/٢٢٢ .

واحتجاب عبد العزيز بن مروان - لما عرف من نفسه اللحن - حتى صلح لسانه (١) ، ولجؤهم إلى حلقات العلم لتعلم النحو (٢) ؛ إذ كان اللحن مسقطاً للحرمة ، قادحاً في الشرف (٣) ، وفي الأهلية للإمامة في الصلاة (٤) ، بل ومضيقاً للمهابة (٥) ، وقادحاً في الأهلية للولاية على الناس. وهذا هو مغزى قول عبد الملك : « شيبني ارتقاء المناير وتوقع اللحن » (٦) وحرصه على أن يتعلم الوليد الإعراب (٧) ، وهو مغزى نفى الحجاج ليحيى بن يعمر لما تبين له أن يحيى كشف له لحنة (٨) ، وصرفه هو وغيره من يلحن عن الولاية (٩) ،

(١) انظر الأضداد لابن الأنباري (أبو الفضل) ٢٤٦ .

(٢) انظر قصة خالد بن صفوان مع بلال بن أبي بردة في الكامل (الدجوني) ٣٩ ومعجم الأدباء لياقوت ٨٣/ ١ .

(٣) لحن رجل كان إلى جنب ابن عمر فطلب أن ينحى أو يتنحى هو (أخبار النحويين ٢٤) واستأذن رجل على عبد الملك وعنده من يلعبون بالشطرنج فأمر بتغطيته ، فلما لحن الرجل أمر بكشفه وقال : ليس للأحن حرمة (الأضداد ٢٤٥) ، وقال بلال بن أبي بردة لخالد بن صفوان : أتحدثني أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقامات (الكامل / الدجوني ٣٩/ ٢) .

(٤) قيل للحسن : إن لنا إماماً يلحن ، فقال : أبيضه عنكم (العقد الفريد ٤٧٨/ ٢ - ٤٨٢) ونحو ذلك قال أعرابي لما سمع إماماً يلحن (عيون الأخبار ١٦٠/ ٢) ، وقال أيضاً : اللحن هجنة على الشريف (البيان والتبيين ٢١٦/ ٢) ونحو ذلك قال أبان بن عثمان وعبد الله ابن شبرمة (طبقات النحويين واللفويين للزبيدي ٢٣) .

(٥) الكروس ما كان يملأ عينه من الوليد مهابة ، فلما لحن صار عنده كبحض أعوانه (البيان والتبيين ٢٠٥/ ٢) وسعيد بن سلم بهرته هيبة الرشيد فلما لحن خف في عينه (معجم الأدباء ٨٣/ ١) ، وانظره في ٨٥/ ١ نجد قول الزبيرى عن أبي جعفر المنصور لما لحن مرتين في « الحاكم التكاثر » : ما كان أهون هذا القرشي على أهله .

(٦) العقد الفريد ٤٨٧/ ٢ وأخبار النحويين لأبي طاهر ٢٧ برواية ونخافة اللحن .

(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢١/ ٥ .

(٨) نزهة الألباء ١٦ - ١٧ .

(٩) انظر معجم الأدباء ٨٦/ ١ خبر صرف طاهر بن الحسين والى الكوفة « إذ لم يتخذ كاتباً يحسن الأداء عنه » . وفي ٨٧-٨٨ قصة قلاص كثير بن أبي كثير - رغم فصاحته - ليهرب من الولاية للحجاج .

وقول الأعرابي لما سمع المنصور يلحن: «أشهد أنك وليت هذا الأمر بقضاء وقدر» (١) يعنى أنه فاقد للأهلية للخلافة، وأنه لم يتولها بمقومات فيه معروفة، وإنما تولاها بقضاء تخفى حكمته.

- ومن أجل ذلك وتأكيدها له كانوا يؤدبون أولادهم ورعيتهم عندما يقع منهم اللحن: فقد روى أن عمر، وابن عمر، وابن عباس كانوا يضربون أولادهم على اللحن (٢)، وأمر عمر بضرب كُتَّاب عماله الذين لحنوا في رسائلهم (٣)، وكان عمر بن العزيز أشد الناس في اللحن على ولده وخاصته ورعيته، وربما أدب عليه، وكان هو وأبوه عبد العزيز يعطيان على الإعراب ويحرمان على اللحن (٤)، ونحو ذلك كان زياد والحجاج وعبد الملك وسليمان ابنه وغيرهم (٥) يفعلون.

إن صدور تلك الأقوال وذلك السلوك من أهل القمة - كأولئك الخلفاء والولاة والعلماء، والقاع: الناس والأعراب المحرمين على السواء - كل ينكر اللحن بحسب ما يستطيع... كل ذلك يعنى أن إنكار اللحن بالصورة التي ذكرنا كثيراً من جوانبها كان قائماً على حس فطري عام بالصواب اللغوي يقبله وبألفه ويتذوقه، وينفر من اللحن ويشمئز منه نفور الإنسان من كل ما يضاد طبيعته. وهذا هو ما نغنيه بسليقية الصواب اللغوي.

(١) معجم الأدباء ٨٦/١ وانظر عيون الأخبار ٢٠٠/٢.

(٢) انظر بالنسبة لعمر وابنه معجم الأدباء ٧٩/١ - ٨٠، ٨٩ وبالنسبة لابن عباس أخبار النحويين لأبي طاهر ٢٦.

(٣) كتب عمر إلى الحسين بن أبي الحر وأبي موسى أن يضرب كل كاتبه سوطاً للحنه في رسالته (البيان والتبيين ٢١٦/٢ ومراتب النحويين ٦).

(٤) انظر الأضداد لابن الأنباري ٣٤٥ وأصول النحو - سعيد الأفغاني ١١ رواية عن تاريخ دمشق (مخطوط).

(٥) راجع ما أشرنا إليه من قبل من فصول عن اللحن في البيان والتبيين وعيون الأخبار والأضداد لابن الأنباري والعقد الفريد ومعجم الأدباء.

ثالثاً : إباؤهم نطق الخطأ :

— ثم هناك دليل ثالث على سلبية الصواب اللغوي عند عرب القرون الأولى تلك : هو ما روى من أن ألسنتهم كانت لا تطوع بنطق الخطأ ، أو بنطق ما يخالف اللهجة التي نشئوا عليها ، وذلك لا يمكن الصورة الصوابية أو اللهجية في نفوسهم تمكناً شديداً يجعل (الأعصاب) (١) ترفض ما يخالف تلك الصورة فلا تسمح لأعضاء النطق بأدائه — كما يرفض الحاق إساعة ما تشمئز منه النفس من الطعام ، وتطرده المعدة إذا تجرع كرها . ومن الصور التي تقرب استعصاء النطق بالخطأ على ذوى الفصاحة الكاملة منهم أن ذوى الحياء الكامل من الناس يستعصى عليهم نطق الألفاظ والعبارات (الجنسية) العاربة .

— ولدينا في هذه الباب أمثلة كثيرة من أصرحها أنه قيل لعمر بن لجأ (راجز وشاعر معاصر للفرزدق المتوفى نحو ١١٢ هـ) : قل « إنا من المجرمين (متقمين) فقال : « إنا من المجرمين » متقمون (٢) ، أى أنه لم يستطع نطق الخطأ . وقال إسحاق بن الفرج : سمعت أبا الربيع البكري يقول : الجمعج والجنججف (بالفتح فيهما) من الأرض : المتطا من ، وذلك أن الماء يتجفجف فيه فيقوم أى يدوم . قال : وأردته على يتجمع جمع فلم يقلها في الماء (٣) (أى أنه أرادته على أن يقول

(١) تم (عملية) النطق (بأمر) من الجهاز العصبي ومركزه المخ . فإذا أراد الإنسان التعبير عن فكرة ما حاضرة ولم تكن هناك عوائق ، استثير مركز حركات التكلم الذي في المخ وسارع مركز الذاكرة اللغوية الذي في المخ أيضاً بإحضار الكلمات وصور التراكيب المعروفة والملائمة ، ومرى النبض العصبي بالأمر إلى أعضاء النطق فتحركت بما يخرج التعبير المطلوب . فإذا كانت الصورة التعبيرية المراد أداؤها غريبة في جزئياتها أو تركيبها ، وكانت الصور المعروفة متصلة عريقة ولم يهز رسوخها ضعف الثقة فيها ، أو تردد الصور الغريبة عليها كثيراً ، فإن الأعصاب تنفر منها وتقاومها ولا تنبض بأدائها . ومن هنا لا تطوع أعضاء النطق بنطقها . انظر في بعض ذلك كتاب المعنى اللغوي للمؤلف ص ١٠٢ والمراجع التي ذكرت في ص ١٠٣ منه .

(٢) البيان والتبيين ١/ ١٦٤ .

(٣) لسان العرب جمع ١٠/ ٣٧٤ .

« إن الماء يتجمع » في المكان فيقوم أى يدوم ، كما قال « يتجفف » فلم تطع نفسه بذلك ؛ لأن حسه السليق يعانى الألفاظ واستعمالاتها ألهمه أن الجمعية لا تستعمل في حبس الماء لأن الجمع والجمعاء من الأرض يوصف بالصلابة والغلظ والحشونة (١) - رغم القول بتطامنه ، وتلك الصفات من لوازم الجفاف الشديد ، فلا يناسب أن ينسب إليه مع ذلك حبس الماء .

وأورد ابن جنى أمثلة من هذا القبيل عن أعراب عصره فيها طرافة (الاختبار) فقال : « وسألت يوماً أبا عبد الله محمد بن عساف العقيلي الجوثي النيمى - نعيم جوثة - فقلت له : كيف تقول « ضربت أخوك » ؟ فقال : أقول « ضربت أخاك » . فأدبرته على الرفع ، فأبى ، وقال لا أقول : « أخوك » أبداً . قلت : فكيف تقول « ضربنى أخوك » ؟ فرفع . فقلت : ألسنت زعمت أنك لا تقول « أخوك » أبداً ؟ فقال : أبش هذا ! اختلفت جهتنا الكلام (٢) » . وفى (اختبار) آخر يقول ابن جنى : « وسألته يوماً » (يعنى أبا عبد الله الشجرى) فقلت له : كيف تجمع « دُكَّانا » فقال : دكاكين . قلت « فسرَّحانا ؟ قال : سراحين قلت : فقرطانا . قال : قراطين . قلت : فعمَّان ؟ قال عثمانون . فقلت له : هلا قلت أيضاً « عثمانين » ؟ فقال : أبش عثمانين ! أرايت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته . والله لا أقولها أبداً (٣) » .

وفى (اختبار) ثالث يقول ابن جنى : « سألت مرة الشجرى

(١) نفسه .

(٢) الخصائص ٧٦/١ ودى فى ٢٥٠/١ وفى أوتاً كيف تقول ضربت أخاك ؟ فقال : كذلك . فقلت : أفقول « ضربت أخوك » ؟ فقال : لا أقول « أخوك » أبداً الخ . ثم إن القصة هنا لابن جنى مع من يسمى أبا عبد الله الشجرى . ودى فى ٧٦/١ لابن جنى مع من سماه أبا عبد الله محمد بن عساف العقيلي . قال الشيخ محمد على النجار محقق الخصائص : « فهل هما واحد . أم تكررت القصة معهما ؟ انظر الخصائص ٢٥٠/١ » .

(٣) الخصائص ٢٤٢/١ وانظر فى جميع أسماء العقلاء (كعثمان) جمع مذكر سالماً شرح المفصل ٣/٥ وفى جميع غير ذلك من نحو دكان وسرحان الخ على فعالين شرح المفصل ٦٤/٣ .

أبا عبد الله ، ومعه ابن عم له دونه في فصاحته ، وكان اسمه غصنا . فقلت لهما : كيف تحقران « حمراء » ؟ فقالا : « حمراء » قلت : « فسوداء » ؟ قالوا : « سوداء » ، وواليت من ذلك أحرفاً وهما يجيئان بالصواب ، ثم دسست في ذلك « علباء » فقال غصن « علباء » وتبعه الشجرى فاما هم بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال : « آء عُلَيْبِي » . ورام الضمة في الباء (١) .

وقد قيل - ضمن ما قبل في روايات المسألة الزبورية المشهورة - لما احتكموا إلى العرب الواقفين بباب دار جعفر أو غيره - حيث كانت المناقشة . قال العرب : القول ما قال الكسائي - رعاية لموضعه عند الخليفة ولم ينطقوا بكلام عربي يؤيد رأيه ، إذ كان خطأ ، وإن سيبويه قال ليحيى : مرهم أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطوع به (٢) .

وقد روى ابن جني عن المتنبى أن جماعة من العرب كانوا بصحبته في متصرفه من مصر ، فوصف أحدهم فلاة واسعة فقال « يحير فيها الطرف » فأخذ آخر منهم يلقيه الصواب سراً ويقول له : « بحار بحار » (٣) وهذا يعني بقاء الفصاحة السليقية في أكثرهم إلى نحو منتصف القرن الرابع . وتمسكهم بها - على ما يتمثل في تصحيح العربي لصاحبه ، وعدم تجاوزه عن خطئه في حديث عابر - يعني تأصلها .

- ويدخل في هذه الباب استمسك العربي بلهجته لا يحول عنها رغم

(١) الخصائص ٢٦/٢ والهمزة في حمراء ونحوها للتأنيث فبقيت مع التصنير تشبيهاً بتاء التأنيث ، والهمزة في علباء للإلحاق وليست للتأنيث لأن العلباء مذكر (وهو عصب في عنق البعير) ومن هنا قلبت دون همزة التأنيث . وانظر بشأن الجزئية الأولى شرح المفصل ١١٦/٥ وبسأن الجزئية الأخير لسان العرب (علب) . وقول ابن جني إن الشجرى رام الضمة في الباء فالروم هنا هو الرمز إلى الضمة بضم الشفتين فقط عند الوقف .

(٢) انظر مثلاً - المعنى (محيي الدين) ٨٨ (في الكلام عن إذا الفجائية) والمسألة هي « كنت أظن أن المقرب أشد لسة من الزبور فإذا هو هي » أم « . . فإذا هو إياها » سيبويه قال بالأول أي بضمير الرفع خبراً ، والكسائي جوز الثاني أيضاً .

(٣) الخصائص ٢٣٩/١ ، ٢٧/٢ .

إرادته على ذلك وهو في موقف التعلم كما روى عن أبي حاتم أنه قال : « قرأ على أعرابي بالحرم » طيبي لهم وحسن مأب » فقلت : « طويبي . » فقال : « طيبي » ، قلت « طويبي » قال « طيبي » . . فلما طال على قلت طوطو فقال طي طي (١) . قال ابن جني : « أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابي بلغته ، وتركه متابعة أبي حاتم » . (٢)

ومن المسائل المشهورة في هذا ما رواه يعقوب عن الفراء أنه قال لأعرابي : أتقول : (أسود) كأنه « حنك » الغراب أو « حاكه » ؟ فقال : لا أقول « حلكه » أبداً . (٣) وفي مقابل هذا « قال أبر حاتم قلت لأم الهيثم : كيف تقر ابن أشد سوادا من ماذا ؟ فقالت : « من حنك الغراب » . قلت : أفقتولينها من « حنك الغراب » فقالت : لا أقولها أبداً . (٤) وتأمل التأييد في كلام كل منهما .

— ومن المسائل المشهورة في هذا المجال أيضاً : مسألة « ليس الطيب إلا المسك » حيث كان التميميون يرفعون المسك في هذا التركيب ومثله ، لأنهم يسمون « ليس » تشبيهاً « بما » عند انتقاض النفي (٥) ، وكان الحجازيون ينصبون . وقد قامت (لجنة) فذهبت إلى أبي المنهدى - الأعرابي الحجازي - وحاولت تلقيبه الرفع فلم يرفع ، ثم قال : ليس هذا لحن ولا لحن قومي . ثم ذهبت اللجنة إلى أبي المنتجع الأعرابي التميمي وحاولت تلقيبه النصب فلم ينصب وأبى إلا الرفع (٦) وهناك أمثلة أخرى (٧) .

ومن هذه الباب أيضاً أن ينكر صاحب اللهجة لهجة غيره المخالفة له .

(١) نفسه ٢٨٤/١ والآية من سورة الرعد ٢٩ .

(٢) الخصائص ٣٨٤/١ .

(٣) لسان العرب حلك .

(٤) الانتصاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد ١٢٠ .

(٥) انظر في المسألة : المغني (محي الدين) ٢٩٤ .

(٦) انظر ذيل الأمل ٣٩ والمزهر ٢/٢٧٨ .

(٧) انظر - مثلاً - الخصائص ٣٠٥/٣ .

- ٤١ -

فلا يطبق سماعها وإذا سمعها فقد لا يعرف المراد بكلمة تختلف نطقها اختلافاً يسيراً . ومن أمثلة هذا ما روى من أن أشياخ قريش ما كانوا يقولون (في الجواب) إلا نَعِم (١) (بفتح النون وكسر العين) ، ومن هنا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تقولوا نَعَم (يعنى بفتح النون والعين) وقولوا نعم (٢) (أى بكسر العين مع فتح النون) . وكان بعض الأعراب إذا سمع رجلاً يقول نعم (يعنى بفتح العين) - في الجواب - قال (منكراً وساخراً) « نَعَمٌ وشاء » ؟ . لأن لغته نعم (بكسر العين) (٣) .

ومن ذلك أن الكسائي قال لغلام : من خَلَقَكَ ؟ (بإسكان القاف) فلم يدر ما قال ولم يجبه . فرد عليه السؤال ، فقال الغلام : لعلك تريد من خَلَقَكَ ؟ (٤) (أى بفتح القاف) - وهذا يعنى أنه بسبب ذلك التعبير الطفيف لم يعرف الكلمة . ومثل ذلك ما روى من أن أبا عبد الله بن الأعرابي ، وأبا زياد الكلبي اجتمعا على الجسر ببغداد فسأل أبو زياد أبا عبد الله عز (معنى المِئبنة - بالكسر - في) قول النابغة .

على ظهر مِئبنة (جديد سيورها)

فقال أبو عبد الله : النَطِطُ (أى بالفتح) . فقال أبو زياد : لا أعرفه ، فقال النَطِطُ (أى بالكسر) فقال أبو زياد : نعم (٥) . قال ابن جنى : أفلا ترى كيف أنكر غير لغته على قرب بينهما (٦) .

رابعاً : لحظ الخطأ الخفى :

- ويضاف إلى هذا النوع من أعلام وجود الفصاحة السابقة أن يلحظ العربي الذي لا يحفظ القرآن الكريم ما قد يقع فيه القارئ للقرآن من خطأ

(١) لسان العرب (نعم) ٦٩/١٦ .

(٢) نفسه .

(٣) البيان والتبيين ١/١٦٤

(٤) نفسه .

(٥) الخصائص ١/٣٨٣ ولسان العرب (نطع) والنطع بساط من الأديم . وقد ذكر

(٦) الخصائص ١/٣٨٣ .

محقق الخصائص سباق الشطر وسياقه .

ينحفي على غير ذي السليقة اللغوية المتمكنة . كالذي روى من أن رجلاً في زمن عمر بن الخطاب قرأ « فإن زلزلتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن الله (غفور رحيم) » فسمعه أعرابي فقال : « لا يكون » (١) وحق للأعرابي أن ينفي اتساق ختام الآية بالمغفرة والرحمة - بعد التنبيه الواضح في قوله تعالى « من بعد ما جاءكم البينات » على سقوط عذر من يزل ، واستحقاقه التام للعقوبة . ولذلك كان الختام الصحيح للآية هو « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » . وهو ختام يعبر عن القوة القاهرة التي تستطيع أن تنزل العقاب بمن يخالف ، ويقرنها بالحكمة التي تبعد الأمل في العفو عن يعصى عمداً وعناداً بعد مجيء البينات .

ومثل ذلك ما حدث من أعرابي سمع قارئاً يقرأ « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » (٢) (والله غفور رحيم) . فقد لحظ الأعرابي أيضاً ما بين الأمر بإنزال العقوبة والتنويه بأن في ذلك جزاء للجرم وردعاً للآخرين - وبين ذكر المغفرة والرحمة مما يشبه التناقض ، فحكم باختلال فصاحة الكلام . فلما قيل له إن الختام الصحيح للآية هو « والله عزيز حكيم » طابت نفسه وقال : « بخ بخ : عز ، فحكم ، فقطع . » (٣) .

إن تقويم دلالة هذه الروايات ينبغي أن يتم في إطار شيوع ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى ، بحيث لا يفتن إلى التناسب بين الآيات وخواتمها ، وإلى الفرق بين ختام وآخر إلا من كان ذا حس لغوي سليق حاد يهديه إلى ذلك التناسب وتلك الفروق ، أو من أوصلته دراساته وتمعنه إلى مثل هذا المستوى من الحس اللغوي .

ومن الأمثلة الداخلة في هذه الجزئية - وإن كانت أقرب - أن أعرابياً

(١) البيان والتبيين ٢/ ٣٣٩ والآية من س البقرة رقم ٢٠٩ وختمها الصحيح « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

(٢) الآية من س المائدة ٣٨ .

(٣) القصة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان في تفسير الآية المذكورة (٤٨٤/٣) وبخ بخ (بفتح الباء ، والخاء ساكنة أو مكسورة منونة) كلمة تقال للتعبير عن مدح الشيء وتعظيمه وتقنيته .

سمع رجلاً يقرأ «وحملناه على ذات ألواح ودُسُر، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر» - قرأها بفتح الكاف والفاء - فقال : لا يكون» . (١) وحق له ، فإن هذا التغير يقلب المعنى ليصير أن الكافر ينجيه الله من الطوفان بسفينة تجري برعايته سبحانه ، بينما القراءة الصحيحة « جزاء لمن كان كُفِر » بضم الكاف وكسر الفاء - أى أن هذه السفينة وتلك الرعاية للداعى إلى الله نوح عليه السلام - الذى جحد قومه دعوته . فلما سمع الأعرابي القراءة الصحيحة قال : « يكون » .

وفى مثال آخر لهذه الجزئية أن أهرياً سمع مؤذناً يقول : « أشهد أن محمداً رسول الله » - ونصب لفظ « رسول » . فقال الأعرابي : « يفعل ماذا؟ » (٢) أى أنه أحس بنقص الكلام واحتياجه فى هذه الصورة التى أدى عليها - إلى خبر .

خامساً : اعترافهم ببلاغة القرآن الكريم .

إن هناك دليلاً خامساً على تمتع عرب الجاهلية وصدر الإسلام بالفصاحة السليبية هو اعتراف عرب عصر البعثة - من أسلم منهم ومن لم يسلم أو تأخر إسلامه - ببلاغة القرآن الكريم اعتراف الخبير ، واستسلامهم للإحساس بعجزهم عن معارضته - رغم تحديه إياهم بصورة تثير من عنده أدنى طاقة على المعارضة - استسلام من يدرك تعذر المقاومة تمام الإدراك . وهنا ينبغى أن نستحضر أنه لولا أن العرب فى عصر البعثة كانوا فى أعلى مستويات التمكن اللغوى والحس البلاغى ، ما كان يمكن أن تكون المعجزة التى يواجهون بها - برهاناً على أن محمداً صلى الله عليه وسلم مرسل من الله إليهم - معجزة لغوية تتحدى براعتهم البلاغية ، ولو جاءتهم معجزة من هذا النوع وهم بلداء فى الحس اللغوى والبلاغى ما بالوا بها أدنى مبالاة . لكنها جاءتهم وهم فى القمة من القدرة اللغوية والحس البلاغى فبهرتهم ، ولولا العناد - تعصياً للعادات الموروثة ، أو حفاظاً على الزعامات القبلية

(١) البيان والتبيين ٢/ ٣٢٧ والآية من س القمر ١٤ .

(٢) البيان والتبيين ٢/ ٣٣٩ وعيون الأخبار ٢/ ١٥٨ .

والمالية ، أو أنفة من الدخول في طاعة شخص ما أو شخص ليس من عظمائهم - لانقادوا أو « سجدوا » سجود الخبير عندما يواجه بما يدرك أن عظمته تفوق حدود ما يعرف - على حد ما عبر النابغة عن انهار خواص الدر الخبير به بالسجود ، اعترافا بعظمة درة تصيدها :

أودرة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد (١)

إن لدينا أمثلة جزئية تؤكد أثر فصاحتهم السليقية في الاعتراف بإعجاز القرآن الكريم - وذلك بالإضافة إلى الاعتراف العام المتمثل في قبولهم الدعوة الإسلامية - إقتناعا بالقرآن معجزة - وانتشارها آخر الأمر .

- فمن تلك الأمثلة واقعة استراق كبار الكفار السمع لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن - وتكرر ذلك ثلاث مرات رغم تناهيهم في كل مرة . وقع ذلك من أبي جهل والأخنس بن شريق وأبي سفيان - قبل أن يسلم - ليلة دون أن يعلم أى منهم بصاحبيه ، ثم اتقوا منصرفين فتلاوموا وتناهوا ، ولكنهم عادوا ثم اتقوا فتلاوموا وتناهوا ، ثم عادوا فلما اتقوا الثالثة تعاهدوا على ألا يعودوا . (٢)

- ومنها رأى الوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة - وهما من أئمة الكفار - في بلاغة القرآن الكريم إذ قال الأول : « والله إن لقوله (يقصد بالقول القرآن ، والضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم) لحلاوة (وإن عليه لطلاوة) وإن أصله لعذق ؛ وإن فرعه لجناة » (٣) وقال الثاني بعد أن سمع القرآن : « قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة » (٤) .

(١) انظر لسان العرب (هـ) ٢٢٦ / ١٤ .

(٢) انظر القصة وآراء الثلاثة في الروض الأنف للسبيل على السيرة النبوية لابن هشام ٦٦ / ٢ .

(٣) السابق ١٢ / ٢ وانظر معه لسان العرب (ط) .

(٤) الروض الأنف على السيرة النبوية ٣٥ / ٢ .

— ومنها ما علم واشتهر من تحول عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الإسلام — رغم غلظته على المسلمين قبل ذلك — حين قرأ القرآن متخففاً من بعض غلوائه في العصبية للجاهلية (١) .

— ومنها ما رواه البخارى عن جبير بن مطعم يصف أثر القرآن فيه وهو مشرك (وكان قدم المدينة قبل أن يسلم يسعى في فداء أسرى المشركين في بدر) إذ قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بسورة الطور فلما بلغ هذه الآية : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون » ، قال جبير : فلما سمعتها كاد قلبي يطير (٢) .

— ويخطيء من يظن أن البلاغة — في مستواها الحق الذى نعينه هنا — إنما هي تنسيق للكلام أو زخرفة للألفاظ ولعب بها ، وأن التأثير بالكلام البليغ المعبر عن حقائق هو نوع من الضعف أو السذاجة . كلا ، فإن اللغة تعبر عن الفكر ومخاطبة له ، والفكر هو حقيقة الإنسان ، وصميم كيانه الداخلى ، والكلام البليغ هو الذى تتوفر له الخصائص التى ينفذ بها إلى ذلك الكيان الداخلى ويؤثر فيه . والتأثير حينئذ إنما هو تعديل موقف أو اتخاذ موقف جديد ، بناء على رؤية جديدة ، كَوْن جوانبها ما أبرزه ذلك الكلام البليغ من حقائق كانت مطمورة أو مُغشاة غير واضحة المعالم . فالاستجابة حينئذ وعى ونجاة ، والصلادة بعد البيان لا تكون إلا عن عناد أو بلادة .

والأمر هنا كان عناداً بلاشك . وقد سجل القرآن الكريم عليهم أسلوباً لهم — في مواجهة إحساسهم ببلاغته — يحمل في طياته أقوى دلالة على اعتراف نفوسهم بهذه البلاغة من ناحية ، وعلى عنادهم ثم فشلهم اللزيع في مقاومة هذه البلاغة من ناحية أخرى . وذلك في قوله تعالى :

(١) انظر قصة إسلامه في الروض الأنف على السيرة النبوية ٢/ ٩٥ .

(٢) فتح البارى ١٠/ ٢٢٦ ، والآيات من س الطور رقم ٣٥ — ٣٧ .

« وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه لعلكم تغلبون » (١) فالامتناع من سماع القرآن الكريم ، ومنع الآخرين من استماعه برهان واضح على قوة تأثيره في تلك النفوس العربية التي تتمثل الكلمة البليغة فتدور معها حيث دارت كأنها من معدن البلاغة خلقت .

وأقول مرة أخرى : لولا أن عرب تلك القرون الأولى كانوا ذوى فصاحة لغوية سليقة ما جاءهم البرهان على نبوة محمد في صورة إعجاز لغوي سامق المستوى ، ولو جاءهم هذا البرهان في أمر خطير كهذا ، وهم ليسوا ذوى سليقة لغوية متأصلة الحسن في البلاغة . . ما لفهم ذلك إلى إثبات النبوة أى لفت ، لأن البرهان في مثل هذا الأمر إنما يكون بما يعجز أهل الخبرة والقدرة الخاصة في ما لهم به خبرة وقدرة ، فيثبت العجز على غيرهم من باب أولى . أما إعجاز غير أهل الخبرة فلا عبرة به في إثبات نبوة . فما برح الناس يعلمون أن الطيب يقدر على مالا يقدر عليه غير الطيب ، وكذلك الصانع والنحات الخ .



الفصل الرابع

السليقية ، وضرورة الشواهد

إن لسليقية الفصاحة تلك حقوقها . . .

لقد تبين في شرحنا لمعنى سليقية اللاغى أن هذا اللاغى يسمى أشياء البيئة بناء على حسه بها وانطباعه عنها ، أى أن اللغة تعبير عن حس اللاغى بكل ما فى البيئة من أشياء وعناصر ، وتقديره أو تكييفه لها . وذكرنا أيضاً أن ذلك الحس وهذا التكييف يتأثران بالبيئة التى تربى فى اللاغى العربى مزاجه العام . وبذلك فإن اللغة صدى صادق لنفوس أهلها وبيئتهم على السواء ، بل إنها تكاد تكون منحوتة من تلك النفوس وتلك البيئة معاً.

ولذا فإنه ينبغى حماية طابعها وخصائصها ، ألا ينسب إليها إلا ما هو

منها ، بأن يثبت صدوره عن أهل السليقة فيها ، أو يكون جارياً مجرى

ما صدر عنهم فى جملته وتفصيله . ذلك حق هذه اللغة السليقية ، وحق

أهلها ، وحق الأمانة العلمية أيضاً . ومن هنا وجب على كل من أصدر

حكماً عن العربية : فى متنها ، أو أصواتها ، أو لهجاتها ، أو دلالاتها ،

أو فى نحوها أو صرفها ، أن يأتى بشواهد من كلام أصحاب السليقة تصدق

وجود ذلك فى كلام العرب ، أو أخذه منه .

إن للشواهد وظيفتين أساسيتين : الأولى إثبات واقع اللغة فى مستوياتها :

لأصوات ، والصرف أو الصيغ ، والنحو أو التركيب ، والمتن والدلالة .

والثانية : أنها مأخذ ضوابط اللغة وحدودها ، وسنن أهل السليقة فيها .

وعلى هاتين الوظيفتين يقوم بناء اللغة التي يراد لها أن تطرد وتعيش ،
وتبقى حافظة خصائصها ، حاملة لطابعها السليبي الأصلي .

إن هذا الذي ذكرناه من وظيفتي الشواهد وهدفها هو حق لكل لغة ،
فليس من شك في أن استمرار اللغة - كل لغة - منوط بالتزام أهلها
والمحدثين بها بحدودها وأعرافها ، وأن استمرار اللغة يمثل واحداً من
أهم المقومات القومية والخصائص الاجتماعية لأهلها . ومن ثم فإن الحفاظ
على اللغة واستمرارها يدخل ضمن الواجبات الوطنية والقومية لكل أمة
ولكنه هنا حفاظ قائم على العصبية للوطن والأمة فحسب ، أما الحفاظ
على العربية ، فله فوق ذلك أساس ثان هو أنها تستحق لذاتها أن يحافظ
عليها أهلها ، وذلك لما فيها من سلفية قائمة على علاقات إيجابية متينة
بين ألفاظها ومعانيها - على ما بينا من قبل .

بل إنني أزعم أن العربية تستحق - بهذه العلاقات الإيجابية بين
ألفاظها ومعانيها - أن يحافظ عليها ويغار لها كل إنسان مهما كانت لغته
أو وطنه أو دينه ، لأنها المثل الأعلى والأكمل للغة الإنسانية ، من حيث
إن الألفاظ فيها تعبر عن معانيها تعبيراً حقيقياً مبنياً على ملاحظ حقيقية ،
وليست ترديدات عجماء ارتبطت بمعانيها عشوائياً ، كما ترتبط أصوات
الحيوانات بحاجاتها الضرورية من طعام وشراب وحنين وما إليها - على
ما هو مقتضى كلام دعاة الرمزية اللغوية .

- ثم إنه إذا كان للأمة غير الإسلامية أو العربية أن تكتفى من ذلك الحفاظ
بمقاومة الإحلال القهري - أي أن تحمل لغة أخرى محل لغتها قهراً ، ولا تدفع التطور
مهما كان خطيراً ، بل ولا تدفع الإحلال الذي تبرره عوامله ... إذا جاز لغير
العرب أو المسلمين ذلك ، فإنه لا يتأتى للعرب أو للمسلمين منهم أو من غيرهم أن
يقبلوا الإحلال مهما كانت مبرراته ، ولا أن يساموا بالتطور إلا في حدود
التطور الدلالي المقبول الصلة بأصوله الدلالية . فليس للمسلم أن يقبل
دخول أصوات (=حروف) غير عربية إلى الأبجدية العربية لتستعمل في الألفاظ
العربية ، أو خروج أصوات عربية منها ، كما لا يسوغ له أن يقبل في

صياغة المفردات أو التراكيب أساليب غير عربية ، لأنه إن قبل أيا من ذلك أدى الأمر إلى تغير اللغة العربية وتحويلها إلى لغة أخرى - على سنن ما تغيرت إليه اللغات الأوروبية الحديثة عن اليونانية واللاتينية ، وبذلك يجهل اللغة العربية الأصلية التي نزل بها مصدر التشريع الإسلامى الأول - القرآن الكريم ، وصيغ فيها مصدر التشريع الإسلامى الثانى - الحديث الشريف ، ثم آثار الصحابة والتابعين ، وبذلك ينقطع ما بينه وبين منار هدايته - والعياذ بالله تعالى من ذلك .

بل إن المسلم مطالب فوق ذلك باستجلاء دلالات كل ما فى القرآن الكريم والحديث الشريف والآثار مهما دق - على ما كانت اللغة عليه فى عصر نزول القرآن الكريم وصدور الحديث الشريف ، وسائر الآثار ،

ولإبراز تلك الدلالات وأصولها من الاستعمالات اللغوية فى ذلك العصر بأوضح ما يكون ، ثم تكثيف الدراسات اللغوية التى تكفل إبقاء تلك الاستعمالات اللغوية ودلالاتها معروفة حية فى الأذهان جارية فى الاستعمال وذلك لأن الأحكام التشريعية وسائر التعاليم الإسلامية ، وكذلك الأخبار وسائر معطيات تلك النصوص المقدسة وما ألحق بها إنما أخذت - ولا تزال تؤخذ - من تلك النصوص على ما كانت عليه دلالات الألفاظ والاستعمالات اللغوية فى ذلك العصر الأول - عصر القرآن والحديث والآثار - لا على ما يمكن أن تكون قد تطورت إليه دلالات الألفاظ والاستعمالات فى أى من العصور التى تلت ذلك العصر .

وأمر الشواهد فى هذين المستويين أعظم خطراً ، لأنه قد يكتفى منها فى مستوى الحفاظ القائم على العصبية الوطنية والقومية ببيان مسار اللغة إجمالاً ، لكنها فى هذين المستويين مطاوعة لتحرير دلالات الألفاظ والاستعمالات اللغوية تحريراً دقيقاً تترتب عليه تفسيرات نصوصنا المقدسة تلك ، كما يترتب عليه تحديد الأحكام الشرعية التى يمكن أن تستنبط من كل هذه النصوص .

وبعد، فإنه إذا كانت الحجج الشرعية فى الاستعمالات اللغوية لنصوصنا المقدسة ودلالاتها تناط أو ينبغى أن تناط بدلالاتها فى عصرها الذى يبدأ

(م ٤ - الاحتجاج بالشعر فى اللغة)

- ٥٠ -

ينزل القرآن الكريم - ولكنه يقوم على ما عرف من التناجى اللغوى منذ الجاهلية - ويمتد إلى نحو منتصف القرن الثانى - حيث ينتهى عصر التابعين ، فهذا يعنى أن عصر الحجية الشرعية لدلالة الاستعمالات اللغوية هذا قد تطابق مع عصر الاحتجاج اللغوى بالنصوص اللغوية عامة وهو العصر الذى يبدأ بالتناجى اللغوى المعروف للجاهليين وينتهى بمنتصف القرن الثانى الهجرى أو آخره - على ما سيأتى .

وهذا يعنى ازدياد قيمة الشواهد اللغوية ، لأن الأحكام المبنية عليها تغطى المجالين اللغوى والشرعى على السواء .

* * *

بعد أن أقمنا ضرورة الاحتجاج اللغوى على عمد من السليقة اللغوية العربية والحفاظ الوطنى والقومى ، والاعتزاز الحضارى ، والغيرة - بل الضرورة الدينية ، علينا أن نتناول موضوع الاحتجاج اللغوى والدراسات المتعلقة به لنخلص إلى ما ينبغى أن يكون لنضمن للغتنا مسيرة قوية ومزدهرة إن شاء الله تعالى .

ولكن علينا قبل ذلك أن نقف مع معنى الشاهد ومعنى الاحتجاج به لنستخلص منه ما يمكن أن يظاهر الدراسات التالية فى تحقيق هدف البحث .

* * *

الباب الثاني

الشاهد ومعنى الاستشهاد

الفصل الأول

الشواهد وأنواعها

● يراد بالشاهد هنا ما يؤتى به من الكلام العربي الفصيح ليشهد بصحة نسبة لفظ أو صيغة أو عبارة أو دلالة إلى العربية .

– والحاجة إلى الشواهد في اللغة العربية ملحة حتى لا ينسب إلى اللغة ما ليس منها في أي من المجالات السابقة ، ولأن ذلك يترتب عليه فساد في الأحكام الدينية بالإضافة إلى الفساد اللغوي كما ذكرنا من قبل .

– والكلام العربي الذي يحتج به هو القرآن الكريم ، والحديث الشريف وما أثر من كلام العرب شعراً ونثراً منذ الجاهلية حتى نهاية عصر الاحتجاج،

– فالقرآن الكريم هو ذروة الذرا من الكلام العربي ، وهو أولى الكلام العربي بأن يحتج به ، والأئمة على ذلك ، وقد احتجوا بمئاته وشأته . (١)

(١) انظر المحتسب لابن جني ٢٢/١ - ٢٣ ، والاقتراح للسيوطي ٨ ، والخزانة للبغدادى (هارون) ٩/١ ، وشرح كفاية المتحفظ ٩٦ .

- والحديث الشريف : ذهب جمع من الأئمة إلى الاحتجاج به - ألفاظه وتراكيبه - في اللغة ، والذين منعوا ذلك دفعهم إلى المنع تجويز رواية الحديث الشريف بمعناه ، أى دون الالتزام التام بألفاظه (١) - (مع دخول الأعاجم في روايته) .

- وأما كلام العرب ، فلا كلام في أنه مناط الاحتجاج ، ولكن الكلام في تحديد القبائل والمناطق التي يحتج بكلام أهلها ، والحد الزمني الذي يقف الاحتجاج عنده . وسأني هذا مفصلاً .

• ولكن الملاحظ أن الاحتجاج بالشعر أفشى وأشيع كثيراً من الاحتجاج بكلام العرب النثرى ، ولعل هذا سببه شيوع حفظ الشعر ، لأن إيقاعاته تساعد على ذلك ، وحضوره الدائم بذلك في ذاكرة الأئمة - أصحاب الدراسات اللغوية التي جاءت بالضوابط اللغوية في شتى المستويات ، كما أن رواية الشعر أخرى أن تكون أضبط ؛ لأن الضبط يمثل عنصراً من عناصر إيقاعه .

- وأخيراً ، فلا شك أن الشعر في مجمله يمثل الطبقة العليا من كلام العرب في باديتهم وحاضرتهم أكثر مما يمثلها كلامهم المنشور .

ومن الحق أن توضع قواعد اللغة في ضوء أعلى طبقات نتاجها .

• وربما كان الاحتجاج اللغوى بالشعر واحداً من أبكر صور الدراسات اللغوية ، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه تساءل عن معنى قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف » (٢) ، فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا يا أمير المؤمنين . التخوف النقص ... قال عمر : فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي :

(١) انظر الاقتراح ٥٢ والخزانة (هارون) ١/٩ - ١٥ ، وشرح كفاية التحفظ

(٢) الآية ٤٧ من سورة النمل .

تَخَوُّفُ الرِّحْلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا . كَمَا تَخَوُّفُ عَوْدِ النُّبْعَةِ السُّفْنِ .
فقال عمر : « أيها الناس عليكم بديوانكم - شعر الجاهلية . فإن فيه
تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم » (١) .

• فهذا احتجاج لغوى بالشعر دقيق . وقد توفي عمر رضى الله عنه
سنة (٢٣ هـ) . ومناط الدلالة في هذه القصّة هو طاب عمر حجة من كلام
العرب تدل لتفسير كلمة التخوف في الآية ، ثم تعليقه الذى حض فيه على
حفظ شعر الجاهلية ، وتقريره أن فيه تفسير الكتاب العزيز ، وبيان
معاني كلام العرب .

• ولقد أخذ هذا الاتجاه الذى قرره عمر رضى الله عنه مساراً بالغ
القوة والتمكن نظرياً وتطبيقياً على يد حبر الأمة عبد الله بن عباس (٦٨ هـ)
رضى الله عنهما ، إذ قرر ما قاله عمر في أكثر من عبارة منها : « الشعر
ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف (= الكلمة) من القرآن الذى
أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه » (٢) .

- وظى ذلك المنهج عند ابن عباس بتطبيق جيدٍ موسع في ما عرف
بمسائل نافع بن الأزرق (٦٥ هـ) ، ونجدة بن عويمر (٦٩ هـ) لابن
عباس عن معاني ألفاظ من القرآن الكريم إذ طالباه بأن يشفع تفسيره
لكل لفظ بمصادقة (أى بما يصدقه) من كلام العرب ، فأجابهم إلى
ما سألوه ، وجاءهم مع كل تفسير لكلمة بيت من الشعر يشهد لتفسيره (٣) .

- ومن ذلك سؤال نافع إياه عن قوله تعالى : « عن اليمين وعن

(١) القصة في تفسير الزمخشري (الكشاف) ٢/٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/١١٠ -
١١١ - واللفظ له مع تصرف يسير .

(٢) الإتيقان للسيوطي (أبو الفضل) ٢/٦٧ .

(٣) المسائل وأجوبتها وشواهدهما في الإتيقان (تحقيق أبي الفضل) ٢/٦٧ - ١٠٥ .

— ٥٤ —

الشمال عزيز ، ، فقال العززون حَلَقَ الرِّفَاقَ (١) قال : وهل تعرف
للعرب ذلك ؟ قال : نعم . أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يُهْرَعُونَ إليه حتى . . يكونوا حول منبره عزيزنا (٢)

— وهكذا مضيا يسألان وهو يجيب ويستشهد حتى بلغت المسائل
— على ما تجمع من الروايات — أكثر من مئتين (٣) .

— وبصرف النظر عما قد يكون في كمّ الشواهد في هذه القصة من
إضافات منحولة ، فلا شك أن أصل القصة صحيح بما فيه من الاحتجاج
للمعاني اللغوية بالشعر .

— وقد أخذ بهذا الاتجاه أيضاً : أبو الأسود الدؤلي (٦٩ هـ) .

ومما يروى من استشهاده بالشعر قوله :

« من العرب من يقول : لولاي لكان كذا وكذا (أى يدخل لولا
على الضمير المتصل) . وقال الشاعر :

وكم موطن لولاي طحنت كما هوى
بأجرأه من قنّة النبق منهوى

وكذلك لولا أنتم ، ولولاكم ابتداء وخبره محذوف » (٤) .

وكان من الطبيعي أن يستمر هذا الاتجاه ، أعني الاحتجاج بالشعر في اللغة
— كما ينسب إلى عكرمة تلميذ ابن عباس أخذه به (٥) — حتى صار منهجا
متلئبا عند اللغويين بعد ذلك .

(١) الحلق (كنب) جمع حلقة (بالفتح) ، والرفاق جمع رفيق ، وفي الإتيقان المحقق
٦٨/٢ : الحلق الرِّفَاق (بفتح الحاء والراء وبالقاف) ولا معنى له . والصواب ما ذكرناه .
راجع الإتيقان (ط ٣ مصطفي الحلبي ١ / ١٢٠) ولسان العرب (حلق ، عزا) .

(٢) الإتيقان (أبو الفضل) ٦٨/٢ .

(٣) انظر التعليق الثالث قبل هذا .

(٤) العقد (فيحة) ٣١٣/٢ ، (أحمد أمين وصاحبه) ٤٨٥/٢ .

(٥) الأشباه والنظائر ٣١ .

ومما ينسب إلى عبد الله بن أبي إسحاق (١١٧ هـ) احتجاجه لإجازة إياك الأسد بقول الشاعر :

فإياك إياك المراء فإنه . . إلى الشر دعاء وللشر جالب (١)

وفي احتجاج أبي عمرو بالشعر ، يقول الأصمعي (٢١٦ هـ) : « سألت أبا عمرو بن العلاء عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة » .
ومن أمثلة احتجاجاته :

« قال الأصمعي : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تبارك وتعالى : « فعزّزنا بثالث » مثقلة (يعني بتضعيف الزاي الأولى) فقال : شدّدنا ، وأنشد للمتلمس :

أجُد إذا ضمّرت تعزّز لحمها . . وإذا تشدّد بنسعها لا تنبس . (٢)

- ومن أمثلة احتجاجات الخليل ، قوله :

« أنشدني أعرابي :

وإن كلاباً هذه عشر أبطن . . وأنت برئ من قبائلها العشر

قال : فجعلت أعجب من قوله : « عشر أبطن » (حيث ذكر كلمة عشر مما قد يعني أنه يعد البطن مؤنثاً (٣) - مع أنه مذكر - وسبب تعجب الخليل أن هذا أعرابي فصيح لا يتوقع منه الخطأ) فلما رأى عجيبي قال : أليس هكذا قول الآخر :

(١) الكتاب (هارون) ٢٧٥/١ .

(٢) أخبار النحويين البصريين ٢٢ ، وانظر أيضاً مجالس العلماء (هارون ط ٢) ٢٥٥ حيث احتج لقراءة « لتخذت عليه أجرا » (الكهف ٧٧) (أي قراءة تخذ بوزن فرح) بقول الميزاب العبدى « وقد تخذت رجل إلى جنب غرزها . . نسيّاً كأنفوحس القطاة المطرق .

(٣) القاعدة أن الأعداد من ٣ إلى ١٠ تؤنث إذا كان تمييزها مذكراً ، وتذكر إذا كان مؤنثاً . وبما أنه ذكر لفظ (عشر) هنا فهذا قد يفهم منه أنه يعد البطن (الذى هو مفرد أبطن التى هى تمييز عشر) مؤنثاً . ولكن الأعرابي قصد بالبطن القبيلة - والقبيلة مؤنثة كما هو ظاهر - ولذا جاء بالعدد عشر معها مذكراً .

- ٥٦ -

وكان مجنىً دون من كنت أنقى
ثلاث شخصٍ : كاعبان ومغصير (١)

ثم نجد في الكتاب لسيدويه ألفاً وخمسين شاهداً شعرياً احتج بها على مقرر
من أحكام لغوية كثير منها مما أخذ عن اللغويين السابقين ولا شك .

كلمة شاهد :

أما عن تاريخ كلمة الشاهد ، فقد كانت معروفة من قديم ،
وجاءت في القرآن الكريم : « وشهد شاهد من أهلها » (٢) ، وجاءت
كلمة شهيد بمعناها في بعض المواضع كقوله تعالى : « ولا يضار كاتب ولا
شهيد » (٣) .

وأصل معناها الشهود بمعنى الحضور ، والوجود في مكان الحدث ،
ويلزمه الرؤية .

ويراد بالشهادة في الأحداث تقرير ما رآه الشاهد بشأن حدث ما ،
وما تقرره الرؤية هو الحق والصدق في ذلك الحدث . والشاهد بذلك
يصدق دعوى من تتفق روايته للحدث مع رؤية الشاهد .

— والشاهد هنا في البحث اللغوي يصدق دعوى أن تلك الكلمة ، أو
الصيغة ، أو العبارة ، أو الدلالة هي من كلام العرب .

— ولا شك أن القصة التي ذكرناها عن تساؤل عمر عن معنى كلمة
التخوف يصدق فيها اسم الشاهد على بيت أبي كبير ذاك صدقاً كاملاً ، كما
يصدق ذلك الاسم على تلك الأبيات التي ذكرها ابن عباس في ردوده على

(١) المعتمد الفريد (قيحة) ٣١٢/٢ ، (أحمد أمين وصاحبه) ٤٨٤/٢ . ومعنى
إجابة الأعرابي أنه قصد بالأبطل القبائل كما جاء في آخر البيت « من قبائلها العشر » كما فعل
ابن أبي ربيعة في قوله ثلاث شخصٍ فجاء بكلمة ثلاث مذكورة مع أن الشخص مفرد الشخص
مذكر فكان حقه أن يؤنث كلمة ثلاث ولكنه ذكرها نظراً إلى أنه قصد بتمييزها وهو الشخص
مؤنثاً وهو الفتيات كما هو واضح من وصفهن كاعبان ومغصير .

(٢) من يوسف ٢٦

(٣) من البقرة ٢٨٢

ابن الأزرقي وابن عريمر - وإن لم يصرح في أى من تلك الاستشهادات بكلمة الشاهد ، إذ يبدو أن كلمة الشاهد لم تستقر على معناها الدقيق في الاحتجاج اللغوي إلا في القرن الثاني ؛ فقد جاء في مروج الذهب أن الحجاج (٩٥ هـ) سأل سميرة بن الجعد الشيباني : هل تروى الشعر ؟ قال : « إني لأروى المثل والشاهد » ، قال الحجاج : المثل قد عرفناه ، فما الشاهد ؟ قال : اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر ، فإني أروى ذلك الشاهد . (١) فهذا طور سابق على استعمال كلمة « الشاهد » بمعناها الاصطلاحي في اللغة .

أنواع الاستشهاد :

- نقل البغدادى عن أبي جعفر الرعيني (الأندلسي) قوله :

« علوم الأدب ستة : اللغة والصرف والنحو ، والمعاني والبيان والبديع ، والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة ، فإنها يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين ، لأنها راجعة إلى المعاني ، ولا فرق في ذلك (أى في المعاني) بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحرى وأبي تمام وأبي الطيب ، وهلم جرا . » ١ . هـ (٢)

وهذا يعنى أن هناك نوعين من الاستشهاد

استشهاد لغوي ، واستشهاد في المعاني .

ونبين الآن الاستشهاد في المعاني حتى نفرغ للاستشهاد اللغوي .

والاستشهاد بالمعاني - يقصد بالمعاني فيه - كما يؤخذ من كلام الأندلسي - المعاني العقلية ، وهى الفكر العامة أو الكلية التى تخطر للعقل أى أنها لا يقصد بها معنى لفظ أو تركيب مثلاً .

(١) مروج الذهب ٢ / ١٤٣ .

(٢) الخزائن (هارون) ١ / ٥ .

وقد يغنى عن الإطالة في شرح المراد بها أن نذكر أمثلة من تلك الاستشهادات التي في مجال المعاني :

— جاء في شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمي ، في قول ابن دريد :

إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمن
أنَّ قُصاراهُ نَفَادٌ وَتَوَى

... وهذا مأخوذ من قول الأسود بن يعفر :

فأرى النعيم وكلَّ ما يُلهي به . . . يوماً يصير إلى بلى و نَفَاد
وقال آخر :

والناس يبلون كما تبلى الشجر .

وقال آخر :

كم غُصْن أخضر عاد جمرًا .

وقالت ليلى الأخيلية :

وكل شباب أو جديد إلى بلى وكل امرئ يوماً إلى الله صائر

وهذه كلها راجعة إلى معنى واحد . . . اهـ (١)

— والمعنى الواحد الذي ترجع إليه كلها ، هو أن كل شيء أو كل جديد سيبلى يوماً ما . وهذا كما ترى معنى كلي ، أو فكرة عقلية يعبر عنها كل من الأبيات والسطور السابقة .

— فهذا النوع من الاستشهاد هو الذي سماه الأندلسي راجعاً إلى المعاني ونسبه إلى العقل ، وإلى علوم البلاغة . ولذا قد يسمى استشهاداً في مجال الفكرة ، أو المعنى العقلي ، أو البلاغي ، أو الشعري .

— وهذا النوع منشور بغزارة في كتب المعاني والأدب والبلاغة . ومن أمثلة ما جاء منه في شرح الحماسة :

(١) شرح المقصورة لابن هشام .

- ٥٩ -

- قال المرزوقي في قول عروة بن الورد :

لَيْبَلُغْ عُدْرًا أَوْ يَصِيبَ رَغِيْبَةً . . . وَ مُبْلِغُ نَفْسٍ عُدْرَهَا مِثْلُ مَنْجَعٍ

قال : « وفي طريقته قول أبي تمام :

✓ لأمر عليهم أن تسم صدوره . . . وليس عليهم أن تم عواقبه (١)

- وفي قول منقذ الحلالى :

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشٍ إِذَا كُنْتُ مِنْهُ . . . بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشَكٍ رَحِيلٌ .

كُلُّ فَجٍّ مِنْ الْبِلَادِ كَأَنِّي . . . طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولٍ .

قال المرزوقي : وقواه كل فج . . . قد سلك مثل هذا المسلك

أبو تمام في قوله :

كَأَنَّ بِهِ ضِعْفًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ . . . مِنَ الْأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ (٢)

- وفي قول تأبط شرأ :

فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ دَحِ الصَّفَا

بِهِ كَدْحَةٌ وَالْمَوْتُ خَزْيَانٌ يَنْظُرُ

قال : « يقول : أسهلت ولم يؤثر الصفا في صدرى أترأ ، لا خدشاً

ولا خمشاً ، والموت كان طمع في ، فلما رآنى وقد تخلصت بقى مستحيماً

ينظر ويتحير وقد سلك أبو تمام مسلك هذه الاستعارة فقال :

• إِنْ تَنْفَلَيْتُ وَأَنْوَفُ الْمَوْتِ رَانِمَةٌ • (٣)

- وفي قول دريد بن الصمة :

تَرَاهُ خَمِيصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ . . . عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمَقْدُودُ .

قال : « مثل المصراع الأول ، قول الآخر :

• يَا بَيْسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُوسٍ •

(١) المرزوقي ص ٤٦٥ - ٤٦٦

(٢) المرزوقي ص ١١٩٨ - ١١٩٩

(٣) نفسه ص ٨٢ .

- ٦٠ -

« يصفه بقلة الطعام مع اتساع الحال ، وطاعة الزاد ، فيقول : ترى بطنة منطويًا ، والزاد مُعَدَّ ، لأنه يؤثر به غيره على نفسه ، ولأنه لا نهمة ثم ولا حرص على عمارة البدن ، ولا على استسراء الثياب ، فهو يغدو في القميص المعزق ، إذ كان يبتذل نفسه في ما كان يَكْسِبُهُ فخراً وعلوًا. (١)

وفي قول دريد أيضاً :

وإن مَسَّهُ الإقواءُ والجهدُ زاده . . . سَمَاحاً وإتلافا لما كان في اليد

قال :

« يقول : وإن اتفق عليه إعمار ونفاد زاد ، وجهد من نكد الزمان وإعواز زاده سخاء وإتلافاً للحال ، جَرِيًّا على عاداته التي ألفها ، لا يهضمه ضر ، ولا يلفته فقر . ويقال : أقوى الرجل ، إذا نفد زاده :

ويقال : زاد الشيء ضد نقص ، وزدته أنا فازداد . وفي طريقته قول الآخر :

قَدْ جَعَلَ اللهُ فِيكَ قَلْبًا . . . بَأْبَى عَلَى الشُّغْلِ أَنْ يَضِيقَا (٢)

(١) المرزوق ص ٨٢٠

(٢) نفسه ص ٨٢٠ .

الفصل الثاني

☆ التعريف الاصطلاحي للشاهد اللغوي وتفصيله

- جاء في كشف اصطلاحات الفنون (شهد) :

« الشاهد عند أهل العربية : الجزئ الذي يستشهد به في إثبات القاعدة ، لكون ذلك الجزئ من التنزيل ، أو من كلام العرب الموثوق بعريبتهم . وهو أخص من المثال . » اهـ (١)

وجاء في (مثل) : « المثال بالكسر يطلق على الجزئ الذي يذكر لإيضاح القاعدة ، وإيصاله (كذا) إلى فهم المستفيد ، كما يقال الفاعل كذا ومثاله « زيد » في : « ضرب زيد » ، وهو أعم من الشاهد . » (٢) اهـ المراد .

ثم ذكر بعد ذلك أن الشاهد يجب أن يكون نصاً في ما يستشهد به (فيه) ولا يكون محتملاً لغيره ، بخلاف المثال فإنه يكفيه كونه محتملاً لما أورد لتوضيحه . . (٣) اهـ .

- وهذا كلام فيه إجمال يقصر به عما ينبغي :

١ - فالواضح أنه يقصد « بالجزئ » البيت أو الشطر الذي يستشهد به في حكم لغوي كائناً ما كان . ولكن الأمر في الكلام على ما محتج به ينبغي ألا يقتصر على الأبيات أو الشطور التي وقع الاحتجاج بها في الأحكام اللغوية .

- فهناك الشعر الذي رواه الرواة ودخل في عصر الاحتجاج ، ومنه

(١) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي (شهد) (خياط ٧٣٨/٣)

(٢) نفسه (١٣٤١/٦)

(٣) نفسه

القصاصد والقطع التي أخذت منها تلك الشواهد الجزئية . فهذا الشعر كل (جزئى) فيه صالح لأن يحتاج به فى اللغة . ولا نظن أن أحداً يجادل فى هذا .

— وبما أن ذلك الشعر كله حجة — أى يمكن الاحتجاج بكل جزئ فيه — فإن روايته تحسب احتجاجاً ، بمعنى أن روايته ثقة فى حجيته ، سواء فى المعانى العامة ، ومنها الفكر العقلية ، والأخبار التاريخية والحضارية ، أو المعانى البلاغية . . . وليس أى من ذلك موضوعنا ، أو فى ألفاظه ، وصيغته ، وعباراته ، واستعمالاته ، ودلالة كل منها . . . وذلك هو موضوعنا .

وبهذا ينبغي أن يفهم موقف أئمة اللغويين مما يروى وما لا يروى من الشعر كشعر المولدين . وأن تفهم كلمة أبى عمرو بن العلاء : « لقد كثر هذا المولد وحسن حتى هممت بروايته » أو « أن أمر فتياننا بروايته » .

إذ لا يمكن أن تفهم كلمة أبى عمرو على أنه يعد أن مجرد استظهاره أو استظهار غيره ، شعراً ما لمجرد الاستظهار ، أو لنقله إلى جيل آخر — دون نظر إلى قيمة هذا الشعر فى ذاته وكونه معدناً للاحتجاج فى كل ما ذكرناه — مناطاً كافياً لاعتزازه أو لفخر الرواة الذين كان الواحد منهم يباهى بأنه حفظ كذا ألفاً من القصائد والأراجيز .

والخلاصة أنه ينبغي أن تعد رواية الشعر الذى يمكن أن يحتاج به أو بجزئياته — وهو ما تنطبق عليه معايير الاحتجاج — مستوى أولياً أو تمهيدياً من الاحتجاج .

٢ — وبالنظره نفسها ينبغي أن ينظر إلى شروح ذلك الشعر المروى وتفسيره : إن ذلك التفسير أو الشرح هو بيان وتحديد لمعانى ذلك الشعر على ما يعرفه المفسر أو الشارح من لسان العرب : خبرة واستعمالاً ، أو نقلاً ، أو استنباطاً بمعونة السياق والمقام .

وهذا التفسير أو الشرح يعد النص، أو ما شرح منه للاحتجاج به، وليأخذ مكانه في معاجم اللغة، وحظه في الدراسات اللغوية. فهذا هو المعين الرافد للمعاجم والدراسات اللغوية. أعني أن كل المعاجم اللغوية ما هي في آخر الأمر إلا جمع منظم للألفاظ والعبارات التي شرحت من التراث اللغوي: الشعر والنثر بصورهما من العصر الجاهلي حتى نهاية عصر الاحتجاج، والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

٣ - كذلك فإن « إثبات القاعدة » يحتاج إلى توضيحات:

الأول: أن « إثبات القاعدة » هذا يشمل كل حكم لغوي كنسبة صوت أو نطق لفظ أو صيغة أو تركيب أو استعمال إلى العربية بإثبات وروده في كلام العرب المحتج بهم، كما يشمل إثبات ورود النطق أو التصرف الأدائي من إدغام وإمالة إلى سائر الأحكام الصوتية - إثبات ورود ذلك أو ما يقاس هذا عليه عن العرب.

وكذلك الأمر في ضبط البنية والتصريف وما يطرأ على الكلمة من إعلال وإبدال، وتذكيرها أو تأنيثها، وصيغة تكسيرها وتصغيرها... وسائر الأحكام الصرفية.

وفي إثبات الأحكام الإعرابية لأنواع التراكيب، وكذلك الاستعمالات النحوية كالتعدية والازوم، وعدد مفاعيل الفعل المعدي، وأنواعها، والحروف التي يعدي بها اللازم.. وسائر الأحكام النحوية.

وفي تحديد الدلالات وحركتها وتطورها، وتطور الاستعمال اللغوي بشئى مستوياته.

الثاني: أنه يشمل إثبات جزئى القاعدة أو فرعها الذى يكون فى صورة قسم مما تنطبق عليه القاعدة - وهذا لا يكاد يحصى. كتقسيم المبتدأ إلى اسم ووصف له مرفوع أغنى عن الخبر، والاسم إلى صريح ومؤول... وتقسيم الخبر إلى مفرد وجملة وشبه جملة، والجملة إلى اسمية وفعلية... وهكذا فكل احتجاج لأى من هذه القسام هو شاهد صحيح. كقواه:

أقطنُ قومٌ سلمى أم نَوَوَا ظعننا (١)

شاهداً للمبتدأ الذى هو وصف له مرفوع أغنى عن الخبر . وهذا يعنى أنه إذا جىء لما تنطبق عليه قاعدة ما بقسيم لم يذكر من قبل فإن الشاهد الذى يحتاج به لذلك القسيم يكون شاهداً صحيحاً

— ومما يبرز وجود هذا النوع وهو إثبات القسيم — أن لدى النحاة قسائم (افتراضية) من استعمالات الكلام لا شواهد لها (٢) — ربما لأنها لم تستعمل بعد ، فهذه إذا وجدت لها استعمالات عن يوثق بفصاحته تعين قبولها ، ما دامت لا تصادم أصلاً مقررأ فى اللغة أو النحو .

الثالث : (وهو قريب من الثانى) أنه يشمل إثبات الصورة الجديدة لما تنطبق عليه القاعدة . قال الأشمونى تعليقاً على ذاك النوع من المبتدآت وهو الوصف الذى له مرفوع أغنى عن الخبر : « ثم لا فرق فى الوصف بين أن يكون اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة ، ولا فى الاستفهام بين أن يكون بالهمزة أو بهـل أو كيف أو من أو ما ، ولا فى المرفوع بين أن يكون ظاهراً أو ضميراً منفصلاً » . (٣) فهذه كلها صور لا وصف والاستفهام والمرفوع . ولم يأت هو بشواهد تغطيها كلها ، ولكن من الواضح أنه إذا جىء لأى منها بشاهد فإنه يكون حجة واستشهاداً صحيحاً

وكذلك الأمر فى قول الأشمونى : « مثل صار فى العمل ما وانقها فى المعنى من الأفعال وذلك عشرة : وهى آض ، ورجع ، وعاد ، واستحال ، وقعد ، وحار ، وارتد ، وتحول ، وغدا ، وراح . كقوله : وبالمخضر حتى آض جعداً عنطنطاً إذا قام ساوى غارب الفحل غاربه » (٤) . الخ .

(١) انظر — مثلاً — شرح الأشمونى (مع حاشية الصبان) ١٩٠/١ .

(٢) انظر — مثلاً — شرح شذور الذهب ص ٦٨ وتعليق الشيخ محيى الدين على القسم السادس من المبيات — المبني على الكسر أو نائه .

(٣) انظر شرح الأشمونى (مع حاشية الصبان) ١٩٠/١ .

(٤) شرح الأشمونى (مع حاشية الصبان) ٢٢٩/١ .

وقد جاء اكل منها بشاهد . وقيمة هذا أنه إذا كشف فعل بمعنى صار غير تلك الأفعال فإنه يعمل عملها ويكون ما يستشهد به عليه شاهداً صحيحاً .

وقد كشف في هذه المسألة بعينها مجيء الفعل جاء بمعنى صار في قول بعضهم (حكاه سيبويه) « ما جاءت حاجتك » واستندره الصبان تبعاً للتسهيل ، وحكى أن الأندلسي قصر هذا الاستعمال لجاء بمعنى صار على هذا التركيب بعينه ، بينما طرده ابن الحاجب وجعل منه جاء البر قفزين (١) .

والرابع : أن الأمر ليس دائماً أمر « قواعد » عامة تساق لها الشواهد ، وينتهي الأمر . فالنشاط اللغوي بين الناس لا يصاغ في سكك محدودة على قد القواعد . بل العكس هو الصحيح : فإن القواعد تصاغ في ضوء صور الكلام الذي يستعمل في النشاط اللغوي (بين الناس أو في الأحاديث والخطب أو الكتب) ، ثم إنها تصاغ على مقدار الكلام المستوفى الأركان (أي الجمل التي لم يحذف منها شيء) الواضح العلاقات ، والسالم من التأويل والتصرفات الطارئة ، ولكن النشاط اللغوي الواقعي (بين الناس أو في الأحاديث . . الخ) لا يكاد يخلو من حركة (خروج أو حذف أو تحوير) إذ تشارك فيه أربعة أطراف (مرسل الكلام ومتلقيه ووضوئه ومقامه) ، وكلها متحركة تتأثر صورة الكلام بظروفها ، وتنضافر هي في سد الثغرات وتحديد المعنى المراد ، ولعل المقام أخطرها قسماً في ذلك . وبهذا فإن الوقوف عند صور لتركيب العبارة محددة بأعيانها ، ورفض الخروج عنها (بتقديم أو تأخير أو حذف أو استغناء أو تقدير أو زيادة أو فصل أو تضمين الخ - حسب مقتضيات الأحوال) أمر يخالف طبيعة النشاط اللغوي . وعلى ذلك فإن تخريج صور الصياغة التي تبدو مخالفة للمقرر ، وبيان رجوعها إلى ما تقرر في اللغة وعدم خروجها عنه - هذا التخريج وما إليه ينبغي أن ينظر إليه على أنه من أهم واجبات اللغوي لأنه يعالج خصيصة

(١) نفسه (الحاشية) .

(م - هـ الاحتجاج بالشعر في اللغة)

من خصائص الأداء اللغوي ، كما ينبغي أن ينظر إلى ذلك التخريج وما إليه على أنه تأصيل للصور التي خرجت أو أولت : تصبح به تلك الصور أداء لغوياً صحيحاً فصيحاً . فالنصوص التي فيها تلك الصور هي شواهد صحيحة لأن بها تثبت تلك الصور اللغوية . فاحتسابها ضمن الشواهد الحقيقية حق لا تكلف فيه .

• ثم إن التخريج أو التأويل يحمل عبارة خبرة أثمتنا ، وهم الأمناء في علمهم تحصيلاً وأداء ، الغير على لغة القرآن والسنة والأمة والوطن . فمن الحق أن تقدر جهودهم في التخريج والتأويل وما إليهما .

• وواضح أنني لا أقصد بما أقوله هنا عن التخريج وما إليه - لا أقصد الضرر الشعري (١) ، فإن مالا يخرج إلا عليها له شأن آخر (٢) . وإنما أقصد ما هو من قبيل الاستعمالات والتراكيب المخالفة التي تعود بالتخريج إلى أصول مقررة .

• ومن أمثلة التخريج الذي يؤدي به لمواجهة ما يبدو خروجاً على القواعد المقررة :

١ - قال في « الكتاب » : « واعلم أنه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة . فالذي تشغل به « كان » المعرفة ، لأنه حد الكلام ، لأنها شيء واحد » يعني أنه إذا كانت الجملة التي دخلت عليها « كان » فيها معرفة ونكرة ، فالمعرفة هي اسم كان ، والنكرة خبرها . لأن حد الكلام

(١) الجمهور على أن الضرورة ما وقع في الشعر سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا (الخرائفة هارون ١/٦ ؛ وانظره أيضاً ١/٣١-٣٤) وعن الاحتجاج بها قال ابن الأنباري إن مجيء لضرورة شعر أو إقامة وزن أو قافية فلا حجة فيه . (الإنصاف ٦٢٨) وعن جوازها للمولدين انظر الخصائص ١/٣٢٣ حيث أجاز ابن جني وشيخه ذلك ، وانظر شرح ابن يعيش ١٠٢/٦ (هامش) حيث لم يسوغ الأندلسي ذلك للمولد .

(٢) الضرر التي نستبعد ما هي مالميس للشاعر مندوحة عنه . فهذا النوع لا دلالة لتخريجه .

أن تخبر عما يعرف بما لا يعرف (١) . وهذا يمثل القاعدة . وقد أكدته وقرره بعد ذلك بما يكفى (٢) .

ثم قال : « وقد يجوز (يعنى البدء بالنكرة والإخبار عنها بالمعرفة) فى الشعر وفى ضعف من الكلام . حملهم على ذلك أنه (يعنى كان) [فعل بمنزلة ضرب ، وأنه قد يعلم إذا ذكرت زيدا وجعلته خبراً أنه صاحب الصفة - على ضعف من الكلام . وذلك قول خدائش بن زهير :

فإنك لا تبالى بعد حَوْلٍ أَظْيَى كان أمك أم حمارُ (٣)
(يعنى بنصب « أمك » خبراً لكان ، ورفع « ظي » باعتدادها اسم كان) وقال حسان بن ثابت :

كأن سبيئةً من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء (٤)
أهـ (يعنى بنصب مزاجها خبراً ليكون ورفع عسل اسماً لها) .
كما ذكر شاهدين آخرين (٥) . وهى كلها شواهد لهذا التخريج أو التوجيه الذى أجمله فى قوله : « حملهم على ذلك أنه فعل بمنزلة ضرب ، وأنه قد يعلم إذا ذكرت زيدا وجعلته خبراً ، أنه صاحب الصفة » (يعنى التى جعلت اسماً لكان) .

٢ - ويقول - وهو يتحدث عن تأنيث الفعل إذا كان الفاعل مضافاً إلى مؤنث : « وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به » اجتمعت أهل الحمامة لأنه يقول فى كلامه « اجتمعت الحمامة » يعنى أهل الحمامة فأنث الفعل فى اللفظ إذ جعله فى اللفظ للحمامة ، فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه فى سعة الكلام . ومثله فى هذا ياطلحة أقبل (بنصب طلحة) لأن أكثر ما يدعى طلحة بالترخيم فترك الحاء على حالها ، وياتيم تيم عدى (بالنصب أيضاً) وقال الشاعر جرير :

(١) انظر النص فى الكتاب هارون ١ / ٤٧ والتعليق الذى فى الهامش .

(٢) انظر الكتاب ١ / ٤٧ - ٤٨ .

(٣) الكتاب ١ / ٤٨ .

(٤) الكتاب ١ / ٤٩ .

(٥) نفسه .

يا تيم تيم عَدِيٌّ لَا أَبَالُكُمْ لَا يَلْقِينُكُمْ فِي سَوْءِ عَمْرٍ (١)

والتخريج الذي قدمه لهذا الشاهد ولقولهم يا طلحة أقبل أنهم طردوا ما يفعل في حالة الاستعمال الأكثر - وهو (فتح) حاء طلحة عند النداء بالترخيم ، وفتح ميم تيم عند النداء مع الإضافة (تيم عدى) - طردوه في حال الإستعمال الأقل ، بأن فتحوا تاء طلحة عند النداء بغير الترخيم ، وميم عدى عند النداء بغير الإضافة .

• ومن أمثلة التقدير الذي يواجه الحذف ما جاء من قول بعض العرب : « الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشراً » و « المرء مقتول بما قَتَلَ به : إن خنجراً فخنجرًا ، وإن سيفاً فسيفاً » . قال سيبويه : كأنه قال « إن كان الذي عمِلَ خيراً جُزِيَ خيراً ، وإن كان شراً جُزِيَ شراً ، وإن كان الذي قَتَلَ به خنجراً كان الذي يُقَتَّلُ به خنجراً (٢) .. »

• ومن أمثلة ما يواجه بالتأويل : تذكير المؤنث ، وتأنيث المذكر ، والتعبير عن الواحد بالجماعة ، وعن الجماعة بالواحد . . وغير ذلك . ومن الأول قول ذى الرمة :

ثلاثة أنفُسٍ وثلاثُ دَوْدٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمانُ عَلَى عِيَالِي
حيث ذهب بالنفس إلى الإنسان فذكر « (٣) »



ولما كان المقصود بالشواهد هو إثبات أن الاستعمال اللغوي المشهود له هو من فصيح كلام العرب ، ولما كان الائتمنة قد ضربوا نطقاً زمانية ومكانية وقبيلية حول ما يعد فصيحاً من كلام العرب ، فقد لزم أن نتبين تلك النطق ، ليكون النظر فيها وفي ما يترتب عليها على بصيرة . ولذا عقدنا لها الباب التالي .

(١) الكتاب ٥٢/١ .

(٢) انظر الكتاب (هارون) ٢٥٨/١ ، والخصائص ٣٦٠/٢ .

(٣) انظر الخصائص ١١/٢ - ٣٥ ، والبيت في ١١١ .

ثَبُوتُهُ فِي كَلَامٍ مِمَّنْ يُؤْتُونَ بِهَا حَتَّى

البَابُ الثَّالِثُ

ما يحتج به من الكلام
معيار الاحتجاج ونطقه

المعيار الذي وضعوه لتقرير عروبة اللفظ بحيث يصح الاحتجاج به هو ثبوته في كلام « من يوثق بفصاحته » (١) .

ولو قالوا : « هو ثبوته في ما يوثق بفصاحته من الكلام » . . لكان أبعد من الجفاء في القول ، وأوسع الدائرة الاحتجاج .

أما عن تفصيل ما يحتج به ، وهو ما ينطبق عليه ذلك المعيار ، فقد قال فيه السيوطي : « فشمل كلام الله تعالى - وهو القرآن الكريم ، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكلام العرب قبل بعثته ، وفي زمنه ، وبعده صلى الله عليه وسلم إلى أن فسدت الألسنة بكثرة الموالدين - نظماً ونثراً ، عن مسلم أو كافر . فهذه ثلاثة أنواع (يعني القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكلام العرب) لا بد في كل منها من الثبوت » (٢) اهـ ونقف الآن مع كل منها .

(١) إذا أجملنا قاعدة ما يحتج به من كلام العرب في أنه « ما يوثق بفصاحته » من ذلك الكلام فهو معيار واحد ، والشروط التي يتحقق بها ذلك الوثوق من كون قائله عربياً ، من قبائل بعينها ، ومناطق بعينها ، في عصر زمني ينتهي عند حد معين - هذه الشروط تصبح نطقاً لذلك المعيار . ومع ذلك فإنه يمكن النظر إلى كل من هذه النطاق على أنه « معيار من عدة معايير متكاملة إذا تحققت في كلام ما صار موثقاً بفصاحته يحتج به .

(٢) الاقتراح للسيوطي ٤٨ .

الفصل الأول

الاحتجاج للغوى بالقرآن الكريم والحديث الشريف

أولاً : القرآن الكريم

قال السيوطي : « أما القرآن : فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية ، سواء كان متواتراً ، أم آحاداً ، أم شاذاً . وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية ، إذا لم تخالف قياساً معروفاً ، بل ولو خالفته محتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه ، وإن لم يحز القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ، ولا يقاس عليه نحو : (استحود) (يعني في عدم إعلالها كاستقام) وبأبي ، (يعني بكسر عينها) . أ قرئ كـ ي قرئ

• ثم أضاف السيوطي : « وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءات الشاذة لأعلم فيه خلافاً بين النحاة ... ومن ثم احتج على جواز إدخال لام الأمر على المضارع المبدوء بباء الخطاب بقراءة « فليتنفرا حوا » (س يونس ٥٨) ، كما احتج على إدخالها على المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة « ولنحمل خطاياكم » (س العنكبوت ١٢) ، واحتج على صحة قول من قال إن (لفظ الجلالة) « الله » أصله « لاه » بما قرئ شاذاً وهو الذي في السماء لاه ، وفي الأرض لاه » (س الزخرف ٨٤) انتهى كلام السيوطي هنا (١) ، وهو واضح ويمثل ما انتهى إليه الأمر عند اللغويين من الإجماع على الاحتجاج بالقراءات متواترها وآحادها وشاذها . ولا يبقى ما يضاف هنا إلا الإشارة إلى أن بعض متقدمي اللغويين والنحاة كانوا يرددون في

(١) الاقتراح للسيوطي ٤٨ .

وهو الذي في السماء لاه ، وفي الأرض لاه

الاحتجاج للغوى بما لم يرد إلا في قراءة - كما حكم ابن جنى بشذوذ ودع ماضى يدع لعدم سماعها عن العرب في علمه ، ولم يخرجها من الشذوذ بقراءة « ما ودّعك ربك وما قلى » (ودع هنا كترك وزنا ومعنى) ولا بيت أبى الأسود :

ليت شعرى عن حبيبي ما الذى غاله فى الحب حتى ودّعه

وهو موقف غريب إذ كانت القراءة تكفى سنداً ، لأنها ثابتة عن الفصحاء من الصحابة والتابعين عن النبي صلى الله عليه وسلم - وهى لا يعتد بها قراءة إلا إذا كانت كذلك . وكلف سماعها فى شعر أبى الأسود يكفى فهو فى عصر الاحتجاج وقصاحته معروفة - وقد وجد الدارسون المحدثون مزيداً من الشواهد لودع المخففة فى الشعر والحديث وأثبتها صاحب المصباح والمغرب (١) . وكذلك تخطيطه اللغويين قراءة معائش فى قوله تعالى : « وجعلنا لكم فيها معائش » (الأعراف ١٠ ، الحجر ٢٠) بالهمز لأن الذى يقلب همزة فى قواعد النحاة فى مثل هذا هو الحرف الزائد بينما الياء فى معيشة أصلية . وقد رد عليهم بقول العرب مصائب ومناثر (٢) . وهناك كثير من الأمثلة الأخرى (٣) . ولكن يكفيننا أن الموقف الأخير للغويين والنحاة استوى على الاحتجاج بالقراءات ولو كانت شاذة . يقول السيوطى : « وقد رد المتأخرون (يعنى من اللغويين والنحاة) - منهم ابن مالك - على من عاب عليهم (يعنى على القراء) ذلك (يعنى القراءات التى شذّوها اللغويون والنحاة) بأبلغ رد ، واختار جواز ما وردت به قراءاتهم فى العربية - وإن منعه الأكثرون - مستدلاً به « أى أن المتأخرين جعلوا تلك القراءات التى شذّوها بعض اللغويين دلائل على كون ما قرئ به صحيحاً فى اللغة . وهذا هو ما ينبغى أن يكون .

(١) انظر تفصيل ذلك فى « فى أصول النحو » لسيد الأفغانى ٣٠ - ٣٦ .

(٢) انظر أصول النحو ٣٦ - ٣٧ (المتن والهامية) .

(٣) انظر الاقتراح للسيوطى ٤٩ ، وأصول النحو لسيد الأفغانى ٣٧ - ٤٠ .

ثانياً : الاحتجاج اللغوي بالحديث الشريف :

— أما الحديث الشريف فقد عرف فيه علماء الثروة اللغوية كنزاً ثميناً
قوالوا على دراسته في كتب غريب الحديث التي بدأت بكتاب النضر بن
شميل المتوفى سنة (٢٠٣) هـ .

لكن علماء النحو كان لهم شأن آخر ، فانقسموا إزاء الاحتجاج
بالحديث الشريف فريقين : فريقاً غلب على ظنه أن الأحاديث الشريفة رويت بلفظه
صلى الله عليه وسلم — فهي في الثروة العليا من الفصاحة والحجبة ، أو
روى معناها بالفاظ الصحابة والتابعين — وهم داخلون في نطاق الاحتجاج
بالنحو الحرص على اللغة — فأجاز الاحتجاج بها ، وفريقاً غلب على ظنه
أنها مروية بالمعنى لا باللفظ ، « وقد تداولها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها
فرووها بما أدت إليه عبارتهم ، فزادوا ونقصوا ، وقدموا وأخروا
وأبدلوا ألفاظاً بالفاظ ... » (١) .

وقد نوشت المسألة مناقشة موسعة (٢) انتهت إلى أن هناك أنواعاً
من الأحاديث لا ينبغي الاختلاف في قبول الاحتجاج بها هي :

(أ) — ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته صلى الله عليه وسلم
كقوله : « حمى الوطيس » ، « مات حتف أنفه » ، « أرجعن مأزورات
غير مأجورات » .

(ب) — ما يروى من الأقوال كان يتعبد بها ، أو أمر بالتعبد بها كالألفاظ
التحيات والقنوت وكثير من الأذكار والأدعية ...

(ج) — ما يروى شاهداً على أنه صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل
قوم بلغتهم .

(١) الاقتراح السيوطي ٢٠٠ ، وانظر أيضاً في أصول النحو لسعيد الأفغاني ٤٦ - ٥٠ .

(٢) انظر في أصول النحو لسعيد الأفغاني ٤٦ - ٥٨ . ومن أصول بحثه القياس في اللغة
العربية للشيخ محمد الخضر حين فأنظره من ٣٢ - ٣٥ . وقد خصت د. خديجة الحديثي موضوع
الاحتجاج بالحديث يبحث ظهر في كتاب «وقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف»
فانظر

— ٧٤ —

د - الأحاديث التي وردت من طرق متعددة إلى النبي صلى الله عليه وسلم واتحدت ألفاظها . . .

هـ - الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كمالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ، والإمام الشافعي :

و - ما عرف من حال روايته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى كابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وعلى بن المديني (١) .

وما عدا هذه الأنواع الستة ، فما دون في الصدر الأول يحتاج به مالم يطعن فيه بغلط أو تصحيف أو تحريف من الرواة طعنًا قويًا ، ومالم يجيء في رواية شاذة بين روايات جارية على المعروف ، وأما مالم يدون في الصدر الأول كالأحاديث المتناثرة في الكتب المتأخرة فلا تعد حجة من الناحية اللغوية (٢) .

(١) عن أصول النحو لسعيد الأفغاني بإيجاز وتصرف يسير والأربعة الأولى في التمهيد للشيخ محمد الخضر ص ٣٤ .

(٢) انظر في أصول النحو لسعيد الأفغاني ص ٥٧ - ٥٨ .

الفصل الثاني

الاحتجاج بكلام العرب ، ونُطْق ما يحتاج به منه

بقي لنا من أنواع الكلام الذي هو موضع الاحتجاج اللغوي نوعه الأخير وهو ما يوثق بفصاحته من كلام العرب نظماً ونثراً قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ، وفي زمنه ، وبعده صلى الله عليه وسلم . وهذا النوع هو الأعم الأوسع الذي لا يكاد يحُد ، وقد كان لذلك موضع دراسات كثيرة من حيث الاحتجاج به في اللغة .

ولقد وضعت عدة نطق حول ما يوثق بفصاحته من كلام العرب لضمان هذه الفصاحة وتأسيس تلك الثقة ، وتنوعت تلك النطق فكان منها القبلي ، والقبلي المكاني معاً ، ومنها الزماني ، والزماني المكاني معاً - والصلة بينهما جد وثيقة . ونستطيع أن نوجز تلك النطق في أنه ينبغي - لكي يكون الكلام حجة في العربية - أن يكون صادراً عند نشأته الأولى - أو مروباً - عن محتج به من أهل قبائل معينة ، في مناطق مكانية محددة ، وفي ما لا يتجاوز نطاقاً زمنياً معيناً .

وهذا تفصيل لما قيل في كل من تلك النطق .

نطق ما يحتاج به من كلام العرب

(١) (النطاق القبلي)

فأما عن النطاق القبلي فقد أجمعوا على أن أفصح العرب قريش : قال ابن فارس (١) : « أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ،

(١) الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد صقر ٣٣ .

« ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلنا عليهم ، وتسميها أهل الله ، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام . لم نشبههم شائبة ، ولم تنقلهم عن مناسبتهم ناقلة ، فضيلة من الله - جل ثناؤه - لهم وتشريفا ، إذ جعلهم رهط نبيه الأذنين ، وعترته الصالحين . »

« ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عننة تميم ، ولا عجرية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكسة ربيعة ، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس ، مثل « تعلمون » و « نعلم » (بكسر حرف المضارعة) ومثل شعير وبعير (١) » (بكسر الحرف الأول من الكلمة) .

(١) الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد صقر ٣٣ - ٣٤ .

(٢) انظر الزهر ٢١٠/١ - ٢١١ . (٣) الزهر ٢١١/١ .

ب - النطاق القبلي المكاني

وأما النطاق القبلي المكاني - وهو وثيق الصلة بالمعيار السابق - فيقول فيه الفارابي - تكملة للنص السابق: « وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حقهضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسانتر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لآمن لحم ولا من جندام - لمجاوريتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاة وغسان وإباد - لمجاوريتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن ، فليأمنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان (كذا) ولا من بكر - لمجاوريتهم للقبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عثمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بني حنيفة وسكان البمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجارا اليمن المقيمين عندهم . (كذا استبعد ثقيفا ؛ وقد سبق ذكرها بين أفصح القبائل وهو الصواب) ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدعوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم . والذي نقل اللغة واللسان العربى عن هؤلاء (يقصد ولا بد عن تلك القبائل التى سبق أن ذكرت على أنها أفصح القبائل) وأثبتها فى كتاب فصيرها علماً وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب » (١) اهـ .

- وبصرف النظر عما فى كلام الفارابى هذا من تعميمات غير دقيقة - وسنفصل ذلك فيما بعد - أقول بصرف النظر عن هذا فإن تلك التحديدات القبلية والقبلية المكانية تمثل جانباً من الصوابط الجافية التى تحمكت فى جمع اللغة وأدت إلى إغفال الكثير من مفرداتها واستعمالاتها ، إذ أن ترك الأخذ عن قبيلة بأسرها أو عن أهل منطقة بأسرها فيه مالا يخفى من الجزافية وإهدار ما يمكن أن يكون هؤلاء هؤلاء استعمالوه من التراكيب والصيغ والأساليب الصحيحة الفصيحة - بدليل الاستشهاد بشعر من أشرنا إلى إفلاتهم من تلك التحديدات - ولو استبدل بهذا (الحظر العام)

حفظ انفقائي يستبعد من الأداء اللغوي لتلك القبائل والمناطق ما يشذ عن طبيعة الصيغ والاستعمالات والأسانيب العربية فحسب لاستدراك الكثير من قوat المعاجم مما كان يدعم القياسية والاطراد في القواعد اللغوية بمختلف مستوياتها - بالإضافة إلى قيمته في الثروة اللغوية .

ج - النطاق الزماني

هذا النطاق الزماني راجع إلى تقسيم الشعراء إلى طبقات : جاهليين ومخضرمين وإسلاميين وموالدين ، وقصر الاحتجاج على شعراء الطبقات الأولى الثلاث بحيث ينقضي عصره بوفاة آخر شعراء الطبقة الثالثة .

- وأساس تقسيم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين هو ظهور الدين الحنيف وما صحبه من تغير جذري في حياة العرب شمل كل شيء حتى القيم والأخلاقيات والعلاقات بكل مستوياتها . فقد تغيرت وجهات تناول الأمور والأحداث التي كان يصاغ فيها الشعر - كما تغير تقويمها عما كان في الجاهلية . وتناول ذلك التغير اللغة والشعر - إلى ذلك - من عدة جوانب منها ما كان في الألفاظ والدلالات ، ومنها أن اللغة نفسها صارت موضوعاً للدراسة . وكان (رصيدها) الطبيعي هو ما أثر عن العصر الجاهلي من النتاج اللغوي . فتقسيم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين هو كالبدهي تبعاً لذلك التغير التاريخي الاجتماعي الشامل . وكان عمر وابن عباس (رضي الله عنهما) يحيلان في تفسير ما غمض من ألفاظ القرآن الكريم إلى شعر العصر الجاهلي (١) .

(١) انظر الكشف للزمخشري، نشرة التجارية (١٣٥٤ هـ) ٢ / ٢٣٠ وتفسير القرطبي (دار الكتب) ١٠ / ١١٠ - ١١١ في قصة لفظ قال في آخرها عمر « أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم » زاد القرطبي « ومعاني كلامكم » .

والإتقان النوع ٣٦ - الفصل الثاني الخاص بما جاء عن الصحابة والتابعين من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر .

قال ابن عباس « الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلفظ العرب رجعنا إلى ديوانها فائتمنا ذلك منه » « إذا سألتموني عن غريب القرآن فائتموه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب » ولم يذكر شعر الجاهلية ولكن معظم احتجاجاته كانت به . انظر مسائل ابن الأزرقي في هذا الفصل نفسه من الإتقان .

أما طبقة المخضرمين فقد لفت إلى تحديد لها واقع هو أن هناك شعراء عاشوا دهرًا في كل من العصرين .

ومن هنا كان التقسيم إلى الطبقات الثلاث طبيعيًا .

أما الطبقة الرابعة فقد رجع الأمر فيها إلى موقف علماء اللغة من الاحتجاج بشعر تلك الطبقات . فكان أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) يصف شعر الطبقة الثالثة بأنه مواد ومحدث أى لا يحتج به . يقول : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد حممت أن أمر فتياننا بروايته » - يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وفي رواية « لقد أحسن هذا الموالد حتى .. » (١) . قال ابن رشيق : « فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يبعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين . قال الأصمعي : جلست إليه ثمانى حجج فما سمعته يحتج ببستر إسلامي » (٢) وقد توفي جرير والفرزدق كلاهما سنة ١١٠ هـ . وتوفي الأنخل (٨٩٠) وقد عدّ مولداً أيضاً (٣) .

وجاء الأصمعي (٢١٦ هـ) فزحزح حد الاحتجاج بقدر تأخره عن أبي عمرو بن العلاء تقريباً ؛ إذ روى عنه أنه قال : « ساقه الشعراء ابن ميادة (الرماح بن أبرد ١٤٩ هـ) ، و (إبراهيم) بن هرمة (١٥٠ هـ) (٤) ، ورؤبة (بن العجاج) (١٤٥ هـ) ، وحكم الحضري (الحكم بن معمر ابن قنبر - نحو ١٥٠ هـ) ، ومكين العذري (حوالى ١٦٠ هـ) (٥) ،

(١) البيان والتبيين ٢٢١/١ والعمدة لابن رشيق ٥٦/١ .

(٢) العمدة لابن رشيق ٥٦/١ - ٥٧ .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٣/١ .

(٤) فوات الوفيات ٣٥/١ - والذي جاء في الخزانة (هارون) ٤٢٥/١ ، وفي شرح شواهد المنى للسيوطي (الشنقيطي) ٦٨٢ أنه توفي في خلافة الرشيد بعد ١٥٠ هـ وم - والصواب في خلافة المنصور المتوفى ١٥٨ ومراجعة حياة ابن هرمة في الأغاني تؤكد صحة ما جاء في فوات الوفيات .

(٥) قيل عنه في معجم الشعراء للمرزباني ٤٨١ « إنه أدرك المهدي شيخاً » . والمهدي تولى (١٥٧ - ١٦٩ هـ) .

وقد رأيتهم أجمعين (١) ، والمقصود بساقاة الشعراء آخرهم وخاتمهم كساقاة الجيش . وقد جاءت العبارة في رواية الأغاني : « ختم الشعراء بابن هرمة » (٢) والمقصود أن هؤلاء هم آخر من يخرج بشعرهم من الشعراء . ومع أنه جاء في كلام الجاحظ ومحمد بن الجراح احتساب ابن هرمة ضمن المولدين (٣) ، وجاء في إحدى الروايات عن الأصمعي أن « بشارا » خاتمة الشعراء (٤) . إلا أن الأمر استقر على ما ذكرته الرواية المفصلة السابقة ، وما أكدته إحدى الروايات الأخرى عنه : « ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة ، وهو آخر الحجاج » (٥) .

وهكذا تحددت نهاية عصر الطبقة الثالثة (طبقة شعراء عصر صدر الإسلام وبنى أمية) . وعد الذين عاشوا بعد منتصف القرن الثاني زمتنا ذابال من الطبقة الرابعة طبقة المولدين ، وعد بشار بن برد المتوفى (١٦٧ هـ) أول الشعراء المحدثين (٦) . وعلى هذا جرى الأمر في تقسيم الشعراء إلى طبقات ، وتحديد آخر الطبقات التي يخرج بها وأول من لا يخرج بهم . فنجد ذلك التقسيم بصورة مجملة في طبقات ابن سلام (٢٣٢ هـ) (٧) ثم بصورة مافي البيان للجاحظ (٢٥٥ هـ) (٨) ، وبنى المرزباني (٣٨٤ هـ) كتابه الموشح على الطبقات الجاهليين ثم الإسلاميين ثم المحدثين (٩) . وفصل ابن رشيقي (٤٦٣ هـ) الطبقات الأربع على ما ذكرنا ، وحكى تقسيما للطبقة الرابعة (١٠) . وَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ التَّفْصِيلِ (١١) ، وعلى الاحتجاج بالطبقات

- (١) الشعر والشعراء (شاكر) ٧٥٣ وانظر معجم المرزباني ٤٨١ .
- (٢) الأغاني (الدار) ٣٧٣/٤ .
- (٣) البيان والتبيين (هارون) ٥١/١ ، وقاربخ بغداد ١٢٧/٦ - ١٢٨ .
- (٤) الأغاني (دار الكتب) ١٤٣/٣ ، ١٥٠ .
- (٥) الاقتراح للسيوطي ٧٠ .
- (٦) نفس المرجع والمصنف .
- (٧) طبعة دار الكتب العلمية ص ١٦ .
- (٨) البيان والتبيين ٤٩/١ - ٥٠ .
- (٩) انظر الموشح .
- (١٠) المدة ٧٢/١ .
- (١١) مثلا الشريف الجرجاني (٨١٦ هـ) حاشيته على تفسير الزمخشري ١٧٠/١ ، والسيوطي : المزهري ٤٨٩/٢ والبندادي : الخزانة (هارون) ٥/١ - ٦ .

الثلاث الأولى فحسب وإن لم يكن هذا محل إجماع . فبالرغم من قول السيوطي : « أجمعوا على أنه لا يحتاج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية » (١) . إلا أن هناك من قال بالاحتجاج بمن يوثق به من شعراء الطبقة الرابعة قال البغدادى : « واختاره الزمخشري ، وتبعه الشارح المحقق (يعنى الرضى الأستراباذى) فإنه استشهد بشعر أبى تمام في عدة مواضع من هذا الشرح » (٢) ، وسيأتى ما يؤصل هذا المذهب .

لكن المهم الآن أن نعلم أنهم قد وقفوا بعصر الاحتجاج عند منتصف القرن الثانى الهجرى ، وأنهم عدوا بشارا المتوفى - ١٦٧هـ - أول الشعراء المحدثين .

د - النطاق الزمانى المكانى

وهذا النطاق يدور على التفرقة بين البدو والحضر فى الفصححة وامتداد عصرها . والإحساس بهذا الفرق قديم ، ولكنه كان يزداد بازدياد الحس بأهمية الفصححة ، وبهبوط مستواها فى الحضر ، فكان العلماء يقصدون البادية ، والخلفاء يبعثون أبناءهم إليها ليكتسبوا مائة الفصححة . ولما وضع علم العربية ، وآان الفصل بين ما يحتاج به ومالا يحتاج به فيها ، جعلت البداوة - إقامة ولغة - أحد المعايير فى ذلك ، وكان أبو عمرو وغيره يقرنون بين القروية واللحن (٣) ويقول أبو عمرو : « لم أرقروين أفصح من الحسن والحجاج ، وكان - زعموا - لا يبرهنهما من اللحن » (٤) .

- وقد ذكر أبو عمرو بن العلاء ، والأصمعى ، ومحمد بن سلام الجمحى تلك التفرقة بين البدوى والحضرى بصدد الطعن فى مستوى

(١) الاقتراح للسيوطى ٧٠ . (٢) الخزانة ٦/١ - ٧ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١٦٣/١ .

(٤) نفسه .

فصاحة عدد من الشعراء الداخلين في النطاق الزمني للاحتجاج - معللين هذا الطعن بحضرتهم . ومن هذا : الطعن في مستوى فصاحة عدى بن زيد العبّادى لأن « ألفاظه حيزية (نسبة إلى الحيرة) وليست بنجدية » (١) أى ليست بدوية . وكذلك الأمر مع أبى ذؤاد الإيادى (٢) « ورفض الأصمعى الاحتجاج بشعر ذى الرمة في قولهم للمرأة « زوجة » لا « زوج » ، لأنه « أكل البقل والمملوح في حوانيت البقالين حتى بشم (٣) » يعنى طول إقامته في الحضر . كما أنه كان لا يعد الكمية حجة ؛ لأنه « كان من أهل الكوفة فتعلم الغريب - وفي رواية فتعلم النحو - وروى الشعر ، وكان معلما ، فلا يكون مثل أهل البدو ومن لم يكن من أهل الحضر (٤) » وينحو ذلك حكم بالنسبة للطرماح أيضا (٥) .

- وقد بين ابن جنى أساس هذا الموقف من لغة أهل الحضر في باب عتمده في الخصائص بعنوان « باب في ترك الأخذ عن أهل المدر (: الحضر) كما أخذ عن أهل الوبر (: البدو) قال فيه :

« علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخلط . ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد لغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر . وكذلك لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخيالتها ، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها وترك تلقى ما يرد عنها . وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا (٦) » اهـ . ومعنى الجملة الأخيرة أنهم أخذوا في عصره بذلك المعيار الذى ذكره : القبول من الذين لم تفسد لغتهم ، ورفض ما يأتى به من فسدت لغتهم (٧) .

(١) انظر الموشح ١٠٢ - ١٠٣ وأيضاً الوساطة للجرجاني ١٧ - ١٨ .

(٢) الموشح ١٠٤ . (٣) الموشح ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٤) الموشح ٣٠٢ . (٥) نفسه .

(٦) الخصائص ٥/٢ .

(٧) يبدو أن هذا الترك لم يكن مطلقاً فقد كان ابن جنى يفيد في اللغة من كلام بعض

الأعراب (انظر الخصائص ٧٦/١ ، ٧٨ ، ٢٣٩ - ٢٤٢ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ - مثلاً) وصرح بأنه تقبل من كلام بدوى آخر (الخصائص ٥/٢) وقد أخذ ابن دريد والأزهري والجوهري عن أعراب القرن الرابع كما سيأتى .

منتصف المئة من الهجرة
أعثر

- وخلاصة هذا النطاق الجديد أنه بالنسبة لـ أهل الأمصار فإن الراجع الاحتجاج بكلام العرب الفصحاء منهم إلى منتصف المئة الثانية كما مر ، إلا أن المتأخرين ترحلوا إلى نهاية المئة الثانية أخذاً بما قيل من فصاحة بعض أهل النصف الأخير من تلك المئة وميلاً إلى إفساح عصر الاحتجاج شيئاً ما ، وأما بالنسبة إلى أهل البادية فإنه يحتج بكلامهم إلى نهاية المئة الرابعة . يقول الشيخ أحمد الإسكندري (١) في تفصيل ذلك : العربي من أهل الأمصار هو الفصيح الذي لم يعد المائة الثانية .. كبشار وأبان اللاحق ، وقد احتج بكلامهما سيبويه (٢) ، وقال بعضهم إن الشافعي يحتج بعربيته . وقد توفي سنة ٢٠٤ هـ . وكان المرحوم الشيخ محمود الشنقيطي يقول : من تعلم العربية بالصناعة يحتج بعربيته - كالمأمون الذي لم يقع اللحن في كلامه . وأنا أقول إن فصحاء الأمصار الذين يحتج بلغتهم ينقطعون بعد المائتين » (٣) .

ثم يقول : « أما أهل البادية فقد قالوا إن كثيراً من قبائلهم كانت فصيحة إلى حدود الأربعمئة ثم فسدت لغتهم بدخول القرامطة والزنج والزط ، وغلبهم على الجزيرة » .

« أما الحجاز فقد سرى إليه (يعني إلى لغته) الفساد قبل غيره ، لكثرة الأعاجم الذين يقدون إليه للمجاورة والحج . وفسدت لغة تميم لأنها دخلت في دعوة القرامطة - على أن بعضهم يقول إن تميم لم يبق منها عربي واحد ، وإنما جلوا إلى خراسان والأندلس في صدر الإسلام . والمتنبى بعد خروجه من مصر مغاضباً لكافور الإخشيدى مر ببادية بني كلب فذكر أنه استفاد كثيراً من مخالطة أعرابهم ، وكان الفصيح منهم يصحح لغة المخطئ في هذه البادية (٤) . ولذلك أقول : إن ما أثبتته الأزهرى في التهذيب ، وابن دريد

(١) مجلة مجمع اللغة العربية (المصرى) ١/٢٩٤ .

(٢) لم أعثر على استشهادات بشعر بشار في الكتاب .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية (المصرى) ١/٢٩٤ .

(٤) يشير الإسكندري إلى ما ذكر في الخصائص ١/٢٣٩ حكاية عن المتنبى أنه كان في جماعة من العرب - حين منصرفه من مصر - وأحدهم يصف فلاة واسعة فقال بحير فيها الطرف ، فكان آخر منهم يلقنه مرأً ليصحح كلامه قائلاً له : يحار يحار .

في الجمهرة ، والجوهري في الصحاح منقولاً عن أهل البادية في زمنهم
- وهم من أهل القرن الرابع - يعد فصيحاً ، أما من جاءوا بعد ذلك
فولدون « (١) .

وقال في موضع آخر : « وأقول إن أمثال المأمون ممن تعلم بالصناعة
ولم يلحن حجة ، أما من جاوز المائتين بكثير كابن الرومي ، والمبرد وثلعب
فلا محتج بكلامهم . . . وما ورد في كلام بلغاء الأمصار من أول القرن
الثالث يستأنس به في البلاغة لا في اللغة ، أما أهل الجزيرة فنحتج بكلامهم
إلى نهاية القرن الرابع فقد نقل ابن دريد في الجمهرة والجوهري في الصحاح
كثيراً من ألفاظ أهل البادية وأدخلها في كتابيهما فنقبل ما نقلا « (٢) .

المخرصة
وواضح أن مراد هذا التحديد المكاني والزمني في كلام الإسكندري هو
الفصاحة وسلامة اللغة ، وذلك هو المعيار الأساسي الذي دار عليه كلام
ابن جني ، ويرد إليه كلام الأئمة السابقين ، بل هو المعيار الأساسي الذي
نشأت عنه كل المعايير السابقة بأنواعها ، إذ لم يكن أي منها إلا إطاراً لضمان
فصاحة الرافد اللغوي وسلامته .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية المصري ٢٩٤/١ بتصرف لفظي يسير .

(٢) نفسه بتصرف لفظي يسير .

الباب الرابع

أثر نطق الاحتجاج ومناقشتها

الفصل الأول

صورة عامة لأثر نطق الاحتجاج

كان لهذه النطق أثرها القوي ؛ إذ لقيت تحديداتها - بشكل عام - احتراماً كبيراً تمثل في الاعتراف بها ، والأخذ في تحديد طبقات الشعراء وغيرهم بها ، كما تمثل في التزام علماء اللغة بها إلى درجة كبيرة من حيث تجنب الاحتجاج بكلام الموالدين .

في الجانب الأول نجد محمد بن سلام الجمحي (٢٣١ هـ) يقتصر في طبقات فحول الشعراء على شعراء الجاهلية وصدر الإسلام - مفرقا المخضرمين بينهما ، ومعرضا عن بعد طبقة صدر الإسلام كأنما هو لا يعترف بهم (١) .

ونجد الجاحظ (٢٥٥ هـ) يعدد طائفة من الشعراء يصفهم بالموالدين منهم بشار ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية ، وابن أبي عيينة « ... وبشار أطعمهم كلهم (٢) » ثم يقول : « ولم يكن في الموالدين أصوب بديعاً من

(١) طبقات فحول الشعراء - مقدمة ابن سلام لكتابه هذا .

(٢) البيان والتبيين ١/ ٥٠ .

بشار وابن هرمة (١) - فجعل ابن هرمة (المتوفى ١٥٠ هـ) من المولدين .

ونجد ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، وأدب الكاتب (٢) ، والمبرد في الكامل ، وفي التمازي والمراثي (٣) ، والجرجاني في الوساطة (٤) ، والمرزباني في الموشح (٥) ، والصولي في أخبار أبي تمام (٦) ، وابن رشيق في العمدة (٧) وابن جني في الخصائص (٨) ، والحصري في زهر الآداب (٩) . . يتحدثون عن المولدين - أو المحدثين - ذاكرين أولهم ، أو أغلاطهم ، أو مفضلين بعضهم على بعض . . مما يعني اعتراف هؤلاء جميعاً - وهناك غيرهم أيضاً - بتلك المماير ، وبخاصة الزماني منها ، وأخذهم بها - ولو بصورة مجملة - في الحكم على هذا القائل أو ذاك بأنه مولد .

وإن كان من الإنصاف أن نذكر أن بعضهم كالحافظ وابن قتيبة ، والمبرد والجرجاني وابن رشيق لم تأسرهم فكرة التفضيل المطلق للجاهليين على المولدين ، بل ناطوا التفضيل بالبراعة الفنية (١٠) .

(١) نقه ١/٥١ .

(٢) مثلاً الشعر والشعراء ص ٤٧٧ ، ٧٥٧ ، ٨٢٧ ، وأدب الكاتب (الدالي) ٤٠٤ .

(٣) الكامل فيه الكثير جداً . انظر أول الجزء الثاني منه ثم سائر وانظر في التمازي ١٥٢ ، ١٩١ .

(٤) مثلاً ص ١٥ - ١٦ .

(٥) الشعراء في الموشح ثلاث طبقات : جاهليون وإسلاميون ومحدثون وقد عرض الكثير من المحدثين في القسم الأخير منه .

(٦) ص ١٤ ، ١٦ ، ٦٣ ، ١١٨ وغيرها .

(٧) مثلاً ١/٨٢ ، ٨٣ ، ٩١ ، ١١٠ ، ١٥٩/٢ . .

(٨) مثلاً ١/٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٩) ١١٩/٢ .

(١٠) انظر الحيوان ٢ / ٢٧ والشعر والشعراء - (شاكر) ١٠ ، ١١ والكامل (الجموني) ١ / ٢٤ والوساطة للجرجاني ١٥ - ١٦ ، والعمدة (محيي الدين) ٩٠/١ - ٩٢ ، ١٢١ - ١٢٢ .

- ٨٧ - صوتف الآتة

ومن الجانب الثاني نجد أن سيديويه ثم من بعده من النحاة قد تجنبوا الاحتجاج بشعر بشار فمن بعده من شعراء الحضر وناثريها، تجنباً شبه كامل كما تجنبوا الاحتجاج بكلام أهل البادية منذ أواسط القرن الرابع ، وبذا حرم النحو من صور رفيعة من التركيب اللغوي كانت دراستها أجدى على العربية ولاشك من تلك التف والنوادر التي شغلوا بالتقاطها وكان جل قيمتها أن تمثل شواذ أو استثناءات وتفريعات تضي على القواعد النحوية بظلال كثيفة من الاضطراب والبهوش .

موقف اللغوس

وكان موقف اللغويين أفدح أثراً ، لأنهم أخذوا بتلك المعايير بصورة شبه كاملة أيضاً ؛ إذ أعرضوا عن نتاج مئات ومئات من الشعراء والناثرين (١) ذوى الحس العربى الأصيل فحرموا اللغة من ثروة من الإضافات فى المفردات والتعبيرات لا يمكن جمعها الآن إلا بجهود كثيرة متضافرة قد لا تنيسر . وإنما كان موقف اللغويين هذا أفدح أثراً - لأن قواعد النحو يمكن فى آخر الأمر حصرها لينضوى تحتها كل ما يجرى من التركيبات اللغوية ، فالحسارة النحوية فى إهمال دراسة ما عد مولداً محدودة مهما كانت . أما اللغة فإنها بطبيعتها تيار يتدفق فى حرية تلي سبحات العقل والخواطر الإنسانية التى لا تحدد . فالوقوف عند مفردات وتراكيب وعبارات لغوية بعينها ورفض الزيادة عليها كماً ، ورفض ما قد تتطور إليه دلالة بعضها أمر مخالف تماماً

(١) بلغ عدد شعراء العصر العباسى (من ١٥٠ هـ إلى نحو ٤٣٠ هـ) الذين أرخ لهم فؤاد سزكين نحو (٢٥٠) شاعراً ولا بد أنه فاته الكثير إذ أن معجم لسان العرب فيه شعر لنحو ١٢٠٠ غير ما استدركه عليه التمام د. نوري القيسى - ومع أن شعراء لسان العرب منهم جاهليون إلا أنهم لا يبلغون ما ينقص شعراء تلك الفترة فى العصر العباسى عن ألف لأن العصر الذى أخذت منه شواهد معجم لسان العرب لا يتعدى منتصف القرن الخامس أيضاً . وكل هذا مما الأدباء وعلماء اللغة وغيرها وسائر المؤلفين - وهم فى تلك الفترة الزمنية نفسها (١٥٠ - ٤٣٠ هـ) آلاف - انظر قاريخ التراث لفؤاد سزكين المجلد الثانى (الشعر) الجزء الرابع والخامس وفهرس المجلد الثانى فى الجزء الخامس .

لطبيعة اللغة ووظيفتها في الامتزاج بخواطر العقل ومسبحاته وأفكاره ، وفي بلورتها والتعبير عنها — بالإضافة إلى ما في هذا الرفض من خسارة تتمثل في حرمان اللغة من صياغات جديدة ومن التعبير عن معان جديدة .

ولعل تقديم صورة واقعية عن مدى أخذ الدراسات اللغوية بنتائج (المولدين) أو تجنبها ذلك النتائج يوضح الأمر بصورة أفضل .



الفصل الثاني

صورة واقعية تفصيلية

تجنب اللغويون الاحتجاج في مؤلفاتهم بشعر المولدين - تأثراً بنطق الاحتجاج - تجنباً شبه كامل . وتتضح صورة هذا التجنب على حقيقتها ببيان مدى خلو تلك المؤلفات من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين في ضوء بحث واقع تلك المؤلفات من هذا الجانب بحثاً علمياً ، حيث يتبين أنه :-

أولاً : في مجال متن اللغة وما إليه .

- ليس في مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢١٠ هـ) من شعر المولدين المستشهد به (في اللغة) إلا بيت واحد لمطيع بن إياس (١٧٠ هـ) (١) . مع أن فيه نحو ألف ومئة وخمسين شاهداً .

- وليس في معاني القرآن الأخفش الأوسط (٢١٥ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعراء مولدين . وفيه ٣١٧ شاهداً (٢) .

- وليس في كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) من

(١) مجاز القرآن ١٦٩/٢ « لا فيها غول .. » الصافات ٤٧ « .. الغول أن تفتال عقولهم قال الشاعر :

وما زالت الكأس تفتالنا وتذهب بالأول الأول . رقم ٧٧٣

قال المحقق دو لمطيع بن إياس ثم قال قال أبو عبيدة مطيع مولد لا يحتج بشعره « ا هـ أقول ولكنه احتج هنا .

(٢) انظره بتحقيق د. فائز فارس وفهرسا الأشعار والشعراء فيه ٥٨٢/٢ - ٦٠١ .

الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين إلا بيت لبشار جعل مثلاً (١) . (وفيه ٢٣١ شاهد) .

- وليس في كتاب غريب الحديث له أية احتجاجات لغوية بشعر المولدين مع أن فيه نحو تسعمئة شاهد (٢) .

- وليس في إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت (٢٤٤هـ) أى احتجاج لغوي بشعر مولد ، (٣) (مع أن فيه ما يقرب من ستمئة شاهد)

- وليس في شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري بشرح الطوسي . . (لعله أحمد بن ابراهيم أستاذ ثعلب) احتجاجات لغوية بشعر المولدين (٤)

- وليس في « غريب الحديث » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ) من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين إلا بيت واحد للحسين ابن مطير (١٧٠ هـ) (٥) .

- وليس في المجلدة الخامسة التي وجدت وطبعت من « غريب الحديث » لأبي اسحاق ابراهيم بن اسحاق الحرابي (٢٨٥ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر المولدين مع أن هذه المجلدة وحدها فيها ما يقرب من أربعمئة وألف شاهد (٦) .

(١) كتاب الأمثال ص ١٨٣ :

« وليس عتاب الناس للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لب يعاقبه »

قال المحقق هو لبشار .

(٢) انظره بتحقيق محمد عبد المعيد خان . وأما فهارسه فصنعها د. محمود محمد الطناحي فانظرها بمجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ٤ (الشواهد ٥٨٠ - ٦١٧) .

(٣) انظر تربيته في المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المجمع لأبي البقاء العكبري تحقيق ياسين محمد السوام (فهرس الشعر والرجز ٩٩١ - ١٠٣٠) .

(٤) انظره بتحقيق إحسان عباس .

(٥) انظره بتحقيق د. عبد الله الجبوري ٢٣٦/٢ حيث البيت : ٧٨٥/٣ - ٨٢١ حيث فهرسا الشعر والرجز .

(٦) انظره بتحقيق د. سليمان بن ابراهيم العايد وفهرس القوافي ١٢٥٣/٣ - ١٣٠٧ .

- ٩١ -

- وايس في « كتاب الاختيارين » (شرح المفضليات والأصمعيات)
بالأخفش الأصغر (٣١٥ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر الموالدين (١) .

- وايس في « الأضداد » لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري
(٣٢٧ هـ) من الاحتجاجات اللغوية بشعر الموالدين إلا بيت واحد لعمارة
ابن عقيل (٢٣٩ هـ) (٢) .

- وايس في « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات » لابن الأنباري
هذا ، من تلك الاحتجاجات إلا بيت واحد لعمارة بن عقيل أيضاً (٣) .

- وايس في « شرح القصائد التسع المشهورات » لأبي جعفر أحمد
ابن محمد النحاس (٣٣٨ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر الموالدين (٤) .

- وايس في « معجم مقاييس اللغة » لأبي الحسين أحمد بن فارس
(٣٩٥ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر الموالدين (٥) .

- وايس في معجم « نظام الغريب » لعيسى بن إبراهيم الربعي (٤٨٠ هـ)
أية احتجاجات لغوية بشعر الموالدين (٦) .

- وايس في فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (أمثال أبي عبيد
الهروي ٢٢٤ هـ) لأبي عبيد البكري (٤٨٧ هـ) من الاحتجاجات اللغوية
بشعر الموالدين إلا بيت بشار الذي ذكر في كتاب الأمثال نفسه (٧) .

- وايس في شرح المفضليات لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي
(٥٠٢ هـ) أية احتجاجات لغوية بشعر الموالدين (٨) .

(١) انظره بتحقيق د. فخر الدين قباوة (وهذا هو الجزء الثاني منه ولم يعثر المحقق على
الأول) فهرس الشواهد فيه ٧٦٠ - ٧٦٦ .

(٢) هو في الأضداد ص ٥ في معنى الغساق .

(٣) انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٣٨ في معنى حباب الماء .

(٤) انظره بتحقيق أحمد خطاب وانظر فهرس الشواهد فيه ص ٨٥٣ - ٨٦٣ .

(٥) انظره وفهارسه بتحقيق العلامة عبد السلام هارون .

(٦) انظره بتحقيق المستشرق بولس برونله وانظر فهرس الشعراء فيه .

(٧) انظره بتحقيق إحسان عباس والبيت في ص ٤٣٧ .

(٨) انظره بتحقيق علي محمد البجاوي وراجع فهرس الأعلام .

— وليس في المستقصى في أمثال العرب لجار الله الزمخشري (٥٣٨ هـ) من تلك الاحتجاجات إلا بيت واحد للعماني (٢٢٨ هـ) (١) .

— هذا ، إلى أن هناك مؤلفات لغوية ذات شأن ليس فيها من الاحتجاج اللغوي بشعر المولدين إلا عدد جد محدود .

— فآدب الكاتب لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ليس فيه من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين إلا بيت لأبي العطاء السندی (١٨٠ هـ) وشطر للعماني (٢٢٨ هـ) (٢) .

— ومعجم الجمهرة لابن دريد (٣٢١ هـ) ليس فيه من تلك الاحتجاجات إلا شطران للعماني ، وشطر لبشار شفعه بنى حميته (٣) .

— و « ديوان الأدب » لأبي إبراهيم الفارابي (٣٥٠ هـ) ليس فيه من تلك الاحتجاجات إلا ثلاثة شواهد ، ورابع مشكوك فيه (٤) .

— و « غريب الحديث » لأبي سليمان الخطابي (٣٨٨ هـ) ليس فيه من تلك الاحتجاجات إلا بيت لعمار بن عقيل ، وآخر لأبيه (٥) .

— ومجالس ثعلب (٣٩١ هـ) ليس فيه من أشعار الموالدين المشروحة إلا بيت لبشار ، وبيت وشطر لأبي نواس ، ولفظ مفسر لعمار (٦) .

(١) في ص ١٤٢ لكن فيه أبياتاً بمعاني أمثال لبشار ١٠٧/١ ، خلف ٣٠٨/١ ، بكر بن النطاح ٤٠٣/١ ، ابن أبي عيثة ٢٤٩/١ ، ومسلم بن الوليد ٢١٩/١ ، وأبي تمام ١١/١ .

(٢) انظره بتحقيق الدالي وبيت السندی ص ٢٤ بشأن معنى كلمة مأثم ، وشطر العماني ص ١١٩ في معنى التجنيب والتحيب .

(٣) انظر الجمهرة ١٠٩/٢ ، ١٢/٣ بشأن شطري العماني ، و ١٢٧/١ بشأن شطر بشار .

(٤) في ديوان الأدب ٢٥٦/٢ بيت اللاحق « حذر أموراً » . وفي ١٠٣/٣ بيت لأبي نواس ، وفي ١٦٨/٤ بيت لأبي العطاء السندی ، وفي ١١/٣ بيت ينسب للعماني الراجز (٢٢٨ هـ) كما ينسب للمعراج .

(٥) انظر عمانيه بتحقيق العزباوى ١٢٩/١ (مع لسان العرب أزا ٣٣/١٨) ، ٢٠٢/٢ .

(٦) مجالس ثعلب بتحقيق العلامة هارون ص ٥٤٣ (بشار) ، ص ١٩ (أبو نواس) ، ص ٢٢٠ (عمارة) .

- ومعجم « المحجل » لا بن فارس فيه بيت لبشار ، وبيتان للعماني (١) :
 - وكتاب الأفعال لأبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي (بعد ٤٠٠ هـ)
 ليس فيه إلا بيت لكل من ربعة الرقي (١٩٨ هـ) (وهو مختلف فيه) ، وعمارة
 ابن عقيل (٢٣٩ هـ) وأبي العميشل (٢٤٠ هـ) وشطران للعماني الراجز (٢٢٨ هـ) (٢) .
 - والفائق في غريب الحديث للزمخشري (٥٣٨ هـ) ليس فيه إلا بيت لخلف
 (١٨٠ هـ) ، وثان لعقيل بن بلال بن جرير وثالث لربعة الرقي (١٩٨ هـ)
 ورابع لأبي العتاهية (٢١١ هـ) وخامس لدعبل الخزاعي (٢٢٠ هـ) (٣) .

ثانياً : في النحو وما إليه :

- وهنا نجد أن المؤلفات في هذا المجال إلى نهاية القرن الرابع الهجري تكاد
 تخلو تماماً من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولدين .
 - « فالكتاب » لسيبويه - وقد بلغت شواهد ألفاً وخمسين - لا يوجد فيه
 من الاحتجاج بشعر المولدين على التحقيق (٤) إلا ثلاثة شواهد . هي :

- (١) أشطار العماني في (خطف) ٢٩٤ ، (زلف) ٤٣٨ ، وبيت بشار في (كرد)
 ٧٣٨ .
 (٢) بيت عمارة في ٣٧/٢ ، وبيت أبي العميشل في ١٣٠/١ ، وشطران العماني في
 ١٥٧/١ ، ٤٦٨ .
 (٣) بيت خلف في ٤١٩/٣ ، وبيت عقيل في ١٨١/٣ ، وبيت ربعة في ٣٧٣/٢ ،
 وبيت أبي العتاهية في ٩٠/٤ وبيت دعبل في ١٧٤/١ - ١٧٥ .
 (٤) إنما قلنا على التحقيق لأنه قيل إن سيبويه استشهد أيضاً بشعر لبشار ولأبي نواس ربة
 من هجائهما ، وليس في أصول طبعي الكتاب الخاليتين أو كتب شواهد ذكرهما . وقد قيل إن
 بيت بشار الذي احتج به سيبويه هو :

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بليب
 وقد وثق المحقق الحجة عبد السلام هارون أن البيت لأبي الأسود ، وذكر تاليه (انظر
 الكتاب هارون ٤/٤٤١) .

كما أنه جاء في الكتاب (هارون ٢/٩٧ - ٩٨) بشأن جمع نحو « ابن لبون » و« ابن
 رماه » بيت نسب إلى أبي عطاء السدي ١٨٠ هـ :

مقدمة قرا كان رقابها رقاب بنات الماء أفزعها الرعد
 والذي تقضى به الأدلة أن البيت برواية « تفزع للرعد » من قصيدة لأبي الهندي (المتوفى
 قبل ١٤٠ هـ) أولها :

(أ) بيت أبان اللاحق (نحو ٢٠٠ هـ) :

كحذرُ أموراً لا تُخَفَّأُ وآمنٌ ما ليس منجيه من الأقدار
(شاهدا لإعمال صيغة المبالغة فَعِيل بفتح فكسر) .

(ب) وبيت خلف الأحمر (نحو ١٨٠ هـ) :

ومنهلٍ ليس له حوازي ولضفادى جَمُهُ نقاتق
(شاهدا لإبدال عين ضفادع ياء) .

(ج) والبيت الذى ينسب لمروان النحوى (نحو ١٩٠ هـ) :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد - حتى نعلها ألقاها
(بشأن إعراب الاسم بعد حتى - أنه هنا مجرور بها) .

وقد قيل عن الشاهد الأول والثانى إنهما مصنوعان - ونوقش هذا القول، وهو لا ينفي وقوع احتجاج سيوييه بهما (١) .

وقيل عن الثالث إنه للمتلمس - وهو جاهلى ، أو لأبى مروان لا لمروان، لكن الصحيح أنه لمروان بن سعيد النحوى المذكور (٢) .

= سيفى أبا الهندي عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضر الزبد
(انظر تعليق العلامة هارون على البيت في الموضع السابق) .

- وجاء في الكتاب (هارون ١/١٧٨) شاهد من شعر أبى حية النميرى الذى قيل إنه توفى ١٨٣ هـ. ولكن الراجح أنه توفى في آخر خلافة المنصور (١٥٨ هـ) . (انظر الأعلام ط ٥ - ١٠٣/٨ وما أحال إليه) وبهذا يكون داخل في النطاق الزمني لمن يحتج بهم .

- وفي الكتاب (هارون ١/٢٧٩) بيت للفضل بن عبد الرحمن القرشي (١٧٣ هـ) هو «فياك إياك المراء الخ» وقد قيل إن الفضل هذا ولد قبل ٧٠ هـ (انظر الأعلام للزركلى) وقال سيوييه إن عبد الله بن أبى إسحاق احتج ببيته هذا ، والأمران كافيان لإخراجه من دائرة المولدين .

(١) بيت اللاحق في الكتاب (هارون ١/١١٣) فانظر تعليق المحقق ، وقول المبرد إنه مصنوع (المقتضب ٢/١١٥) والتعليق هناك ، والخزانة ٨/١٦٩ - ١٧٢ . وقيل إنه لابن المقفع ، وبيت خلف في الكتاب (٢/٢٧٢) والمقتضب (١/٢٤٦) فانظر تعليق محققهما وحكاية الأعلام أنه مصنوع .

(٢) حكى المبنى (في شواهد على هامش الخزانة بولاق ٤/١٣٤) نسبه إلى المتلمس =

— و «المقتضب» لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥) هـ ليس فيه احتجاجات — في النحو وما إليه — بشعر للمولدين إلا بيت خلف الأحمر الذي جاء في كتاب سيويه (١) .

— و «الأصول في النحو» لأبي بكر محمد بن سهل السراج (٣١٦) هـ ليس فيه من الاحتجاجات بشعر المولدين في النحو وما إليه إلا بيت مروان الذي جاء في كتاب سيويه (٢) .

— و «كتاب المذكر والمؤنث» لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٧ / ٣٢٨) هـ ليس فيه من تلك الاحتجاجات إلا شاهد للعاني (٢٢٨) هـ ، وآخر لعمارة (٢٣٩) هـ ثم شاهد لبشار (١٦٧) هـ في ديوانه وينسب أيضاً لغيره ، وآخر بين عمارة وأبي العالية (كان يحضر مجالس الفراء) ، وثالث بين مسلم بن الوليد والتميمي — وكلاهما مولد أيضاً (٣) ، أي أن شواهد المولدين في هذا الكتاب بين أربعة وخمسة .

— و كتاب «الجميل في النحو» لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (٣٣٩) هـ وكذلك شرحه الكبير لابن عصفور الاشبيلي (٦٦٩) هـ

ونفاها ، ونفى وجود البيت في ديوانه . ويبدو أن أساس هذه النسبة أن البيت يذكر قصة عمرو بن هند التي أمر فيها عمرو بقتل المتلمس وأرسلها معه إلى عامله ولكن تكشفت الحقيقة للمتلمس في الطريق فآلقاها . وفي معجم ياقوت ١٩ / ١٤٦ أن البيت لمروان النحوي . ولعل المعنى وهم فجميل الاسم كنية . وانظر الكتاب هارون ١ / ٩٧ وبغية الوعاة للسيوطي ٢ / ٢٤٨ . ثم انظر الأعلام بشأن مروان بن سعيد النحوي هذا .

(١) انظره بتحقيق العلامة محمد عبد الخالق عضية (راجع فهرس الشواهد فيه ٢٦٧ / ٤ - ٢٣١) وبيت الأحمر في ١ / ٢٤٦ .

(٢) انظره بتحقيق عبد الحسين الفتلي وقد عرضته إذ أخلاه محققه من الفهارس الفنية . وبيت مروان في ١ / ٢٥٥ ثم انظر ١ / ١٢٤ .

(٣) انظره بتحقيق طارق الجنابي وفهرس الشواهد فيه من ٨٠١ - ٨٦٠ وشاهد العاني في ص ٣١٠ ، وشاهد عمارة ص ٤٧٥ وبشار في ص ٤١٥ ، والذي أنشده أبو العالية وهو لعمارة في ٤٧٧ والذي بين مسلم بن الوليد والتميمي في ٤٦٠ .

ليس فيهما من شواهد المولدين في النحو وما إليه إلا بيت اللاحق وبيت مروان اللذان جاءا في كتاب سيبويه (١) .

- و « المسائل المشككة » (البغداديات) لأبي علي الفارسي (٣٧٧) هـ ليس فيها من تلك الاحتجاجات إلا شاهد خلف « ولضفادى » الذى جاء في الكتاب ، وإلا قوله « أبى الحاؤون أن يطثوا حماءه » شاهداً لإبدال ياء حية التى هي عين الكلمة - واوا في هذه الصيغة (٢) .

- أما « المسائل البصريات » للفارسي أيضاً فليس فيه أية احتجاجات بشعر المولدين (٣) .

- و « اللمع في النحو » لابن جنى (٣٩٢) هـ ليس فيه من الاحتجاجات بشعر المولدين في هذا المجال إلا بيت مروان الذى جاء في كتاب سيبويه (٤) .

- و « المنصف » لابن جنى شرح « التصريف » للمازنى (٣٤٩/٣٣٠) هـ ليس فيه من شواهد المولدين إلا ما تعرض له ابن جنى من قول عمارة :
وإنى امرؤ من عصابة خندفية أبت للأعادي أن تديخ رقابها (٥)

- و « التبصرة والتذكرة » لأبى محمد عبد الله بن على الصيمجرى (من نحاة أواخر القرن الرابع) ليس فيه من الاحتجاجات بشعر المولدين في النحو

(١) الجمل بتحقيق على توفيق الحمد ، وشرحه بتحقيق د. صاحب أبوجناح . وبيت اللاحق في الجمل ٩٣ وشرحه ١/٦٢ هـ وبيت مروان في الجمل ٦٨ وفي شرحه ١/١٩ هـ وانظر فهرسى الشواهد في الكتابين .

(٢) انظره بتحقيق صلاح الدين السكاوى (فهرسى الشواهد ٦٤٧ - ٦٥٨ والأعلام ٦٦١ - ٦٧٦) وشاهدا خلف ص ١٦١ ، ٢٣٠ .

(٣) انظره بتحقيق محمد الشاطر أحمد وفهرس الأعلام ص ١٢٤٩ وما بعدها .

(٤) انظره بتحقيق فائز فارس ، والبيت ص ٧٨ .

(٥) انظره بتحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين وانظر فهرس الشواهد والأعلام في كل من أجزاءه والبيت في ١/١٣٠ وقد جاء في المقتضب لكن للمعنى اللغوى لا للنحو لكنه خرج به بما فصله ابن جنى وغيره بعد .

وما إليه إلا أبيات اللاحق ، وخلف الأحمر ، ومروان التي جاءت في كتاب
سليويه (١) .

تلك كانت المؤلفات التي تيسرت لنا مراجعة شواهدنا في متن اللغة
وما إليه من أواخر القرن الثاني إلى أوائل القرن السادس ، وفي النحو وما إليه
من أواخر القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع . وواضح من خلوها الكامل
أو شبه الكامل من الاحتجاج اللغوي بشعر المولدين أن أولئك الأئمة الذين
ألفوها قد التزموا التزاماً كاملاً أو شبه كامل بمعايير الاحتجاج ووقفوا عند
حدودها ، وواضح أيضاً من جهة أخرى أن كل ما يمكن أن يكون مولدو
تلك القرون قد ابتكروه من المفردات والصيغ والعبارات والاستعمالات
والدلالات قد أغفل تماماً ، وأنه يتحتم بذل الجهود لاستدراكه إذا كنا مقتنعين
بأن من حق اللغة وحق أهلها أن يدون ما أبدعه منها صفوة أبنائها ، وأبلغهم
إحساساً بها وتذوقاً لها ، وأقدرهم على إحسان استعمالها وهم الشعراء خاصة ،
والأدباء والعلماء بعامة .

(١) انظره بتحقيق د. فتحي على الدين ، وفهرس الشواهد الشعرية فيه ص ٩٩٤ -
١٠٣٢ ، وبيت اللاحق ص ٢٢٧ ، وبيت مروان ص ٤٢٣ وبيت خلف ص ٨٣٧ .
(م ٧ - الاحتجاج بالشعر في اللغة)

الفصل الثالث

مناقشة نطق الاحتجاج

مع التسليم بجدوى هذه النطق على اللغة العربية ، حيث إنها ميزت نتائج الذروة السليقية فلم يتميع في غيره ، وجعلته هو الصورة الصحيحة للغة بحيث لا يعترف بما خرج عما فيه من الألفاظ والصيغ والتراكيب والدلالات ، ومن ثم وجهت أهل اللغة والأدب إلى استيعاب نتائج عصر الذروة السليقية ذاك ، وصيرته موضع القدوة ومناط التنافس ، فساعد ذلك على ترسيخ السليقية واستمرار أثرها في اللغة والأدب حيناً من الدهر ، نقول إنه مع التسليم بذلك الأثر الطيب لتلك النطق ، إلا أنه شابها بعض الشوائب غير العلمية ذات الآثار السلبية .

وأولى هذه الشوائب هو ما اتسمت به تلك النطق من تعميم شمل الجوانب القبلية والمكانية والزمانية . والمنهج العلمي لا يعتمد التعميم إلا إذا قام على استقراء تام أو شبه تام ، ولم يحدث ذلك الاستقراء .

ومن هنا فإن الحكم بمنع أخذ اللغة إلا عن قبائل كذا وكذا ، أو عن أهل مناطق كذا (١) ، أو عمن لم تتعد حياته منتصف القرن الثاني أو آخره مثلاً - وكل منها فيه تعميم خاص بالقبول ، وآخر خاص بالرفض - هذه التعميمات ينقصها الأساس العلمي - من حيث المنهج ؛ لعدم قيامها على استقراء علمي كما سبق ، ولأنها تعني الحكم المسبق بعدم التصاحح على جميع

(١) انظر تحديد القبائل والمناطق في الكلام عن معايير الاحتجاج هنا .

الخارجين عن نطق الاحتجاج تلك ، وهكذا حكم يتجاهل التفاوت الفردي في الفصاحة، إذ لا يستبعد أن يبلغ بعض من أدباء الأمة مستوى من الفصاحة يضارع القدماء . وقد بينا من قبل أن السليقية في العربية لها من القوة ما يمكن معه أن تبعث وتبلغ أوج حيويتها عند من تتيح الظروف له ذلك من المتأخرين ، ومن ذوى الأصول غير العربية ، وقد وقع ذلك فعلا حيث شهد العلماء لعدد غير قليل من هؤلاء وهؤلاء بكمال الفصاحة ، وسيأتي بعض ذلك .

كما أن ذلك التعميم في المنع يغفل الفروق بين أنواع النتاج اللغوي من شعر ونثر بمختلف أشكاله من خطب وأحاديث الخ . ولا شك أن بعضا من أشكال ذلك النتاج قد تتطلب طبيعته مستوى من القدرة اللغوية صوابا وفصاحة لا يتطلبه غيره ، وأن احتمالات بلوغ الكمال الفني اللغوي تتفاوت تبعا لتفاوت طبائع تلك الأشكال . فنوط الاحتجاج بمستوى النتاج اللغوي أقرب إلى النظرة العلمية الموضوعية .

وأخيرا فإن ذلك التعميم يسوى - في منع الاحتجاج بما جاوز النطق المذكورة من النتاج اللغوي - بين مستويات النشاط اللغوي : الأصوات والألفاظ (المتن) والصيغ والتركيب والدلالة . بينما تنبه العلماء منذ وقت مبكر إلى الفروق بينها في ما يمس أساس الاحتجاج ، وهو درجة ثبات كل منها ، وذلك بالإضافة إلى فروق أخرى بينها في طبائعها . وأبرز ما يبدو فيه ذلك هو ما بين النحو وسائر المستويات وبخاصة المتن والدلالة .

فأما من حيث الثبات فقد تنبه العلماء من قديم - كالأخفش الأوسط (٢١٠ هـ) وابن جني (٣٩٢ هـ) ثم ابن خلدون (٨٠٨ هـ) إلى ثبات الأوضاع اللغوية « أي دلالة الألفاظ على معانيها ، واختلال النحو أي ذهاب الحركات الإعرابية من كلام العامة (١) . وهذا يعني أنه يمكن

(١) انظر الخصائص ٢/ ٢٨ - ٢٩ حيث رأى الأخفش وابن جني ، ومقدمة ابن خلدون (وافي) ١٢٦٤/ ٩ - ١١ ، ١٢٨٠/ ٦ - ٩ ، ١٢٨١/ ٩ - ١٧ .

الإفادة بل والاحتجاج بمدلولات الألفاظ على ما استعملها عليه الذين تجاوزوا نطاق الاحتجاج - مع إمكان أن نخصص من بين هؤلاء من يزكى مستوى نتائجهم ذلك .

(١) ومن حيث طبيعة كل منهما (النحو من ناحية والمتن والدلالة من ناحية أخرى) هناك فرق يمس أساس الاحتجاج أيضا وهو خاص بالنمو ووسيلته . فالنحو قواعد استنبطت من نتائج عصر الاحتجاج ، وتم حجمها بحيث لا يزداد عليها إلا ما لا بال له ، فهي محدودة الحجم ، كما أنها محدودة التطور ، لأنها قياسية صورية يمكن دائما تطبيقها على أى نتائج دون حاجة إلى زيادة في القواعد ، أو تطوير يغير جوهرها (١) ، أما اللغة (المتن ودلالته) فهي دائمة النمو ، لأنه دائما تستجد في الحياة أشياء ومعان تتطلب أسماء وتعبيرات جديدة لتعبر عنها بدقة ، ثم إن اللغة تنمو من داخلها - بالاشتقاق وما إليه - من حيث المتن ، وبتوليد المعاني الجديدة من المعاني القديمة الأصلية بعلاقات مقبولة - من حيث الدلالة (٢) ، وذلك النمو حتمى الوقوع لأنه صدى لتجدد الحياة الحتمى . فالأجدر بنا أن نتخذ من ذلك النمو موقف الاختيار والتقويم : من حيث سلامة الاشتقاق ودقة دلالة الصيغة بالنسبة للنمو في المتن ، ومن حيث قوة العلاقة المولدة ومنطقيتها بالنسبة للمعاني المولدة . وذلك بدلا من الرفض الشامل الذى لا يناسب طبيعة اللغة .

● والخلاصة أنه إزاء هذه الفروق فإن الموقف العلمى فى هذا الموضوع هو أن ننوط الاحتجاج بمستوى النتائج ، أو أن نخص اللغة - متنا ودلالة - بهذا المعيار ، تاركين النحو للمعايير القديمة .

(١) فى قياسية النحو - دون اللغة - انظر الاقتراح للسيوطى ٩٥ حيث بسط ذلك أبو البركات الأنبارى ومقدمة ابن خلدون (واقى) ١٢٧٢ .

(٢) هناك فرق آخر هو أن النحو إذا اختلف وترك يمكن الاستعاضة عنه بترتيب أجزاء الجملة أو بالقرائن المختلفة كما هو شائع فى المحادثات العامة أما اللغة فقد تختلف ولكن لا تترك تماما ، ولا عوض عنها .

● الشائبة الثانية التي شابت معايير الاحتجاج تلك هي التشدد . ويبدو هذا التشدد في سمتين : الأولى محاولات التبكير في تحديد طبقة الموالدين : ويتمثل هذا في مواقف (لأبي عمرو بن العلاء الأصمعي) . فأبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) يقول في كلمته المشهورة : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد حممت أن أمر فتياتنا بروايته » يعني شعر جرير والفرزدق وأشباههما (١) وجرير والفرزدق توفيا عام ١١٠ هـ - أي أنهما من شعراء القرن الأول . ويقول الأصمعي إنه جلس إلى أبي عمرو هذا عشر حجج فما سمعه يحتاج بيت إسلامي ، وكانت كتبه التي كتب عن العرب قد ملأت بيتنا إلى قريب من السقف . « وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية (٢) . فكان أبا عمرو لم يكن يرى في غير نتاج الجاهلين اللغوى حجة .

والأصمعي رفض الاحتجاج لقولهم : أبرق الرجل وأرعد : أي تهدد وأوعد بقول ذي الرمة :

إذا خشيت منه الصريمة أبرقت له برقة من خلَّب غير ماطر

زوجه

حيث جاء بالمصدر على برق ، لأن برق وأبرق سواء . رفض الأصمعي ذلك ولم يكن يرى ذا الرمة (١١٧ هـ) حجة . وأنشد بيت الكهيت (١٢٦ هـ) :

أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

فقال هو جرم قاتل (٣) « (الحرم قاتل واحد جرامة الشام أي أنباطها) فهو يطعن في عروبة ، ومن ثم في فصاحته (٤) . ولا يمنعنا اعترافنا بجلالة هذين الإمامين من أن نلاحظ أن صرف النظر عن كل النتاج العربي بعد ظهور الإسلام أو بعد المخضرمين قد يقبل لو كانت التغيرات اللغوية تتم

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٢١ .

(٢) نفسه .

(٣) لسان العرب (برق) ١١ / ٢٩٥ .

(٤) انظر أيضاً الشعر والشعراء (شاعر) ١ / ٣٥ في تخطئة عبد الله بن أبي إسحاق للفرزدق وإنباء الرواة ٢ / ٣٧٥ في تخطئة عيسى بن عمر للناطقة .

في طرفة . أما وهي لا تتم إلا بعد عقود أو قرون فإن تحديد منتصف القرن الثاني أنسب وأقرب إلى التحفظ غير المسرف من تحديدات أبي عمرو والأصمعي .

٩ السمة الثانية لذلك التشدد تتمثل في وجوب التقييد بالعبارات التي كانوا يستعملونها داخل النطق في مقامات معينة . كما يبدو من موقف أبي عمرو إذ قال له رجل : « أكرمك الله » فقال أبو عمرو « محدثة » (١) وهو يعني أن هذا الدعاء لم يكن مستعملاً بنصبه هذا في العصر الأول في مثل المقام الذي وجه إليه فيه ، وإلا فالفعل مشهور الاستعمال جداً . وقد جاء في القرآن الكريم : « فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرم من » (٢) . كما أن الأعراب استعملوه : سمع الفراء أعرابياً يقول : « بالفضل ذو أكرمكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله به » (بفتح الباء في به الأخيرة) (٣) . ولكن كلمة أبي عمرو تعني أنه كان يرى التقييد أيضاً بالمقام الذي تستعمل فيه العبارة لا بالعبارة نفسها فحسب . وعلى ما يقرب من هذا المستوى من التشدد كان الأصمعي يقول : « قولم جعلت فداك ، وجعلني الله فداك محدث » (٤) ، والأمور هنا تصرف في الأسلوب . فقد كان من الشائع قديماً أن يقال فداك أبي ، أو فداك أبي وأمي ، أو فداك نفسي . وقال النابغة :

مهلاً فداءك الأقوام كاهم (٥)

فحلوا هذا التعبير إلى جعلني الله فداك تأكيداً لقصد المعنى . إذ صرحوا فيه بالدعاء ، ثم بنوه للمفعول في قولهم جعلت فداك . فهذا هو الجديد الذي

(١) البيان والتبيين ٣١٨/٢ .

(٢) من الفجر ١٥ .

(٣) انظر أوضح المسالك بشرح محيى الدين ١٥٥/١ .

(٤) البيان والتبيين ٣١٩/٢ .

(٥) انظر لسان العرب (فدى ٨/٢٠ - ٩) وفيه هذه الاستعمالات وما إليها ، وفيه أيضاً فداء (بتضعيف العين) إذا قال له جعلت فداك - وهو التعبير الذي عده الأصمعي محدثاً - فلعل هذا التعبير لم يؤثر عن العصر الجاهلي وما هو قريب منه ، فعده الأصمعي محدثاً لذلك .

عده الأصمعي محدثاً ، وكأن الأصمعي كان ممن يرون أن المركبات الإسنادية
- لا المفردات فحسب - توقيفية أيضاً (١) .

وكان من الطبيعي أن تلك النظرات المتشدة لأبي عمرو والأصمعي لم يكتب
لها الهيمنة ، لأنها تضاد طبيعة اللغة والنشاط اللغوي .



كذلك فإنه نظراً لما شاب هذه التحديدات لنطق الاحتجاج من حيث
إغفالها أمراً وارداً - وقد وقع - وهو إمكان الوصول بالنتاج اللغوي إلى
مستوى يضارع نتاج عصور الاحتجاج ، مما يكسب الاحتجاج بمثل ذاك النتاج
الرفيع أيضاً - مشروعته ، ومن حيث إغفالها خصيصة للغة (المتن والدلالة)
تميزها من النحو وهي ثبات الأوضاع اللغوية - مما يوجه الاحتجاج بالاستعمالات
المتأخرة ، لأنها امتداد حقيقي أو فرعي للاستعمالات القديمة .

ومن حيث إن إيقاف الاحتجاج على نتاج الحقبة التي حددوها يعني الحكم
بإيقاف نمو اللغة في متنها ودلالاتها عند الحد الذي وصلت إليه في تلك الحقبة -
وذلك شيء يضاد طبيعة اللغة التي تجارى تجدد الحياة مجارة حتمية . . نظراً
لذلك كله واعترافاً به فقد وقعت من الأئمة اللغويين في احتجاجاتهم اللغوية
تجاوزات متنوعة لنطق الاحتجاج . . نتناول حديثها في ما يلي .

(١) انظر المزمهر ١/ ٤٠ ونعني بالتوقيف وضع اللغة مطلقاً .

الباب الخامس

الاحتجاج بما جاوز النطاق القبلي وبما جاوز النطاق المكاني

(أسلفنا أن معيار الاحتجاج بنطقه المتعددة قد روعى بصورة كبيرة في أعمال النحاة واللغويين ، حيث تجنبوا الاحتجاج بما جاوز نطاق ذلك المعيار . ولكن نظرا لما شاب تحديد تلك النطق من عموم أغفل ما يبرر قبول بعض ما يجاوزها - وقد فصلناه منذ سطور - فقد وقعت تجاوزات متنوعة لتلك النطق حيث وقع - فعلا - الاحتجاج بشعراء من غير القبائل والأماكن والحدود الزمنية التي حددوها . ونقصر الحديث هنا عن تجاوز النطاق القبلي والنطاق المكاني .

لقد مر بنا قول الفارابي إنه لم يؤخذ عن حضري قط . ثم حدد قبائل أطراف الجزيرة الذين لم يؤخذ عنهم ومن هذه القبائل لحم ، وجذام ، وقضاة ، وغسان ، وإياد ، وتغلب ، وبكر ، وعبد القيس ، وأزد عمان ، وحنيفة ، وثقيف ، كما ذكر سكان البصرة وأهل اليمن . كما حدد أماكن بعينها بالإضافة إلى ما أجمله في كلمة الحواضر وأطراف الجزيرة : كاليمن ، والبحرين ، والبصرة ، والطائف ، وحاضرة الحجاز . ولكن التمهيد للتطبيق يكشف غير هذا الذي قاله الفارابي : فنحن نجد في معجم لسان العرب - الجامع لثلاثة من أصل معاجمنا التهذيب والصحاح والمحكم - بالإضافة إلى النهاية في غريب الحديث وتحقيقات ابن بري - احتجاجات لغوية بأشعار شعراء كثيرين من تلك القبائل التي قال الفارابي إنها لم يؤخذ عنها . فنجد من قضاة : وعلة الجرمي (وجرم بطن من قضاة) له في اللسان ستة أبيات

استشهد بها في سبعة تراكيب (١) ، وعبد الله بن العجلان النهدي - (نهدي بطن من قضاة) له بيتان في تركيبي غيل وسقي (٢) ، وله شاهد في جدل أيضا ، هذا بالإضافة إلى شقران مولى سلامان من قضاة ، وله ثلاثة أبيات في تركيبي غزم وذلا (٣) : ومن غسان : نجد عدى بن الرعاء الغساني له ثلاثة أبيات في تركيبي موت (٤) ، وعبد المسيح بن نقيلة الغساني له أربعة عشر بيتا في تركيبي سطح ، ثكن (٥) ، والخرع بن سنان الغساني له ثلاثة أبيات في تركيبي حسد (٦) ، ومن إياد هناك للحارث بن دوس الإيادي شاهد في بقل (٧) ، وللقميط بن يعمر الإيادي ثلاثة أبيات في أربعة تراكيب (٨) ، ولأبي دؤاد ١٣٦ بيتا في أكثر من مئة تركيبي (٩) ، ومن تغلب هناك للأخنس بن شهاب سبعة أبيات في ستة تراكيب (١٠) ، ولأفنون التغلبي عشرة أبيات في ستة مواضع (١١) ، وأما الأخطل المشهور فله أربعة أبيات وثلاثمائة بيت في أكثر من مئة تركيبي (١٢) . ومن حنيفة هناك لعبد الله بن ثعلبة الحنفي أربعة أبيات في تركيبي (١٣) . ومن ثقيف هناك لابن الدنية شاهد في عزم (١٤) ، وكذلك لأبي الصلت الثقفني في عزم (١٥) ، ولعبد الله بن نمير أربعة أبيات في أربعة تراكيب (١٦) ، ولأمية بن أبي الصلت أربعة وتسعون بيتا في أكثر من تسعين موضعا (١٧) . وبالنسبة للحواضر التي ذكر الفارابي أنه لم يؤخذ عن أحد منها قط نجد أن محمد بن سلام عين تلك الحواضر (ليبين من اختارهم من فحول شعرائها) ومنها المدينة ومكة والطائف والبحرين واليمامة .

(١) هذه المعلومات من معجم الشعراء في لسان العرب د. ياسين الأيوبي ترجمة رقم ١١٥١ وفيه أيضاً تحديد التراكيب التي فيها تلك الشواهد .

- | | |
|------------------------|------------------------|
| (٢) نفسه ترجمة رقم ٦٥٥ | (٣) نفسه ترجمة رقم ٥٤٠ |
| (٤) نفسه ترجمة رقم ٦٩١ | (٥) نفسه ترجمة رقم ٦٦١ |
| (٦) نفسه ترجمة رقم ٣١٢ | (٧) نفسه ترجمة رقم ٢٢٦ |
| (٨) نفسه ترجمة ٩١١ | (٩) نفسه ترجمة ٣٥٣ |
| (١٠) نفسه ترجمة ٢٠ | (١١) نفسه ترجمة ٦٨ |
| (١٢) نفسه ترجمة ١٩ | (١٣) نفسه ترجمة ٦٤١ |
| (١٤) نفسه ترجمة ٣٤٩ | (١٥) نفسه ترجمة ٥٦٨ |
| (١٦) نفسه ترجمة ٦٥٨ | (١٧) نفسه ترجمة ٧٥ |

● ونجد أن من شعراء المدينة حسان بن ثابت ، وابنه ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقيس بن الخطيم ، وأبا قيس بن الأسلت وغيرهم ، وقد احتج بأشعار هؤلاء جميعاً في لسان العرب .

● وأن من شعراء مكة عبد الله بن الزبير ، وأبا طالب بن عبدالمطلب ، والزبير بن عبد المطلب ، والعباس رضي الله عنه ، وضرار بن الخطاب الفهري ، وهيرة بن أبي وهب المخزومي ... وقد احتج بشعر كل منهم في لسان العرب .

● وأن من شعراء الطائف أبا الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، وأمية بن أبي الصلت ، وأبا محجن الثقفي ، وغيلان بن سلمة ... ولكل منهم شعر احتج به في اللغة في لسان العرب .

● وأن من شعراء البحرين المثنب العبدى ، والمزق العبدى ، والمفضل النكري ... وقد احتج بشعر كل منهم في اللغة في لسان العرب .

● وأن من شعراء الحيرة وما حولها عبد المسيح بن عسلة ، وعبيد بن الأبرص ، وأوس بن حجر ، والمتلمس ، ولقيط الإيادى ، ومنهم أيضاً أبو دواد الإيادى وعدى بن زيد العبادى - وقد مر بنا ما قيل في كل منهما لإقامته في الحيرة . ولكن هؤلاء جميعاً لهم شعر في لسان العرب احتج به في اللغة ، ولأبي دواد وحده ستة وثلاثون ومئة بيت ، واعدى بن زيد وحده مئتا بيت في لسان العرب .

● ومن شعراء الكوفة الكميت والطرماح - وقد مر بنا ما قيل فيهما للطرماح وحده خمسة عشر وثلاثمائة بيت ، والكميت وحده خمسمائة بيت تقريباً في لسان العرب . ولذى الرمة - وقد قيل فيه بسبب ترده بين البصرة والكوفة - نحو ألف بيت .

● وأن من شعراء اليمن أصلاً أو موطناً الأفوه الأودى ، والأسعر الجعفى ، وعمرو بن قعاس المرادى ، وعمرو بن معدى كرب ، وإمراً

— ١٠٨ —

القيس بن عابس . ولكل منهم شعر يحتاج به في اللغة في لسان العرب (١) .

ومن الأمانة أن أبين أنني لم أقصد الحصر والإحاطة سواء فيما ذكرته من شعراء القبائل أو فيما ذكرته من شعراء الحواضر التي قيل إنها لم يؤخذ عنها ، ومن المرجح جدا أن هناك آخرين من هؤلاء وهؤلاء وقع الاحتجاج بأشعارهم في اللغة في معجم لسان العرب .

(١) تحققت من وجود شواهد لكل من هؤلاء في لسان العرب بمراجعة ما ذكر في «معجم الشعراء في لسان العرب» على اللسان . أما تحديد نسبتهم إلى الحواضر التي نسبوا إليها فقد أخذتها من طبقات فحول الشعراء ومن تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين الجزء الثاني من المجلد الثاني . ومن تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان .

الباب السادس

الاحتجاج بما جاوز النطاق الزمني

لا يخفى أن النطاق الزماني - الذي هو الوقوف بعصر الاحتجاج عند أواسط القرن الثاني للهجرة - هو أبقي نطق الاحتجاج أثرا ؛ لأن النطق القبلي والمكانية توقف أثرها عند ما وقع فعلا من الاحتجاج أو عدمه . بل إن « إعادة النظر » فيها محدودة الأثر بالنتائج التي وقع فعلا . أما النطاق الزمني فهو ما زال يؤثر فينا إلى يومنا هذا لأنه يمنع أي تجديد في اللغة أو إضافة إلى ما كان فيها عند أواسط القرن الثاني للهجرة . ومع تجديد الحياة والفكر تجدد لا يحد في كل منهما تتجسم مشكلة اللغة التي يريد النطاق الزمني لها أن تظل إلى يوم القيامة تعبر عن الحياة والفكر مهما تجددت بنفس الألفاظ والعبارات التي كانت مستعملة منذ العصر الجاهلي إلى أواسط القرن الثاني فقط - مع استثناءات محدودة جدا (١) . ومن هنا خصصنا هذا الباب لتجاوز النطاق الزماني .

ولما كانت هذه التجاوزات الزمانية كثيرة ، ولم يكن بالوسع الاستغناء عن بعضها ، أو الإيجاز في عرضها ، خشية أن يكتنف الغموض أو شبه حقيقة هذه التجاوزات التي تقوم عليها المطالبة بتعديل معيار الاحتجاج بالكلام ، فقد قسمتها إلى فصول مرتبطة بالتقرون التي توفى فيها الشعراء الذين احتج بشعرهم بعد النطاق الزمني .

(١) تشمل هذه الاستثناءات في قياسات اللغة كالمشتقات القياسية (اسم الفاعل ، واسم المفعول واسماء الزمان والمكان . .) وسائر الأحكام القياسية .

وقد أخذت بأشهر ما قيل وأبرزه بشأن بداية عصر المولدين ، وهو ما بعد رؤية (١٤٥ هـ) وابن ميادة (١٤٩ هـ) ، وابن هرمة (١٥٠ هـ) ، وحكم الحضري (نحو ١٥٠ هـ) ، ومكين العذري (١٦٠ هـ) وأن بشارا المتوفى (١٦٧ هـ) هو أول المولدين . ومن هنا فقد عددت المتوفين بعد (١٦٧ هـ) من المولدين - ما عدا من ترجح اعتداده من غير المولدين كالحسين بن مطير المتوفى (١٧٠ هـ) فقد استبعدته لأن المرزباني ذكره مع غير المحدثين (١) ، وقد استشهد بشعره كثيرا في متن اللغة وما إليه (٢) وفي النحو وما إليه (٣) ، وكأبي حية النخري الذي قيل إنه توفي ١٨٣ هـ وقيل في آخر خلافة المنصور (١٥٨ هـ) ، ولكن المرزباني ذكره مع غير المحدثين (٤) ، وله شواهد كثيرة في كتب اللغة والنحو (٥) ، وكالفضل ابن عبد الرحمن (المتوفى نحو ١٧٣ هـ) وذلك لأنه معرق جداً في طبقة مخضرمي الدولتين إذ ولد قبل ٧٠ هـ ، وكذلك لأن عبد الله بن أبي إسحاق قد احتج بشعره على ما حكى سيبويه (٦) ، وذكرت بين المولدين . طبع ابن إياس المتوفى (١٧٠ هـ) ؛ لأن أبا عبيدة ذكر أنه مولد .

-
- (١) انظر الموشح (السلفية) ٢٠٩ حيث ذكره ثم ذكر بعده « جماعة من شعراء الإسلام » ثم بدأ يذكر الشعراء المحدثين في ص ٢٢٣ بادئاً ببشار بن برد .
 - (٢) له شواهد في عشرة تراكيب في اللسان (خلدج ، خرج ، عرج ، هزج ، كدر ، غمض ، خلط ، ملع ، مشق ، مهم) .
 - (٣) انظر الخزانة (بولاق) ٤٧٣/٢ والأشونى مع الصبان ٢٣١/١ ، والتصريح ١٨٧/١ ، ومجالس ثعلب ٢٦٥ .
 - (٤) الموشح (السلفية) ٢٠٦ وانظر عنه الخزانة (بولاق) ١٥٤/٢ ، ٢٨٣/٤ ، ٢٨٥ - والأعلام ١٠٣/٨ - ١٠٤ والمراجع التي ذكرها .
 - (٥) انظر معجم شواهد العربية ٥٩٤ ثم الصفحات والمواضع التي أشار إليها .
 - (٦) انظر عنه الأعلام ١٥٠/٥ والمراجع التي ذكرها ، والبيت الذي احتج به من شعره عبد الله بن أبي إسحاق هو (فإياك إياك المراء الخ) في الكتاب (هارون) ٢٧٩/١ .

الفضل الأفل

شعراء أواخر القرن الثاني الذين احتج بشعرهم

١ - بشار بن برد المتوفى (١٦٧ هـ) (١)

قال عنه الأصمعي: «بشار خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم» (٢) وكرر شهادته له ، كما شهد له أبو عمرو بن العلاء ، وأبو زيد ، وأبو عبيدة ، وغيرهم (٣) وقال الجاحظ : « والمطبوعون على الشعر من الموالدين بشار العقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية . وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل وسليمان الخاسر ، وخلف بن خليفة . وأبان بن عبد الحميد أولى بالطبع من هؤلاء ، وبشار أطبعهم كلهم» (٤) وقال : « ليس في الأرض موالداً قرؤى بعد شعره في المحدث إلا وبشار أشعر منه» (٥) .

ولهذا ونحوه قال صاحب الأغاني : « ومحلّه في الشعر ، وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ، ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه . وإطالة ذكر محله» (٦) وقد أرجع هو فصاحته إلى نشأته في

(١) انظر عنه الأغاني (الدار) ١٣٥/٣ - ٢٥٠ .

(٢) الأغاني ١٤٣/٣ ، ١٥٠ .

(٣) انظر الأغاني ١٤٣/٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ .

(٤) البيان والتبيين ٥٠/١ .

(٥) الحيوان ٤٥٤/٤ .

(٦) الأغاني ١٣٥/٣ .

حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ،
ونسأوهم أفصح منهم ، ثم يخرجوه إلى البادية حين أيفع إلى أن أدرك (١) .

أولا : الاحتجاج بشعره في متن اللغة وما إليه :

— عد الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) بيتاً لبشار من أمثال
العرب قال : « ومن أمثالهم في ترك العتاب قول الشاعر :

وليس عتابُ الناس للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه (٢)

والشاعر هو بشار (٣) .

— واحتج بشعره الإمام اللغوي أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) فقال في المجمل
(كرد) « والكرد » (بالضم) هؤلاء القوم (يعني ذلك الجنس المعروف) قال :

ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد (٤) .

وقال المحقق إن البيت ينسب لبشار وهو في ملحق شعره (٥) .

— ووقع الاحتجاج بشعر بشار في لسان العرب في تراكيب (برأ ،
هجأ ، ريب (له أو للمتلمس) ، وتد ، رفض ، لحف ، دهل ، نزا — أو هذا
لنصيب (٦) .

— فمن ذلك : « الوائد : الثابت . . ويقال : وتَد فلان رجله في الأرض
(بتضعيف عين الفعل) إذا ثَبَّتَها . وقال بشار :

(١) انظر الأغاني ١٤٩/٣ - ١٥٠ .

(٢) كتاب الأمثال لأبي عبيد تحقيق د. قطامش ١٨٣ .

(٣) انظر توثيق المحقق له في موضعه المذكور (كتاب الأمثال ١٨٣) .

(٤) المجمل لابن فارس تحقيق زهير سلطان ٧٨٣ .

(٥) انظر الموضع السابق .

(٦) معجم الشعراء في لسان العرب ٨٣ وقد راجعت تلك المواضع وبينت محتمل الغزو ،
وبعضها الاحتجاج فيه توكيدي مثل ماني (لحف) .

ولقد قلتُ حين وتدد في الأرض ثبيراً أربى على شعلان (١) .
 - ومنه قوله : «ورفض الشيء (بالتحريك) جانبه ، ويجمع أرفاضاً ،
 قال بشار :

وكان رَفَضَ حديثها قطعَ الرياض كُسين زهراً (٢) . هـ .

لانياً : الاحتجاج بشعر بشار في النحو (٣) وما إليه :

(أ) جاء في شرح الكافية الشافية لابن مالك (٦٧٢) هـ الاستشهاد
 بيت بشار :

ردُّوا ، فوالله ما ذُذناكم أبداً ما دام في مائنا ورد لنزال
 على أن جواب القسم - إذا أريد نفيه - قد ينبنى بما ، كما قد ينبنى بأن
 أولاً (٤) .

(ب) وفي شرح الرضى الاسترأباضى (٦٨٦) هـ للكافية في روابط الحال
 الواقعة جملة جاء بقول بشار :

(١) اللسان (وتد) ٤/٥٧ سطر ١٥ - ١٨ .

(٢) اللسان (رفض) ٩/١٧ - والفاء في (رفض) في البيت ينبنى - عروضياً -
 أن تكون ساكنة ، ولكن الشاهد جىء به على أن تكون متحركة فهكذا ضبط في اللسان ،
 ويدل لهذا الضبط جمع الكلمة على (أرفاض) لأن (فعل) الساكنة العين لا تجمع على أفعال
 إلا نادراً ، وقد جىء بالشاهد في التاج ٥/٣٥ في سياق التحريك أيضاً . والذي جاء في ديوان
 الأدب محرراً « إبل رفض إذا تركت قرعى وتبدد في مراعيها » لا غير ١/٢١٦ وقد ذكر
 هذا في اللسان والتاج أيضاً ، والذي جاء فيه في (فعل) بسكون العين الرفض أقل من الجرعة
 وهو الماء القليل ١/١١٥ . وليس اللفظ بالتحريك والمعنى المذكور في الصحاح ولا في
 التهذيب ١٢/١٥ . وأياً ما كان فهذا استشهاد لغوى صحيح بشعر بشار وهو المقصود .

(٣) نقصد بالنحو هنا معناه العام الذى يشمل الصرف أيضاً . (انظر شرح الرضى لشافية
 ابن الحاجب ١/٦) .

(٤) شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق د. عبد المنعم هريدى (ط مركز البحث
 العلمى بجامعة أم القرى) ٢/٨٤٣ - ٨٤٤ ولم ينسبه المحقق ، وهو في معجم الشواهد منسوب
 لبشار وذكر أنه في الخزانة ٤/٢٧٥ عرضاً ، وفي شرح الشواهد للعينى ٣/٦٥٢ ، وفي
 المسح ٢/٣١ ، والدرر اللوامع ٢/٢٧ والأشئوى ٢/٢٠٩ .

(م ٨ - الاحتجاج بالشعر في اللغة)

إذا أنكرتني بلدة أو تكبرتها . . . خرجت مع البازي على سواد
شاهدا لوقوع الضمير الرابط في صدر الجملة الخبرية وهذا الصدر خبر
مقدم على مبتدئه . وحكم بأن تجرد مثل هذه الجملة الحالية عن واو الحال
(كما هو هنا) ليس ضعيفاً (١) .

- ونسب إلى سيدييه أنه احتج بشعر لبشار توقياً لهجائه (٢) .

٢ - مطيع بن إلياس المتوفى (٥١٧٠) (٣)

(١) أولاً في متن اللغة وما إليه :

- جاء في اللسان (خشش) « . . . وقالوا في المرأة خشة (بالفتح) كأن
هذا اسم لها . قال ابن سيده : أنشدني بعض من لقبته لمطيع بن إلياس :

نجّ السوءة السيّآء يا حماد عن خشة

عن التفاحة الصفراء والأترجة المشّة » (٤)

- وجاء فيه (حلا) « . . . وحلوان اسم بلد . . . وقال مطيع بن إلياس :

أسعداني يا نخلتي حلوان . . . وابكي إلى من ريب هذا الزمان (٥)



(١) انظر شرح الكافية ٢١١/١ .

(٢) انظر الأغاني (الدار) ٣/٣٠٩ - ٣١٠ والموشح (ط ٢) ٢٢٣ - ٢٢٤ ،
والاقتراح للسيوطي ٧٠ ، والقياس للشيخ محمد الخضر ٣٥ ، وإتحاف الأبحاد ٧٤ . وقدراجعت
فهارس الكتاب (ط هارون) ، ومجمع شواهد العربية ، وكتاب شواهد الشعر في كتاب
سيدييه د. خالد عبد الكريم جمعه ١٠١ - ٢٢٦ (الباب الأول) ، ٢٤١ - ٢٦٨ (الفصل
الأول من الباب الثاني) فلم أقع على شعر لبشار في الكتاب .

(٣) انظر عنه الأغاني (الدار) ١٣/٢٧٦ - ٢٢٦ وهو من مخضرمي الدولتين وكان
ابن شاعراً . ولمطيع شعر جيد إلا أن مجونه في حياته نفّس على كثير من شعره .

(٤) ل (خشش) ١٨٧/٨ .

(٥) ل (حلا) ١٨/٢١١ - ٢١٢ .

ثانياً : فى النحو وما إليه :

— جاء فى المغنى لابن هشام فى الكلام عن « مع » وأنها تأتى مفردة (أى غير مضافة) فتكون حالاً .. ، وهى فى الإفراد (أى فى هذه الحالة) بمعنى جميعاً عند ابن مالك ، وهو خلاف قول ثعلب : « إذا قلت : « جاء جميعاً » احتمل أن فعلهما فى وقت واحد ، أو فى وقتين ، وإذا قلت « جاء معاً » فالوقت واحد » اه قال ابن هشام ، وفيه نظر ، وقد عادل بينهما من قال (وهو مطيع بن إياس) :

كنت وبحي كيدى واحد . . . نرمى جميعاً ، ونراى معاً (١) اه

والبيت فى الكامل والأغانى وغيرهما (٢)

-- ونسب إليه شاهد آخر (٣)

٣ - خلف بن حيان الأحمر (المتوفى نحو ١٨٠ هـ) (٤)

قال عنه أبو عبيدة : « خاف الأحمر معلم الأصمعى ومعلم أهل البصرة » ، وقال الأنخفش : « لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف والأصمعى (٥) » ، وقال عنه ابن قتيبة : « كان عالماً بالغريب والنحو والأخبار ، شاعراً كثير الشعر جيده ، ولم يكن فى نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه (٦) » .

(١) المغنى (محيى الدين) ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٢) البيت فى الكامل (أبو الفضل والسيد شحاته) ٩٢/٤ (بكسر ميم نراى) ، وفى الأغانى (الدار) ٣٠٨/١٣ (وقرأنا معاً) وفى أمالى القالى ١٨/٣ منسوباً إلى من اسمه محمد من بنى مخزوم بسند غير مقنع (ونراى بفتح الميم) .

(٣) فى المجاز لأبى عبيدة ١٦٩/٢ بيت نسب محققه لمطيع بن إياس . وسيأتى فى الاحتجاج بشعر التيمى .

(٤) انظر عنه الشعر والشعراء رقم ٩١٢/ص ٧٨٩ وإرشاد الأريب ١٧٩/٤ وإنباه الرواة ١/٣٤٨ والأعلام ٣١٠/٢ وما أحالت إليه المراجع (الأول والأخير ان) .

(٥) انظر إرشاد الأريب ١٧٩/٤ .

(٦) الشعر والشعراء ٧٨٩ .

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

— جاء فى لسان العرب : « زها يزهو زهوا (بالفتح) أى تكبر .
ومنه قولهم : ما أزهاه . . . قال الأحمر النحوى يهجو العتبى والفيض
ابن عبد الحميد :

لنا صاحب مواع بالخلاف . . . كثير الخطاء قليل الصواب
ألج لجاجا من الخنفساء . . . وأزهى إذا ما مشى من غراب (١)
— وقد ذكر الزمخشرى فى « المستقصى فى أمثال العرب » عند حديثه
عن المثل « ألج من الخنفساء » بيتى خلف السابقين (٢) .

ثانيا : فى النحو وما إليه :

— ذكر سيديويه قول خاف :

ومنهل ليس له حوازيق . . . ولضفادى جمه نقانق
شاهدا لإبدال الياء من العين فى كلمة ضفادع للضرورة . (٣)
— وكذلك استشهد به المبرد فى المقتضب (٤) ، ودار ذلك الشاهد فى
عدة مؤلفات نحوية وصرفية أخرى (٥) بالإضافة إلى لسان العرب (حزق) .
ولا يقدح القول بأنه مصنوع فى وقوع الاستشهاد (٦)

— واستشهد ابن جنى بقول خلف :

فهن يعلكن حداثتها

-
- (١) ل (زها) ٨٠/١٩ .
(٢) الفائق (أبو الفضل) ٤١٩/٣ .
(٣) انظر الكتاب (هارون) ٢٧٣/٢ .
(٤) انظر المقتضب (المجلس الأعلى) ط ٢ ج ١/٢٨٢ .
(٥) انظر شرح المفضل (١٠/٢٤ ، ٢٨) وشرح الرضى للشافية ٤٤١/٤ ، والأشونى
٣٣٧/٤ والدرر ٢١٣/٢ .
(٦) انظر تعليق العلامة هارون فى الكتاب ٢٧٣/٢ .

لجمع الجمع (١) وجيء به في اللسان (حدد) ، (دوم) أيضا .
- وهناك شاهد آتهم هو بوضعه ، وآخر نسب إليه سهوا (٢) .

٤ - أبو عطاء السندی المتوفى (١٨٠ هـ) (٣)

- قيل عنه في أكثر من موضع في معجم لسان العرب إنه كان
فصيحاً (٤)

أولا : في متن اللغة وما إليه .

وقع الاحتجاج بشعر أبي عطاء السندی في خمسة تراكيب أو ستة في
معجم « لسان العرب » (حجب ، عهد ، رخف ، عوف) أو هذا
لحماد (أتم ، زها) (٥) .

- ونبدأ بما في (أتم) لأن الاحتجاج بشعر أبي عطاء السندی في هذا
التركيب سبق به ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) أصحاب المعاجم المحتواة في لسان
العرب . إذ جاء به ابن قتيبة معرض تخطئته الناس في تخصيصهم « المأتم »
بالمصيبة وقولهم كنا في مأتم ، حيث يرى هو أن المأتم إنما هو النساء يجتمعن
في الخمر أو الشر (٦) قال : « والصواب أن يقولوا كنا في مناحة ...
قال الشاعر :

(١) انظر الخصائص ٢٣٦/٣ .

(٢) الذي آتهم بوضعه شعر فيه صوغ فعال من أسماء الأعداد إلى عشرة وهو في الخزانة
(هارون) ١٧٠/١ وفي معجم الشواهد ٣٨٩ أنه ذكر في الجمع ٢٦/١ والدرر ٨/١ والذي
نسب إليه سهواً ما جاء في معجم الشواهد ٥٠١ قافية التلف وهو في الحيوان ٤٩٢/٣ والشعر
والشعراء ٧٨٩ لأبي نواس في رثاء خلف .

(٣) أنظر عنه فوات الوفيات (يحيى الدين) ١٣٤/١ - ١٣٧ ، وتاريخ التراث
(الشعر) ٢٥٣/٣ ومصادر ترجمته التي ذكرها .

(٤) انظر لسان العرب « أتم » ٢٦٩/١٤ سطر ١٠ ، « عهد » ٢٥/٣٠٧/٤ .

(٥) « معجم الشعراء في لسان العرب » ٢٨٧ مع « التمام » في مجلة المجمع العلمي العراقي
مجلد ٣٣ ص ٥٢٤ وقد حققت تلك المواضع وبيئت المحتمل .

(٦) أدب الكاتب (الدال) ٢٤ .

عشية قام النائحات ، وشققت . جيوب بأيدى ماتم وخذود .

أى بأيدى نساء « (١) ا هـ .

وواضح مما ذكره ومن تفسيره « الماتم » فى البيت « بالنساء » بأنه محتج بالبيت على استعمال كلمة الماتم فى تجمع النساء ، وهذا التجمع هنا فى مصيبة . ثم ذكر شاهدا آخر على استعمال الماتم فى تجمع النساء لغير مصيبة (٢) .

— وقد استشهد أبو إبراهيم الفارابى (٣٥٠ هـ) فى معجمه ديوان الأدب بالبيت نفسه فى معرض تعميم معنى الماتم (٣) .

— والبيت نفسه ذكر فى اللسان — عن الجوهرى — شاهدا فى المسألة عينها (٤) .

— وجاء فى لسان العرب (عهد) « ويقال للمحافظ على العهد متعهد . ومنه قول أبى عطاء السندى — وكان فصيحاً — يرثى ابن هبيرة :

وإن تُمس مهجور الفناء فربما . . أقام به بعد الوفود وفود
فإنك لم تبعُد على متعهد . . بلى . كل من تحت التراب بعيد

أراد (بقوله متعهد) محافظ على عهدك بذكره إياك « (٥) ا هـ

ثانيا : فى النحو وما إليه :

— جاء فى شرح جمل الزجاجى لابن عصفور (٦٦٩ هـ) بشأن تأنيث الفعل أو تذكيره مع فاعله جمع السلامة « وأبو على الفارسى يفصل فيقول :

(١) نفسه . وقد وثق المحقق نسبة البيت .

(٢) نفسه ٢٤ - ٢٥ .

(٣) انظر ديوان الأدب ١٦٨٤ .

(٤) انظر لسان العرب « أتم » ١٤ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٥) اللسان (عهد) ٤ / ٣٠٧ - ٣٠٨ .

إن وقع جمع السلامة على مذكر فالإخبار عنه إخبار المذكر ، وإن وقع على مؤنث فتخبر عنه إخبار المؤنث والمذكر بدليل قول الشاعر « عشيّة قام النائمات وشققت البيت ، وقوله عز وجل « إذا جاءك المؤمنات » (المتحنة ٢) ثم زعم ابن عصفور أن ذلك لم يكثر كثرة توجب القياس (١) . وقد مر بنا منذ قليل أن هذا البيت لأبي عطاء السندی .

— وجاء في المغني لابن هشام (٧٦١ هـ) في الكلام عن الجملة التابعة للجملة لها محل « قيل : ومن ذلك قوله (يعني أبا العطاء السندی) :

ذكرتك والخطيئ يخطر بيننا . . . وقد نهلت منا المثقفة السحر
فإنه أبدل « وقد نهلت » من قوله « والخطيئ يخطر بيننا » بدل
اشتمال « اهـ (قال ابن هشام) وليس متعيناً لجواز كونه من باب النسق
على أن تقدر الواو للعطف ، ويجوز أن تقدر واو الحال ، وتكون
الجملة . . . من فاعل ذكرتك على المذهب الصحيح في جواز ترادف
الأحوال . . . » (٢) :

— وجاء في المساعد لابن عقيل (٧٦٩ هـ) وهو شرح لتسهيل الفوائد لابن مالك :

(ويعاقب الإفراد التثنية في كل اثنين لا يغني أحدهما عن الآخر) وذلك
كالعينين والأذنين فتقول عيناه حسنة ، وعينه حسنتان ، وعينه حسنة ،
والأصل عيناه حسنتان . وظاهر كلام المصنف أن ذلك مقيس ، وزعم
بعضهم أنه غير مقيس ، وأنه إنما جاء في الشعر . فن الأول قوله (يعني
امراً القيس :

لمن زُحلوقة زلّ . . . بها العينان تنهل

ومن الثاني قوله :

إذا ذكرت عيني الزمان الذي مضى
بصحراء كلج ظللتا تكيفان

(١) انظر شرح جمل الزجاجي بتحقيق د. صاحب أبوجناح ٢/٢٩٣ .

(٢) المغني لابن هشام (محيي الدين) ص ٤٢٦ .

ومن الثالث قوله (يعنى أبا العطاء السندى) :

ألا إن عينا لم تجد يومَ واسط

عليك بجارى دمعها لجمود (١)

ومن الرابع قوله (يعنى ذا الرمة) :

وعينان قال الله كونا فكانتا . . . فعولان بالألباب ماتفعل الحمره (٢)

أهـ . ولنا أن نلاحظ أن ابن عقيل جاء بيت أبي عطاء السندى لمسأله وحده أى ليس معه شاهد آخر ، وأنه عرضه فى نفس معرض بيت امرئ القيس قبله . وذى الرمة بعده دون إبداء أى فرق فى مستوى الاستشهاد .

هـ - عقيل بن بلال بن جرير (٣)

احتج بشعره أبو سليمان الخطابي (٣٨٨ هـ) فجاء فى غريب الحديث له : « يروى عن ابن عباس أنه ذكر علياً (رضى الله عنهم) فأثنى عليه وقال : « علمى إلى علمه كالقرارة فى المشنجر » أى كالغدير فى البحر . وأصل القرارة : الموضع المطمئن من الأرض يستقر فيه ماء المطر .

قال عقيل بن بلال بن جرير :

وما النفس إلا نطفةٌ بقرارة

إذا لم تكدرْ كان صفواً غديرها (٤) أهـ

(١) قال محقق المساعد ٧٣/١ فى تعليقه هنا إن البيت لأبي عطاء السندى . وأحال إل معجم شواهد العربية ١٠٣/١ .

(٢) المساعد . . تحقيق د. محمد كامل بركات ٧٣/١ .

(٣) قيل عنه إنه شاعر مقل ، وأبوه بلال كان أفضل أولاد جرير وأشعرهم (الشعر والشعراء ٤٦٤ والفهرست ١٥٩) ولم أعر على تحديد زمن وفاته . ولكن جده جريرا توفى (١١٠ هـ) وأبوه بلال توفى نحو (١٤٠ هـ) (الأعلام ط ٤ ج ٢/٧٢) ، وابنه عمارة ابن عقيل توفى (٢٣٩ هـ) وسيأتى ، فرجحت أنه توفى بين (١٧٠ - ٢٠٠ هـ) فيكون ابنه عمارة عاش بعده بين أربعين وسبعين سنة) وانظر عنه الفهرست ١٥٩ وتاريخ التراث العربى مجلد الشعر ٧٢/٣

(٤) غريب الحديث للخطابي تحقيق عبد الكريم الزبায়ى ٢٠٢/٢ .

— واحتج جارا لله الزمخشري في الفائق ببيت عقيل هذا في التمرارة (١) .
وكذلك ابن الأثير في النهاية (٢) .

٦ — مروان بن أبي حفصة (١٨٢) هـ

(قال خالف الأحمر ويونس عن بعض قصائده إنه فيها أشعر من
الأعشى ، وكان ابن الأعرابي يحتم به الشعراء . وما دون لأحد بعده
شعراً) (٣) .

في متن اللغة :

— جاء في لسان العرب (زمل) « والزاملة بعير يستظهر به الرجل يحمل
عليه متاعه وطعامه . قال ابن بري : وهجا مروان بن سليمان بن يحيى
ابن أبي حفصة قوماً من رواة الشعر فقال :

زواملُ الأشعار لا علم عندهم بجيادها إلا كعلم الأباغر
لعمرك ما يدرى البعير — إذا غدا بأوساقه أوراخ — ما في الغرائر (٤)

— وقد جاء له المبرد بقصيدة أولها :

إن الغواني طالما قتلننا بعيونهن ولا يدين قتيلا

وفسر غامض ألفاظها ، وحلل بعض ما فيها من مسائل النحو والصرف (٥) .

(١) الفائق تحقيق (محمد أبي الفضل) ١٨١/٣ .

(٢) النهاية تحقيق د. محمود الطناحي ٣٨/٤ .

(٣) انظر الأغاني (الدار) ٨١/١٠ — ٨٢ ، ٩٠ .

(٤) ل (زمل) ٣٣٠/١٣ .

(٥) الكامل (بتعليق الشيخ إبراهيم الدجموني) ٢١٣/٢ — ٢١٥ وما حله من مسائل
النحو جواز إسناد الفعل ضمن في نحو ضمن القبر زيدا إلى كل من زيد والقبر وذلك تعليقا
على قول مروان ضمن أحور . كما حلل قصر يرف الفعل اللغيف بمناسبة قول مروان « ولا يدين
قتيلا »

٧ - المؤمل بن أميل المحاربي المتوفى نحو (١٩٠) هـ

(جاء عنه في الأغاني : « وهو صالح المذهب في شعره ، ليس من المبرزين الفحول ، ولا من المرذواين . وفي شعره لين ، وله طبع صالح » وفيه أن أبا جعفر المنصور استحسن شعره رغم استيائه منه (١)) .

في النحو وما إليه :

- احتج به الرضى الأستراباذى في شرحه لكافية ابن الحاجب . فقد جاء بقوله :

(حسب المحبين في الدنيا عذابهم) والله لا عذابتهم بعدها سَقَرٌ

شاهداً على أن الماضى المنفى بلا في جواب القسم ينصرف إلى الاستقبال ... فيكون ماضياً لفظاً مستقبلاً معنى ، لأنه حالف على نفى تعذيب النار ، وذلك متوقع (أى مستقبل) بدليل تعلق الظرف به وهو بعدها أى بعد الدنيا (كذا) (قال البغدادى) فعلى هذا يجوز أن يقال « والله لا قام زيد » نص عليه ابن السراج « (٢) » هـ .

- وجاء بالبيت نفسه ابن هشام في المغنى شاهداً على أن « لا » إذا دخلت على فعل ماض - لكنه مستقبل في المعنى - كما في البيت - فإنه لا يجب تكرار لا .

أما إذا كان ماضياً لفظاً ومعنى فإنه يجب تكرار لا مثل قوله تعالى :
« فلا صدق ولا صلى » (٣) .

(١) انظر الأغاني ١٩ / ١٤٧ .

(٢) الخزانة للبغدادى (الأميرية) ٣ / ٥٢٢ ، ٤ / ٢٨٢ .

(٣) انظر المغنى (محبى الدين) ٢٤٢ - ٢٤٣ .

٨ - مروان النحوى وهو مروان بن سعيد بن عباد المهلبى

المتوفى نحو (١٩٠) هـ (١).

كان من أصحاب الخليل بن أحمد ، وكان حاذقاً بالنحو ، وكانت بينه وبين أبي عبيدة مناقضات موضوعها التفاضل بالقدرة الشعرية (٢) .

فى النحو وما إليه :

- جاء سيبويه ببيتته :

ألقى الصحيفة كى تخفف رحله والزاد حتى نعليه ألقاها (٣)
شاهدا لكون الجر بحتى هنا حسناً ، وذلك بعد أن ذكر أن النصب فى مثل هذا التركيب مختار ، ثم ذكر بعد البيت أن الرفع أيضاً جائز (٤) .
وقد دار البيت فى كثير من كتب النحو (٥) ، ونجىء من ذلك بعرض احتجاج الرضى بالبيت حيث قال البغدادى إنه جاء بالبيت شاهداً على أن (حتى) وإن كان يستأنف بعدها الكلام ، إلا أنها ليست متمحضة للاستئناف ، فلم يكن الرفع بعدها أولى ، فهى كسائر حروف العطف .
يعنى أنه يجوز فى نعله النصب والرفع ، أما النصب فن وجهين : أحدهما :

- (١) انظر عنه بغية الوعاة ٢/ ٢٤٨ والموشح (السلفية) ٢٢٢ - ٢٣٣ وقاريخ التراث (الشعر) ٤/ ٢٠٢ والأعلام ٧/ ٢٠٨ .
- (٢) انظر المراجع السابقة وبخاصة البغية والموشح فى المواضع نفسها .
- (٣) البيت نسب إلى المتلمس (شاعر جاهلى) وقد نفى العيني وجود البيت فى ديوان المتلمس ، ونفى نسبته إليه ونسبه إلى أبى مروان النحوى . والبيت فى ياقوت ١٩/ ١٤٦ والبغية ٢/ ٢٤٨ منسوباً إلى مروان النحوى لا إلى أبى مروان . ولا وجود لأى « أبى مروان النحوى » فى كتب التراجم ينسب إليه البيت . بينما مروان النحوى معروف ونسب إليه البيت صراحة فلا وجه لنسبته إلى غيره وإنما كانت نسبته إلى المتلمس لأنه صاحب الصحيفة ، وهذا لا يكتفى لأن القصة مشهورة يمكن أن يقصها غيره للعبرة ، والقصيدة ليست فى ديوانه .
- (٤) انظر الكتاب (هارون) ١/ ٩٦ - ٩٧ والخزانة (هارون) ٣/ ٢٢ .
- (٥) جاء فى شرح المفصل ٨/ ١٩ ، والمغنى (مخي الدين) ١٢٤ ، واللمع ٢/ ٢٤ ، وانعصريح ٢/ ١٤١ والأشمونى ٣/ ٩٧ ، وحاشية يس ١/ ٣٠٢ وتكرر فى بعضها (انظر معجم الشواهد ٤١٦) .

نصبه بإضمار فعل يفسره (ألقاها) كأنه قال : حتى ألقى نعله ألقاها ...
 ثانيها : أن يكون نصبه بالعطف على الصحيفة ، وحتى بمعنى الواو كأنه قال :
 ألقى الصحيفة حتى نعله ، يريد : ونعله .. وأما الرفع فعلى الابتداء ،
 وجملة ألقاها هو الخبر . فحتى - على هذا ، وعلى الوجه الأول من وجهي
 النصب - حرف ابتداء ، والجملة بعدها مستأنفة . . أه المراد .

٩ - أشجع السلمى (المتوفى نحو ١٩٥ هـ)

« ربّي أشجع ونشأ بالبصرة ، . . ثم كبر وقال الشعر وأجاد وُعدّ في
 الفحول وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر
 معدود . فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس » (١) .

أولا : في متن اللغة وما إليه :

أ - جاء في اللسان (طرمذ -) « قال ثعالب . . . والطر مذار
 (بكسر الأول والثالث) المتكرر بما لم يفعل . وقيل الطرم مذار والطر ماذ
 هو المتندح ، يقال تندح أى تشبع بما ليس عنده . قال ابن برى : ويقوى
 ذلك قول أشجع السلمى :

ليس للمحاجات إلا من له وجه وقاح
 ولسان طرمذار وغدو ورواح . (٢)

ب - وقال ابن الشجرى في أماليه : « وقد جاء « حابى » بمعنى « حبا »
 في قول أشجع بن عمرو السلمى بمدح جعفر بن خالد البرمكى حين ولاه
 الرشيد خراسان :

إن خراسان وإن أصبحت ترفع من ذى الهمة الشانا
 لم يحسب هارون بها جعفرا لكنه حابى خراسانا

(١) الأغاني (الهيئة) ٢١٢/١٨

(٢) اللسان (طرمذ) ٣٢/٥ .

— ١٢٥ —

أى لم يحب جعفر بن خراسان لكن حبا خراسان بجعفر . فهذا يعضد قول أبى الفتح (يعنى ابن جنى فى ذهابه إلى أن حابيت زيدا معناه حبوته أى أعطيته ، وبه فسر بيتاً للمتنبى) ثم قال ابن الشجرى : ولو وضع منشد حبا فى موضع حابى لم يكسر الوزن (١) . اه المراد .

ثانياً — فى النحو وما إليه :

— استشهد الرضى الأستراباذى فى شرح الكافية بقول أشجع السلمى :

كأن لم يمت حتى سواك ولم تقم على أحد إلا عليك النوائح

جاء فى الخزانة : (أنشده شاهداً) على أنه إذا وقع مرفوع بعد المستثنى فى الشعر أضمر وا له عاملاً من جنس الأول . أى قامت النوائح (٢) .

والبيت من قصيدة فى أمالى القالى — قال أبو على إنه قرأها على أبى بكر ابن دريد (صاحب الجمهرة) وأولها :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه مادح (٣)

— وجاء فى المساعد (شرح ابن عقيل للتسهيل) — شرحاً لقول ابن مالك فى الصفة المشبهة — « وإذا قصد استقبال المصوغة (أى الصفة المصوغة) من ثلاثى على غير فاعل ردت إليه » قال ابن عقيل (أى ردت) إلى فاعل « فتقول عاف وشابع وشارف (يعنى بدل عفيف وشبعان وشريف) . ومنه قوله تعالى « وضائق به صدورك » (هود ١٢) وكذا قراءة بعض السلف « إناك مائت وإناهم مائتون » (الزمر ٣٠) ، وقول الشاعر :

(١) انظر الأمالى الشجرية ٢١٧/١ - ٢١٩ .

(٢) الخزانة (هارون) ٢٩٥/١ وجاء هذا الشعر فى النوادر الملحق بالأمالى للقالى (١٦٥/٣) قال وأنشدنا أبو المباس لبعض المحدثين — هو أشجع السلمى .

(٣) أمالى القالى ١١٨/٢ وقال محققه إن القصيدة نسبت — فى شرح الحماسة لابن بريزى لطبع بن إياس يرثى بها يحيى بن زياد .

— ١٢٦ —

وما أنا من رزء وإن جلُّ جازع ولا بسرور بعد موتك فارح (١)
.. اه المراد . والشاعر هو الأشجع هذا ، والبيت من القصيدة المذكورة
قبلا (٢) .

١٠ — أبو الشيص . وهو أبو جعفر محمد بن رزين .
(المتوفى ١٩٦ هـ)

كان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم ، غير نبيه الذكر
لوقوعه بين مسلم بن الوليد . وأشجع ، وأبي نواس فخمل « (٣) أى أن
الذى أخمله ليس انحطاط شعره .

في متن اللغة :

— جاء في اللسان (قرض) « والمقراض واحد المقاريض . وأنشد ابن برى
لعدي بن زيد (شاهد) وقال ابن ميادة (شاهد) وقال أبو الشيص :

وجناح مقصوص تحيف ريشه
ربُّ الزمان تحيِّف المقراض
فقالوا مقراضاً فأفردوه « (٤) اه .

١١ — أبو نواس (١٩٥ / ٠٠ / ١٩٩ هـ)

جاء في الخزانة : قال أبو عبيدة : أبو نواس للمحدثين مثل امرئ القيس
للمتقدمين . وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد في الكل . وما زال العلماء
والأشراف يروون شعره ويتفكّهون به ، ويفضلونه على أشعار القدماء .

(١) المساعده ٢٢١/٢ - ٢٢٢ .

(٢) انظر السابق ص ٢٢٢ الخاش حيث قال إن المرزوق ذكر هذه النسبة أيضاً في
شرح الحماسة ص ٨٥٨ .

(٣) الأغاني (الدار) ٤٠٠/١٦ .

(٤) ل (قرض) ٨٢/٩ وكلامه الأخير رد على من يلزم هذه الكلمة الثنية إذا عني بها
«الجلال» قال قبل ذلك والمقراضان الجلمان لا يفرد لهما واحد . هذا قول أهل اللغة وحكى
سيبويه مقراض فأفرد .

وقال أبو عمرو الشيباني : « لولا أن أبا نواس أفسد بهذه الأقدار (يعنى الحمور) لاحتججنا به ، لأنه كان محكم القول لا يخطئ » (١).

وقال الجاحظ - تعليقا على رجز أبي نواس في الكلاب : « وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب ، لأنه كان عالما راوية ، وكان قد لعب بالكلاب زمانا ، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب ، وذلك موجود في شعره ، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه ، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك والحدق بالصنعة . وإن تأملت شعره فضلته ، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية ، أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر ، وأن المولدين لا يقاربونهم في شيء . فإن اعترض عليك هذا الباب ، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ، ما دمت مغلوباً » (٢) .

• وقال عنه ابن جني : « وكان ممن سبق له - مع ظرفه ، وحسن شعره ، وما يؤثر عنه من سرعة البده واختراع المعاني - معرفة بعلم العرب . وخدم العلماء ، وأخذ عنهم اللغة ، وقرأ عليهم دواوين العرب . وقال بعض أهل علم العرب .. لولا ما كان يخلط شعره من الخلاعة لاحتج بشعره في كتاب الله تبارك وتعالى » (٣) وقال في ختام شرحه لأرجوزته « لأن تفسير هذه القصيدة قد اشتمل على لغة ، وإعراب ، وشعر ، ومعنى ، ونظير ، وعروض ، وتصريف ، واشتقاق ، وشيء من علم القوافي » (٤) .

• وجاء ابن منظور من كلام ابن جني في أبي نواس بما فوق ذلك أيضا (٥) .

أولا : الاحتجاج بشعره في متن اللغة وما إليه :

— جاء في ديوان الأدب للفارابي : « البلبل (بالضم) طائر يطرب . قال أبو نواس في الأصمعي :

(١) الخزانة للبغدادى (هارون) ٣٤٥ / ١ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٢٧ / ٢ .

(٣) تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني (الأثرى) ٨ - ٩ .

(٤) نفسه ص ٢١٧ .

(٥) انظر لسان العرب (ياباً) .

— ١٢٨ —

بلبل في قنص يطربهم بنغمته (١)

— (وقع في لسان العرب من شعر أبي نواس أبيات في أربعة تراكيب :
يأيا ، وخضر ، ونهر ، وهال (٢). فالذي في خضر من باب المعاني العامة ،
والذي في نهر من المعاني البلاغية ، وسيأتي الكلام على ما في يأيا ، وهال).

— جاء في مجالس ثعلب « وأنشد له (يعني لأبي نواس) :

وأوكة للطير في أرجائها

قال : الأوكة (بالضم) : الموضع الذي يقع فيه الطير « (٣) اه :

وهذا معنى جديد شاهده شعر أبي نواس كما هو واضح . فلم يأت في
لسان العرب أوتاج العروس من معاني الأوكة (بالضم) إلا أنها : هبطة يجتمع فيها
الماء . وقال ابن شميل : الأوكة الركبة مثل البالوعة هوة في الأرض خليقة
في بطون الأودية وتكون في الرياض أحيانا أسميها أوكة إذا كانت قائمتين فما
زاد (يعني في العمق) وما كان أقل من قائمتين فلا أعدها أوكة وفيها مثل فم
الركبة وأوسع أحيانا وهي الهوة .. « (٤) اه المراد .

ب — وجاء في اللسان : « وجعل أبو الدقيش « هل » التي للاستفهام
اسما فأعربه وأدخل عليه الألف واللام وذلك أنه قال له الخليل : هل لك
في زيد وتمر فقام أبو الدقيش : أشد الهلّ وأوحاه . فجعله اسما كما ترى وعرفه
بالألف واللام وزاد في الاحتياط بأن شده غير مضطر لتكمل له عدة
حروف الأصول الثلاثة . وسمعه أبو نواس فتلاه فقال للفضل بن الربيع :
هل لك والهلّ خير فيمن إذا غبتَ حضر .

وفي رواية (يعني لكلمة أبي الدقيش) أشدّ هَلّ وأوحاه . وأنشد
(بيت أبي نواس) (٥) .

(١) ديوان الأدب ١٠٣/٣ وكلمة « نغمته » تبدو وكأنها « نغاته » أو « نغاته » .

(٢) من معجم الشعراء في لسان العرب د. ياسين الأيوبي ، وراجعتها في اللسان .

(٣) مجالس ثعلب ط ٣ ص ١٩ - ٢٠ .

(٤) لسان العرب (أوق) ٢٩٢/١١ - ٢٩٣ ، وانظر تاج العروس (أوق) ٢٨٢/٦ .

(٥) لسان العرب (هلل) ٢٣٣/١٤ - ٢٣٤ .

وقد ذكر ابن الشجري بيت أبي نواس هذا ضمن تناوله لمسألة استعمال الحروف أسماء (١) .

والشاهد هنا أن بيت أبي نواس وتد كلمة أبي الدقيش في استعمال هل اسما مع تضعيفها وإدخال آل عليها، لأن إحدى الروايات تجردها من آل (٢)

ثانياً : في النحو وما إليه .

١ - أورد ابن جنى (٣٩٢ هـ) ضمن « فصل في الحمل على المعنى » من إعادة ضمير المذكر عليه مؤنثاً لتأويله بمؤنث ، وإعادة ضمير المؤنث عليه مذكراً لتأويله بمذكر بيتاً لأبي نواس قال : وأما بيت الحكمي :

(كَسَمَنَّ الشَّنَّانَ فِيهِ لَنَا) كَمُونِ النَّارِ فِي حَجْرِهِ

فيكون (أى إعادة الضمير المذكر في (حجره) على النار وهي مؤنثة) على هذا، لأنه ذهب إلى النور والضياء (أى أن النار تؤول بالنور أو الضياء وكلاهما مذكر) ، ويجوز أن تكون الهاء عائدة على الكمون أى في حجر الكمون ، والأول أسبق في الصنعة إلى النفس « (٣) .

ب - تردد بيت أبي نواس :

غير مأسوف على زمن ينقضى بالهم والحزن (٤)

في عدة مصنفات نحوية . فتناوله ابن الشجري (٥٤٢ هـ) بتحليل مطول خلاصته : أن « غير » رفع بالابتداء ، ولما أضيفت إلى اسم المفعول وهو مسند إلى الجار والمجرور (يعنى أن « على زمن » نائب فاعل « مأسوف »)

(١) الأمل الشجرية ٢/ ٢٢٩ .

(٢) استعمال هل اسماً يحتسب من « متن اللغة » لأنه إضافة لفظ ذي معنى جديد إلى اللغة (هو في كلام أبي الدقيش وأبي نواس بمعنى الرغبة والحاجة كما هو واضح من السياق) ويمكن أن يعد من النحو من حيث قبوله علامات الاسم .

(٣) الحصائص ٢/ ٤١١ - ٤١٣ .

(٤) نسبة إليه ابن هشام في المغنى (محيى الدين) ص ١٥٩ والبغدادى في الخزانة ١/ ١٦٧

والشقيطى في الدرر اللوامع ١/ ٧٢ ومحى الدين في واضح المسالك مع الأشموني ١/ ٢٧٩ .

(م ٩ - الاحتجاج بالشعر في اللغة)

استغنى المبتدأ عن خبر، كما استغنى قائم، ومضروب في قولك «أقامم أخواك»
و«ما مضروب غلاماك» عن خبر .. من حيث سد الاسم المرفوع بهما
مسد الخبر .

ولما كانت « غير » للمخالفة في الوصف جرت مجرى حرف النفي (١)
أى أنها استوفت شرط الاعتماد على النفي . فهي كالجمله التامة .

ولعل من حقنا هنا أن ننبه إلى ما يلي :

١ - إن ابن الشجرى حلل أسلوب أبى نواس هذا إلى ما يبين تأويله
ووجهه - دون أن يحيله إلى سابقة فيه ، أى أن الواضح من تحليل ابن الشجرى
أن أسلوب أبى نواس هذا كان جديداً وسيأتى - بعد - ما يؤكد هذا ، ومع
ذلك فإنه لم يخطئه ، وإنما بين وجهه وإعرابه بما يعنى أنه أسلوب صحيح .

٢ - ومقتضى الحكم بأنه أسلوب صحيح رغم أنه جديد - أنه يجوز أن
يقاس عليه وينسج على منواله . فيقال غير مخوف على الأريب ، وغير
مرغوب عن الحق ، وغير مرجو اللثيم ، وغير منتصر الباطل . . إلى نحو
ذلك من الصور التى تتفق مع تركيب أسلوب أبى نواس .

- وهذا هو الاحتجاج بعينه حيث أثبتنا بأسلوب أبى نواس نمطا جديداً
صحيحاً من الأساليب .

٤ - وإنما قدمنا هذا ليكون رداً مسبقاً على ما سيأتى بعد من كلام
البغدادى ، وكلام غيره فى ما يشبه هذه الصورة .

٥ - أماجدة أسلوب أبى نواس هذا فيشهد لها قول أبى حيان (٨٧٤٥)
فى تذكرته : « ولم أر لهذا البيت نظيراً فى الإعراب إلا بيتاً فى قصيدة المتنبي
يمدح بها بدر بن عمار الطبرستانى يقول فيها :

ليس بالمنكر أن برزت سبّقا

غير مدفوع عن سبق العراب

(١) انظر الأمالى الشجرية ١ / ٣٢ - ٣٣ .

فالعراب مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصير
التقدير : العراب غير مدفوع عن السبق . والعراب جمع ، فلا أقل من أن
يقول مدفوعة « (١) اهـ

- وخرج بيت أبي نواس المذكور - التخريج السابق نفسه ملك
النحاحم الحسن بن صافي (٥٦٨ هـ) - على ما حكى صاحب الخزانة (٢) .

- واستشهد به الرضى الاسترأبادى (٥٦٨٦ هـ) فى شرح الكافية -
وقال البغدادى عنه فى الخزانة « أورده مثالا لإجراء (غير) قائم الزيدان
مجرى (ما) قائم الزيدان لكونه بمعناه » ثم ذكر خلاصة تحليل ابن الشجرى
مبيناً أنها مذهب ملك النحاة أيضاً ، ثم كلمة أبي حيان عن جدة بيت أبي
نواس بحيث لم يجد له نظيراً إلا بيت المتنبي السابق ، ثم قال « وهذا البيت
لأبي نواس ، وهو ليس ممن يستشهد بكلامه ، وإنما أورده الشارح (أى
الرضى) مثالا للمسألة ، ولهذا لم يقل كقوله . وبعده بيت ثان وهو :

إنما يرجو الحياة فى عاش فى أمن من المحن « (٣)
وقد قدمنا الرد على كلمة البغدادى التى قال فيها إن الرضى ذكر البيت
مثالا لا شاهداً .

- والبيت ذكر فى المغنى على أنه من مشكل التراكيب ، وذكر فيه
ثلاثة أعراب أحدها ما قاله ابن الشجرى قال فى المغنى « وتبعه ابن مالك » ،

(١) خزانة الأدب للبغدادى (هارون) ٣٤٥/١ وكلام أبي حيان هذا لا ينقضه ما جاء
فى المغنى ص ٦٧٦ (لابن هشام المتوفى ٥٧٦١ هـ) وفى المساعد ٢٠٨/١ (لابن عثيل ٥٧٦٩ هـ)
من قول الشاعر : غير لاه عداك فاطرح اللهو ولا تنترر بعارض سلم .
فلعل هذا أو ذلك أول موضع يذكر فيه هذا البيت - وصاحباً المغنى والمساعد متأخران عن
أبي حيان المتوفى (٥٧٤٥ هـ) ثم إن البيت فيهما مجهول القائل ، وجيء به كذلك فى الأشمونى
(مع الصبان ١٩١/١) .

(٢) الخزانة (هارون) ٣٤٥/١ .

(٣) الخزانة (هارون) ٣٤٥/١ . والبيت ذكر مرة ثانية فى الخزانة (١٧١/٣ ط
الأميرية) .

— ١٣٢ —

والثاني أن غير خبر مقدم . . . قال في المغنى « قاله ابن جنى وتبعه ابن الحاجب » ، والثالث أنه خبر لمحذوف . . . قاله ابن الخشاب (١) .

— والبيت جاء أيضاً في شرح الأشموني (٢) ، وشواهد العيني (٣) ، وفي جمع الهوامع (٤) حيث قال عنه في الدرر اللوامع « الشاهد في قوله على زمن فإنه نائب عن فاعل مأسوف الذي جر بإضافة غير إليه وانتقل إعرابه إليها . وغير هذه بمنزلة (ما) . وهذا البيت استشهد به كثير من اللغويين على ما أورده السيوطي هنا ، ومن جملة من استشهد به الرضى في شرح الكافية » (٥) اهـ . ثم ذكر قول البغدادى السابق ثم إعرابه على ما ذكره ابن جنى (٦) .

ج — وخرَج ابن يعيش — وغيره — بيت أبى نواس .

كأن صغرى وكبرى من فتاقعها

حصباء دُرَّ على أرض من الذهب (٧)

بأن أبا نواس استعمل لفظى صغرى وكبرى « هنا استعمال الأسماء (أى لا صفات التفضيل) لكثرة ما يجيء منه بغير تقدم موصوف نحو صغرة وكبرة فصار كالصاحب والأجرع والأبطح (٨) » ثم قال « ويجوز أن يكون لم يرد فيه التفضيل بل معنى الفاعل كأنه قال كأن صغرة وكبرة من فواقعها على حد « وهو أهون عليه » (٩) اهـ . يعنى أن أهون فى الآية بمعنى هين . والشاهد أنه لم يخطئه كما خطأه آخرون على ما حكى الزمخشري (١٠) .

(١) هذا في المغنى ص ١٦٠ ، وقد ذكر البيت عنه في المغنى ٦٧٦ — أيضاً ، وهو منسوب في الموضعين .

(٢) الأشموني مع الصبان ١٩١/١ . (٣) شرح الشواهد للعيني ١٣/١ هـ

(٤) جمع الهوامع ٩٤/١ . (٥) الدرر اللوامع ٧٢/١ .

(٦) انظر السابق .

(٧) أى من حيث إن صغرى وكبرى جاءتا على صيغة فعل مؤنث أفعل للتفضيل وحالة المطابقة هذه لا تأتى إلا معرفة (بالإضافة أو بآل) وقد وقعتا في البيت غير معرفتين .

(٨) أى لا يلزمها التعريف ضرورة .

(٩) كلام ابن يعيش في شرح المفصل ١٠٣/٦ .

(١٠) انظر شرح المفصل ١٠٠/٦ .

- ١٣٣ -

ح - وجاء في المغنى لابن هشام (٥٧٦١) في الكلام عن «ثم» أنها حرف عطف يقتضى ثلاثة أمور : التشريك في الحكم ، والترتيب ، والمهمله - وفي كل منها خلاف .. « ثم قال » وأما الترتيب فيخالف قوم في اقتضائها إياه تمسكا بقوله تعالى « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » .

... وقول الشاعر :

إن من ساد ، ثم ساد أبوه

ثم قد ساد قبل ذلك جده « (١)

والشاعر هو أبو نواس .

د - وجاء فيه في الكلام عن « عن » أن ثالث وجوها أن تكون اسما بمعنى جانب ، ويتعين ذلك في ثلاثة مواضع . . . الثالث : أن يكون مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمى واحد . قاله الأخفش . وذلك كقول امرئ القيس . . . وقول أبي نواس :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء

وداوني بالتي كانت هي الداء « (٢)

ه - وجاء في شفاء الغليل لشهاب الدين الحفاجي المصري : « قاسه : معروف ، يتعدى بعلى ، وعداه أبو نواس بالباء أيضاً في قوله :

من قاس غيركم بكم قاس الثماد إلى البحور

وأما تعديته إلى هنا ، وفي قول المتنبي :

بمن نضرب الأمثال أم من نقيسه إليك ، وأهل الدهر دونك ، والدهر

فقال الواحدى : إنما وصل القياس إلى لأن فيه معنى الضم والجمع :

(١) المغنى لابن هشام (محيى الدين) ١/١١٧ .

(٢) نفسه ١٥٠ .

كانه قال : من أضمه إليك في الجمع بينكما والموازنة . وقيل : ضمن معنى الانتهاء أي منتهياً إليك « (١) اهـ .

وأخذ الشهاب الخفاجي (المتوفى ١٠٦٩ هـ) تعدية أبي نواس الفعل قاس بالباء بالتسليم ، مع تسويتها بتعدية الفعل نفسه بعلى - كما هو واضح من قول الشهاب « أيضاً » في السياق ، وكذلك أخذ الشيخين الواحدى المتوفى ٤٦٨ هـ والخفاجي - وكل منهما إمام جليل في العربية والتفسير (٢) - تعدية الفعل قاس بلى ، مع تأويل عمله هذا بأن الفعل فيه معنى الضم والجمع أو الانتهاء ، ودون إشارة إلى أى مطعن في أسلوب أبي نواس هذا - مع أنه لم يسبق إليه . وإلا لأتيا بشعر من سبقه - أقول إن قبول الشيخين للأسلوب وتوجيهه يعنى الإقرار بفصاحته ، وبأنه يستعمل ويقاس عليه .

و - جاء في لسان العرب : « واليؤيؤ طائر يشبه الباشق من الجوارح والجمع اليآئي ، وجاء في الشعر اليآئي (بتقديم الهمزة على الياء الأخيرة) قال الحسن بن هانئ في طردياته :

قد أغتدى والليل في دُجَاه كطُرَّة البرُد على مشناه

بيؤيؤ يعجب من رآه ما في اليآئي يؤيؤ شرواه

قال ابن برى كأن قياسه عنده اليآئي ، إلا أن الشاعر قدم الهمزة على الياء .. « (٣) اهـ .

- هذا ، إلى نحو ثلاثين قافية لأبي نواس في نحو أربعين موضعاً من كتب النحو واللغة (لا كتب البلاغة) جاءت في معجم شواهد العربية

(١) شفاء الغليل للخفاجي ٢١٥ .

(٢) الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى له ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم ، وشرح ديوان المتنبي ، والإعراب في علم الإعراب وغير ذلك انظر بغية الوعاة ١/١٤٥ ، والخفاجي له كتب كثيرة في اللغة منها شرح درة النواص ، وشفاء الغليل ، وشرح الشفاء للقاضي عياض ، وله حاشية جليئة على تفسير البيضاوى . انظر الكلام عنه وعن مؤلفاته في تقديم د. عبد المنعم خفاجي لشفاء الغليل .

(٣) لسان العرب (يأياً) ١/١٩٧ وانظر المساعد لابن عقيل شرح التسهيل ٤/٢٨ .

انتقيتها منه ، وأحصيتها ، وراجعت كثيراً منها فتبين أن أكثرها شواهد لغوية صحيحة .

١٢ - ربيعة بن ثابت الرقي (١٩٨ هـ)

قال عنه مروان بن أبي حفصة إنه أشعر المحدثين ، ولما خطأ الأصمعي أسلوب « شتان ما بينهما » رد أبو زيد كلامه ، واحتج بقول ربيعة : « لستان ما بين اليزيديين . . . » البيت . قال الأصفهاني : وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل الأصمعي بشعر ربيعة كفاية له في تفضيله « اهـ (١) » ،

أولاً : في متن اللغة وما إليه :

• استشهاد المبرد في الكامل في حديثه عن التمتعة - من عيوب النطق - بقول ربيعة الرقي ذاماً ليزيد بن أسيد السلمى ، ومفضلاً عليه يزيد بن حاتم ابن قبيصة بن المهلب :

فلا يحسب التمتام أنى هجوته

ولكننى فضلت أهل المكارم (٢)

• واحتج الزمخشري بشعر ربيعة في الفائق : جاء فيه « وقال النضر : طيبة (بالفتح) اسم يثرب .

وأنشد لربيعة الرقي :

وطيبة في طيها سميت بطيبة طابت فنعم المحل (٣)

ثانياً : في النحو وما إليه :

استشهد النحاة : الرضى (٤) ، وابن يعيش (٥) ، وابن هشام (٦) ، ببيت ربيعة الرقي :

(١) انظر الأغاني (الدار) ٢٥٤/١٦ - ٢٥٥ .

(٢) الكامل (الجموني) ١٦٠/٢ . (٣) الفائق ٣٧٣/٢ .

(٤) انظر الخزانة (بولاق) ٤٥/٣ ، (هارون) ٢٥٧/٦ .

(٥) شرح المفصل ٣٧/٤ . (٦) شذور الذهب (محيي الدين) ٤٠٤ .

— ١٣٦ —

لستان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم .
على صحة أسلوب شتان ما بين زيد وعمرو وإن كان ذلك قليلا
والأكثر شتان زيد وعمرو ، وشتان ما زيد وعمرو . قال ابن السيد البطليوسي :
« ولم ير الأصمعي هذا البيت حجة لأن ربيعة هذا محدث وكان عنده
ممن لا يحتاج بشعره . وهذا غلط لأن شتان اسم للفعل يجري مجراه في
العمل فلا فرق بين ارتفاع « ما » به في بيت ربيعة وارتفاع اليوم من شعر
الأعشى ، كما أنك لو قلت بعد ما بين زيد وعمرو لجاز باتفاق » (١) اهـ

١٣ — محمد بن مناذر المتوفى (١٩٨ هـ)

« محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة ، وإمام فيها ،
وقد أخذ عنه أكابر أهلها . . . وكان إماما في علم اللغة وكلام العرب » (٢) .

أولا : في متن اللغة وما إليه :

— جاء في لسان العرب بشأن اختلاف اللغويين في « فاضت نفسه » أو
« فاظت نفسه » أيتهما يقال : « أبو القاسم الزجاجي : يقال « فاظ الميت »
بالظاء ، و « فاضت نفسه » بالضاد . وفاظت نفسه بالظاء جائز عند
الجميع إلا الأصمعي ، فإنه لا يجمع بين الظاء والنفس . والذي أجاز فاظت
نفسه بالظاء يحتاج بقول الشاعر :

كادت النفس أن تفيظ عليه إذ غدا حشو رِيطة وبرود (٣)

اهـ والشاعر هو محمد بن مناذر كما سيتبين بعد .

(١) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد (دار الجيل ١٩٧٢) ص ٣٨٩ وقوله
اليوم في شعر الأعشى يقصد قوله :

شتان مايومي على كورها ويوم حيان أخى جابر

(٢) الأغاني (الهيئة المصرية العامة ١٨ / ١٦٩ ، ١٧٠) وانظر في ترجمته تاريخ التراث
(الشعر) ٥٣ / ٤ ومصادر ترجمته التي ذكرها .

(٣) لسان العرب (فيظ) ٢٣٤ / ٩ .

ثانياً - في النحو وما إليه .

— جاء في المغنى « قولهم في كاد إثباتها نفى ونفيها إثبات ، فإذا قيل « كاد يفعل » فمعناه أنه لم يفعل ، وإذا قيل « لم يكد يفعل » فمعناه أنه فعله . دليل الأول قوله تعالى « وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك » وقوله .

كادت النفس أن تفيض عليه إذ غدا حشو ربطة وبرود
ودليل الثانى « وما كادوا يفعلون » (١) اه المراد ، وهذا عرض لما
يقال ، ولا بن هشام رأى غير هذا (٢) .

— وجاء في أوضح المسالك لابن هشام أيضاً بشأن اقتران خبر كاد
وكرب بأن وأنه يغلب أن يكون مجرداً منها ، ويقل اقتران خبرهما بأن . قال :
« فمن الغالب قوله تعالى « فذبحوها وما كادوا يفعلون » . . .

و من القليل قوله :

كادت النفس أن تفيض عليه (٣) اه .

وقال شارحه ومحققه الشيخ محمد محيى الدين إن البيت لمحمد بن
مناذر ، وعرف به ، وذكر بعض القصيدة التى منها البيت ، ومناسبتها (٤)
لكنه لم يتبع البيت هنا بقوله إن المصنف ذكره تمثيلاً لا احتجاجاً — كما
يفعل كثيراً بعد الاحتجاج بشعر الموالدين . ربما لأن البيت هنا جاء معطوفاً
على ما هو « دليل » بما لا يسمح بالقول بغير ذلك .

— وجاء ابن هشام بالبيت أيضاً للمسألة نفسها فى شذور الذهب (٥) .

(١) المغنى (محيى الدين) ٦٢١ - ٦٢٢ .

(٢) انظره فى المغنى ٦٢٢ .

(٣) أوضح المسالك لابن هشام ومعه عدة السالك محيى الدين ٣١٣/١ - ٣١٥ .

(٤) نفسه ٣١٥/١ .

(٥) شذور الذهب (محيى الدين) ٢٧٢ .

— ١٣٨ —

— وجاء به لنفس المسألة بهاء الدين بن عقيل في المساعد وهو شرحه لتسهيل ابن مالك (١) .

— كما جاء به الأشموني في شرحه للألفية للمسألة نفسها أيضاً (٢) . ونسبه المحقق هنا وفي الشذور لابن مناذر مع ذكر طرف من قصيدته وقصتها . وأحال محقق المساعد على معجم شواهد العربية الذي نسب البيت لابن مناذر (٣) .

١٤ — أبان بن عبد الحميد اللاخمي المتوفى نحو (٢٠٠ هـ) (٤)

هو من أسرة شعراء ، إذ كان هو ، وأبوه ، وجدته ، وابنه ، وأخوه شعراء ، وإن كانوا — ما عداه وابنه — من المقلين . وسبق في الكلام عن بشار أن الجاحظ وصفه بأنه مطبوع ، وكذا فعل البغدادى (٥) .

أولاً : في متن اللغة وما إليه :

— جاء في ديوان الأدب في الكلام عن باب فعل يفعل (بكسر عين الماضي وفتح عين المضارع) من السالم : « وما كان واقعاً من هذا الباب فإن نعتة على فاعل مثل قدمت البلد فأنا قادم ، وركبت الدابة فأنا راكب . وربما جاء على فاعل وفعل (بفتح فكسر) مثل قولك حذر الأمر فهو حاذر وحذر . قال الشاعر :

(١) المساعد ٢٩٥/١ .

(٢) شرح الأشموني ومعه واضح المسالك لمحيي الدين ٤٩٨/١ - ٤٩٩ .

(٣) انظر المواضع السابقة في الشذور والمساعد وشرح الأشموني .

(٤) انظر في ترجمته الأغاني (الهيئة المصرية) ١٥٥/٢٣ - ١٦٧ ، ثم تاريخ التراث

(الشعر) ٦٩/٤ والأعلام ٢٧/١ وما أحالا عليه .

(٥) انظر تاريخ التراث ٦٩/٤ - ٧١ ، والبيان والتبيين ٥٠/١ ، والخزانة (هارون)

١٧٣/٨ .

حَذَرُ أُمُوراً لَا تُتَخَافُ وَآمَنَ مَا لَيْسَ مُنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ (١)
 أقول وإنما احتسبنا هذا هنا من « متن اللغة وما إليه » لأن الأمر
 هنا أمر ورود الصيغة عن العرب ، وليس أمر صوغ جديد فيحسب
 من الصرف : ولا أمر عمل صيغة فيحسب من النحو كما جاء به
 سيبويه لذلك .

ثانياً : في النحو وما إليه :

- احتج سيبويه إمام النحاة - ببيت اللاحقى السالف شاهداً لأعمال
 صيغة كَعَمَلٍ . حيث نصبت كلمة « أُمُوراً » بكلمة حذر في البيت (٢) .
- وقد احتج بالبيت نفسه للمسألة نفسها الزجاجي (٣٣٩ هـ) في
 الجمل وابن عصفور في شرحه (٣) .
- وكذلك فعل أبو محمد عبد الله بن علي الصيمري في كتابه التبصرة
 والتذكرة (٤) .

(١) ديوان الأدب ٢/٢٥٦ .

(٢) انظر الكتاب (هارون) ١/١١٣ وقد قيل عن البيت إنه مصنوع كما قيل إنه لابن

المقفع (انظر تعليق المحقق هنا ، والمقتضب ٢/١١٥ والخزانة (هارون) ٨/١٦٩ - ١٧٢ هـ

(٣) البيت في الجمل ٩٣ وفي شرحه ١/٥٦٢ .

(٤) انظره بتحقيق د. فتحي عل الدين ص ٢٢٧ .

الفصل الثاني

شعراء القرن الثالث (١) الذين احتج بشعرهم

١٥ - أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى (٢٠٢ هـ) (٢)

(قيل عنه : « مقررء نحوى لغوى ، صاحب أبا عمرو بن العلاء ، وهو الذى خلفه فى القراءة بعده ، . . أخذ علم العربية عن أبى عمرو والحليل . قال ابن المبارك : أكثرت السؤال عنه وعن محله من الصدق ومنزلته من الثقة فقالوا هو ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ، ولا يرغب عنه فى شيء ، وقد روى عنه الغرائب أبو عبيد القاسم بن سلام وكفى به ، وما ذاك إلا عن معرفة منه به » (٣) .

أولاً : فى متن اللغة وما إليه :

— جاء فى اللسان (عجه) : « والعنجهى (بضم الأول والثالث والياء مشددة) : ذو البأو . . . وقال الفراء فيه عنجهية . . . وهى الكبر والعظمة ، ويقال العنجهية الجهل والحمق ، قال أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى يهجو شيبه بن الوليد (وأنشد قصيدة منها :)

رب ذى إربة مقل من الما ل وذى عنجهية مجدود (٤)

— وله شاهد صحيح فى تركيب (أير) (٥) .

(١) عددنا من قوفى فى أول ستة من قرن مامن شعراء ذلك القرن — اصطلاحاً فقط .
قد فعل ذلك ابن سعيّد فى « النصوص الياضة فى محاسن شعراء المائة السابعة » .

(٢) انظر عنه تاريخ التراث (الشعراء) ٢٠٨/٤ .

(٣) انظر الخزانة (هارون) ٧٣/١١ . (٤) اللسان (عجه) ٤٠٨/١٧ .

(٥) اللسان (أير) ٩٨/٥ والشاهد فيه استعمال الفعل الثلاثى واسم الفاعل واسم المفعول

من هذا التركيب .

— ١٤٢ —

وشاهد ثالث في تركيب (هبتق) هو :

عش بجحد^١ وكن هبتقة القيسى^٢ نوكاً أو شيبة بن الوليد^(١)

استشهد به على أن هبتمة التيمسى رجل كان يضرب به المثل في الحق . . والبيت ناطق بذلك .

ثانياً : في النحو وما إليه :

إذا صرفنا النظر عن شعر تكلفه في مسألة نحوية ترددت في أمالي الزجاجي ومجالسه (٢) ، وعن شعر آخر له في المجالس أيضاً (٣) . فإن أمامنا شاهدين من شعره في مسألتين نحويتين .

— فقد استشهد الرضى في شرح الكافية بقوله :

سيان كسر رغيغه أو كسر عظم من عظامه

لمحجى أو بمعنى الواو للمساواة بين شيئين (٤) وذلك واضح في البيت .

— واستشهد السيوطي في الجمع بقول أبي محمد اليزيدي هذا :

فلولا المعافاة كُنَّا كَهْمُ . . (ولولا البلاء لكانوا كُنَّا)

على أن الضمائر المنفصلة قد تستعمل مجرورة . بدليل ما حكى أنا كانت ، وكهو . وقوله « كههم » في البيت . (٥) .

وبعد ، فإن هذا البيت مع ما أشرنا إليه من الشعر الذي تكلفه هذا

(١) اللسان هبتق ١٢/٢٤٣ وهو في شرح ابن يعيش ٦/٩٢ بلفظ القيسى أو مثل شيبة الخ .

(٢) أمالي الزجاجي ٦٠ - ٦١ ومجاله ٢٩١ .

(٣) مجالس الزجاجي ١٧٢ .

(٤) انظر شرح الكافية ٢/٣٧٠ وجيء به في الخزانة (هارون) ١١/٧١ وساق البنذاني

نقلا عن أبي علي ذكر فيه البيت ناسباً إياه إلى « بعض المحدثين » .

(٥) انظر مع المراجع للسيوطي (تحقيق د. مكرم) ١/٢١١ قال الحق عن البيت هو لأبي

محمد اليزيدي معلم المأمون وهو لا يحتاج بكلامه إلا على رأى من يرى أن العالم اللغوي يحتاج بقوله كما يحتاج برأيه .

— ١٤٣ —

الرجل يقدح في أهليته أن يستشهد بكلامه . ومع أننا نؤرخ ما وقع فلولا أن ماذكرناه — مما استشهد بشعره فيه — سائح وله شواهد أخرى لاستبعدناه .

١٦ — الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤ هـ

— وفصاحة الإمام الشافعي متعالة يطول استيفاء الكلام عنها، فنجتزئ بكليعات تجمل الشهادة لفصاحته .

— فعن عامه باللغة : أخرج الخطيب البغدادي . . قال : كان أصحاب الأدب يأتون الشافعي فيقرءون عليه الشعر فيفسره ، وكان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها « (١) . وقال الأصمعي : « صححت أشعار البدوين — وفي رواية أشعار هذيل — على فتي (٢) من قریش يقال له محمد بن إدريس الشافعي » وعنه « قرأت شعر الشنفرى على الشافعي بمكة » (٣) . وقال المبرد : « وكان الشافعي من أشعر الناس وأعلمهم بالقراءات » (٤) وقال يونس بن عبد الأعلى : « كان إذا أخذ في العربية قال هذه صناعته » (٥) .

— وعن فصاحته قال عبد الملك بن هشام ٢١٨ هـ صاحب السيرة وهو لغوى أيضا : « طالت مجالستنا للشافعي فاسمعت منه لحنة قط ، ولا كلمة غيرها أحسن منها » (٦) . . فما سمعته تكلم بكلمة إلا إذا اعتبرها المعبر لا يجد في العربية كلمة أحسن منها » (٧) . وقال الحسن بن محمد الزعفراني

(١) المزهري ١/١٦٠ .

(٢) ولد الأصمعي سنة ١٢٨ هـ ، والشافعي سنة ١٥٠ هـ فالأصمعي أسن من الشافعي بأكثر من ٢٠ سنة .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/٣٠ والمزهري ١/١٦٠ والخبر عن شعر الشنفرى من المزهري وحده .

(٤) تهذيب التهذيب ٩/٢٨ .

(٥) نفسه ٩/٣٠ .

(٦) ، (٧) الرسالة للشافعي (شاكر) ١٣ - ١٤ .

(٢٥٩) هـ - الذى قيل عنه إنه لم يكن فى وقته أفصح منه ولا أبصر باللغة - « ما رأيته لحن قط » (١) . وقال الجاحظ : « نظرت فى كتب الشافعى فإذا هودر منظوم لم أر أحسن تأليفا منه » (٢) وقال ابن أبى الجارود : « ما رأيت أحدا إلا وكتبه أكثر من مشاهدته إلا الشافعى فإن لسانه كان أكثر من كتابه » (٣) .

- وعن الاحتجاج بكلامه قال عبد الملك بن هشام : « الشافعى بصير باللغة يؤخذ عنه ، ولسانه لغة فاكتبوه » (٤) « الشافعى حجة فى اللغة » (٥) وقال ثعلب : « العجب أن بعض الناس يأخذون اللغة عن الشافعى ، وهو من بيت اللغة ، والشافعى يجب أن يؤخذ منه اللغة ، لا أن يؤخذ عليه اللغة » (٦) قال الشيخ أحمد شاكر يعنى يجب أن يحتجوا بألفاظه نفسها لا بما ينقله فقط . وقد صرح بهذا ابن أبى الجارود فى قوله : « كان يقال إن الشافعى لغة وحده يحتج بها » (٧) .

وروى عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه « كلام الشافعى فى اللغة حجة » (٨) وسيأتى كلام الأزهري عنه .

أولا : فى متن اللغة وما إليه :

(أ) سئل أبو عمر الزاهد (٣٤٥ هـ) وهو غلام ثعلب (الإمام اللغوى ٢٩١ هـ) عن حروف (= كلمات) أخذت عن الشافعى مثل قوله

(١) تهذيب التهذيب ٣٠/٩ وانظر عن الزعفرانى ٣١٩/٢ وكان يتولى قراءة كتب الشافعى فى درسه مع حضور الإمامين أحمد وأبى ثور فى الدرس .

(٢) تهذيب التهذيب ٢٩/٩ .

(٣) ذاته ٢٨/٩ .

(٤) ذاته ٣٠/٩ .

(٥) بغية الوعاة للسيوطى ١١٥/٢ .

(٦) الرسالة (شاكر) ص ١٤ .

(٧) تهذيب التهذيب ٣٠/٩ .

(٨) الاقتراح للسيوطى ٥٧ .

« مالح » (١) فقال : « كلام الشافعي صحيح . سمعت ثعلبا يقول : يأخذون عن الشافعي وهو من بيت اللغة يجب أن تؤخذ عنه » (٢) وما أسلفناه في الفقرة السابقة يوضح المراد بهذه العبارة .

(ب) صنف أبو منصور الأزهري (٣٧٠ هـ) صاحب معجم تهذيب اللغة وإمام أهل العربية في عصره كتاب « الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي » (٣) وقال في مقدمته - بعد أن ذكر درسه للقرآن الكريم والحديث الشريف وآثار الصحابة والتابعين : « . . عطفت على النظر في المؤلفات التي صنفها فقهاء أمصار المسلمين من الحجازيين والعراقيين وغيرهم من الأئمة المتقنين وذوى البصائر المميزين فدرستها وأخذت حظي من فوائدها ، وألفت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - أنار الله برهانه ولقاه رضوانه - أثق بهم بصيرة ، وأبرعهم بيانا ، وأغزرهم علما ، وأفصحهم لسانا ، وأجزلهم ألفاظا ، وأوسعهم خاطرا . فسمعت مبسوط كتبه من بعض مشايخنا وأقبلت على دراستها دهرا ، واستعنت بما استكثرت من علم اللغة على تفهمها ، إذ كانت ألفاظه رحمه الله عربية محضة ، ومن عجمة المولدين مصونة . . » ووضح أن تخصيص هذا الإمام للغوى كتابا لشرح ألفاظ الشافعي يعنى الإيمان بكمال فصاحته ، وأن ألفاظه ثروة ينبغي أن تشرح لتضاف إلى المفردات الأصلية للغة .

ثانيا : في النحو وما إليه :

جاء في المساعد لابن عقيل (٧٦٩ هـ) في شرح بعض أحكام الظروف من حيث الإضافة أن الظرف اللازم للإضافة معنى إذا أفرد من الإضافة

(١) أى صفة للشيء الذى فيه طعم الملح . وفي اللسان (ملح ٢/٤٢٧ - ٤٢٨) أنكر يونس والجوهرى وغيرهما أن يقال ماء مالح وإنما يقال ملح بالكسر وملح وملوح وملح كمنظم . لكن لفظ مالح ثبت عن أبي الدقيش وابن الأعرابي وأورد له ابن برى خمسة شواهد مما يحقق صحة كلام الشافعي .

(٢) المواهب الفتحة للشيخ حمزة فتح الله ٤/١ هـ بتصرف يسير وكلمة ثعلب هنا سبقت من قبل موضحة .

(٣) طبع كتاب الزاهر في الكويت بتحقيق د. محمد جبر الألو فانتظرو .

(١٠ - الاحتجاج بالشعر في اللغة)

— ١٤٦ —

لفظاً ، وعطف على المضاف اسم عامل في مثل المحذوف لم يغير حكم الظرف - بمعنى أنه يبقى على ما كان عليه من إعراب كقبل وبعد : أو بناء كإذ . نحو :

قبل وبعد كل قول بغتم . . . حمد الإله البر وهاب النعم وكذا :

أمام وخلف المرء من لطف ربه . . . كوالى تزوى عنه ما كان يحذر (١) .
اه . وقال محقق المساعد عن البيت الأول : رواه الجرجاني في أسرار البلاغة ، ونسبه لشافعي رضى الله عنه (٢) . وعن الثانى إنه لا يعرف قائله .
أقول وفي البيتين شاذان أيضاً للفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعطوف .

١٧ - كلثوم بن عمرو العتابي (٢٠٨ هـ)

قال عنه المرزبانى : شاعر مجيد مقتدر على قول الشعر ، وهو كاتب مترسل ، وله ألفاظ ثبتت ورسائل تدون اه . وذكر الزركلى من كتبه « الألفاظ » ، « الخيل » ، « الآداب » ، « الأجواد » ، « فنون الحكم » (٣) .

في متن اللغة :

جاء في اللسان (برد) : « الجوهري : وقول الشاعر : بالمرهفات البوارد . قال يعنى السيوف وهى القوائل (يقصد أن البوارد فى وصف السيوف المرفهة معناها القوائل من قولهم ضرب حتى برد أى مات) قال ابن برى صدر البيت :

وأن أمير المؤمنين أغصنى

مغصّهما بالمرهفات البوارد» (٤) اه

(١) انظر المساعد ٢/٣٥٠ - ٣٥٢ .

(٢) السابق ص ٣٥٢ . ومحقق المساعد هو د. محمد كامل بركات .

(٣) انظر عنه معجم الشعراء للمرزبانى ٣٥١ ، والأعلام (ط ٤ ج ٥/٢٣١) والمراجع التى أحال عليها .

(٤) اللسان (برد) ٤/٥٥ - ٥٦ .

— ١٤٧ —

والبيت من قصيدة للعتابي ذكره في اللسان مع قصة القصيدة (١) .

— وجاء فيه (أخذ): «وَتَخِذْتُ مَا لَا أَيْ كَسْبَتُهُ : أَلَزِمْتُ التَّاءَ الْحَرْفَ (يعني الكلمة) كَأَنَّهَا أَصْلِيَّةٌ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « لَوْ شِئْتُ لَتَخِذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا » (٢) قَالَ الْفَرَاءُ : قَرَأَ مُجَاهِدٌ « لَتَخِذْتُ » (يعني بفتح التاء الأولى بدون شد) قَالَ وَأَنْشَدَنِي الْعَتَابِيُّ .

« تَخِذَهَا مَرِيَّةٌ تُقَعِّدُهُ »

قال (يعني الفراء) وأصلها افتعلت . قال أبو منصور وصحت هذه القراءة عن ابن عباس ... » (٣)

١٨ — مسلم بن الوليد (صريع الغواني) المتوفى (٢٠٨ هـ)

قال عنه المرزباني : شاعر مفلق مستخرج للطيف المعاني بحلو الألفاظ .
وقال عنه أبو المحاسن : كان فصيحاً بليغاً . (٤)

في النحو :

— جاء في المساعد لابن عقيل شرح التسهيل لابن مالك بشأن ذكر خبر المبتدأ الواقع بعد لولا وحذفه : « وإن دل عليه دليل جاز إثباته وحذفه . ومنه قول المعري :

يذيب الرعب منه كل غضب فلولاً الغمد بمسكه لسالا

قال المصنف بعد هذا الكلام « وهذا الذي ذهب إليه هو مذهب

(١) نفسه .

(٢) سورة الكهف ٧٧ .

(٣) اللسان (أخذ) ٦/٤ .

(٤) انظر معجم الشعراء ٣٧٢ ، والنجوم الزاهرة ٨٦/٢ ثم انظر الأعلام ٢٢٣/٧ والمراجع التي أحال عليها .

الرماني والشجري والشلوبين وغفل عنه أكثر الناس قال : ومن ذكر الخبر بعد لولا قول أبي عطاء السندی :

لولا أبوك ولولا قبله عمر ألفت إليك سعد بالمقاليد

وأشار بقوله وغفل عنه أكثر الناس إلى ما عليه الجمهور من إطلاق القول بوجوب حذف الخبر بعد لولا بناء على أنه لا يكون إلا كونا مطلقا، وتأويل ما ورد بخلاف ذلك . اهـ . (١)

والذي استشهد بهذا الشعر هو المصنف أي الإمام ابن مالك . أما الشعر فقال محقق المساعد تبعا لما في معجم الشواهد إن البيت لمسلم بن الوليد (وهو في ديوانه ١٦١ .

ولنا أن نلاحظ اعتزاز ابن مالك بما جاء به من تفصيل قال به قبله الرماني والشجري والشلوبين ويبدو هذا الاعتزاز في تعبيره عن ترك أكثر الناس له بالغفلة عنه ، ويدخل في هذا الاعتزاز ما جاء به من شاهد لذكر الخبر بعد لولا . وهو بيت مسلم بن الوليد على ما قدمنا .

— وجاء في المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباري (٥٣٢٨) بشأن تذكرة الضريح وتأنيثه « ويقال ضريح وضريحة للقبر . أنشدنا ابن البراء (يعني على التذكير) :

وحل ضريحه إذ حل فيه طريف المجد والحسب التليد

وأنشدنا عبد الله قال أنشدنا يعقوب قال أنشد أبو زيد :

أخارج إن تصبح رهين ضريحة ويصبح عدو آمنا لا يفزع

فقد كان يخشاك الثرى ويتقى

أذاك ، ويرجو نفعك المتضعع (٢) اهـ

والبيت الأول من قصيدة في رثاء يزيد بن مزيد رواها أبو علي القالي

(١) المساعد تحقيق د. محمد كامل بركات ٢٠٩/١ .

(٢) المذكر والمؤنث ٤٦٠ ، وأحال المحقق على الأمال ٨٤/٢ .

في أماليه عن أبي بكر بن الأنباري هذا ، والقصيدة لمسلم بن الوليد أو لأبي محمد التيمي (١) المتوفى ٢٠٩ هـ

١٩ - أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي (٢٠٩ هـ) (٢)

- جاء في مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢١٠ هـ) في قوله تعالى « لا فيها غول » (الصفات ٤٧) « مجازه ليس فيها غول . والغول (بالفتح) أن تغتال (أى الحمر) عموهم قال الشاعر :

وما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول » اهـ (٣)

والشاعر هو التيمي هذا (٤) .

- وجاء في لسان العرب (أتم) - بشأن الخلاف في معنى كلمة المأتم أهو كل مجتمع من رجال أو نساء في حزن أو فرح ، أم هو النساء خاصة يجتمعن في حزن أو فرح ، أم هو النوح والنياحة والمصيبة - على ما تقوله العامة ، وأن بعض اللغويين خطأ استعمال العامة للكلمة بهذا المعنى ، وقال إن الصواب أن يقال كنا في مناحة فلان - « قال ابن بري : لا يمتنع أن يقع المأتم بمعنى المناحة والحزن والنوح والبكاء ، لأن النساء لذلك اجتمعن ، والحزن هو السبب الجامع ، وعلى ذلك قول التيمي في منصور بن زياد :

والناس مأتمهم عليه واحد في كل دار رنة وزفير

(١) انظر الأمالي ٨٤/٢ .

(٢) انظر عنه الأغاني (الهيئة المصرية) ٤٤/٢٠ - ٥٩ وفيه شعر له من الطبقة العالية ، وأن الخلفاء وغيرهم أعجبوا بشعره وانظر تاريخ التراث ١٠٢/٤ والمصادر التي ذكرها .

(٣) مجاز القرآن ١٦٩/٢ .

(٤) نسه محقق المجاز إلى مطيع بن إلياس ، ولم يوثق هذه النسبة ثم نسب إلى أبي عبيدة قوله إن مطيعاً مولد لا يحتج بشعره والبيت في الأغاني (الهيئة المصرية) ٤٤/٢٠ منسوباً إلى التيمي هذا في ترجمته . والبيت أيضاً في طبقات ابن المعتز ١٩٢ منسوباً إلى عوف بن محم الخزامي (٢٢٠ هـ) وقد استبعدت هذه النسبة الأخيرة لأن عوفاً معاصر لأبي عبيدة متأخر عنه ، ولأن الشعر في خروجون هما بالتيمي ومطيع أنسب منهما بعوف هذا ، ولكن استبعدت النسبة إلى مطيع لأن المحقق لم يوثقها واثق أعلم .

ثم ذكر بيتا لزيد الخليل (وهو زيد الخير) ، وآخر لغيره ، وثالثا للفرزدق (١) - أي أنه احتج ببيت التيمي لاستعمال المأتم بمعنى المناحة ، وقدمه على بيت زيد الخير المتوفى (٥٩) ، وبيت الفرزدق المتوفى (١١٠) وغيرهما .

• واحتج ابن جني لقراءة سعيد بن جبير « منشرة » (بوزن اسم المفعول من أنشر) في قوله تعالى « صحفا منشرة » بأنه وإن كان العرف أن يقال نَشَرَت الثوب (أي والصحيفة) - يعنى من باب نصر ، وأنشر الله الموتى فنشروا هم (هذا من باب قعد لازم) فإنه قد جاء عنهم أيضا « نشر الله الميت (من باب نصر متعد) واحتج لذلك بقول التيمي :

ردت صنائعهُ إليه حياته . . فكأنه من نشرها منشور

وعلاه بأنه على تشبيه الميت بالشيء المطوى . فاستعمل في الميت ما يستعمل في الثوب المطوى فقليل نشره الله (من باب نصر) ، ومن هنا جاء الشاعر باسم المفعول منه منشور . وبناء على جواز استعمال نشره مكان أنشره لشبه مفعول هذا بمفعول ذاك ، فإنه يجوز أن يستعمل أنشره في ما يستعمل فيه نشره وهو الصحيفة والثوب . وعلى ذلك قرئ « صحفا منشرة » « كأن الصحف كانت بطيها ميتة ، فلما نشرت حيت بذلك ، فقليل « منشرة » (٢) .

- وهناك شاهد آخر تكرر نسبته بين التيمي ومسلم بن الوليد (٣).

(١) ل (أتم) ٢٦٩/١٤

(٢) انظر المحتسب ٣٤٠/٢ وقد صرح ابن جني بنسبة البيت إلى التيمي . وهذا ما قاله

ابن برى في البيت المذكور هنا والناس مأتمهم . الخ وهو من القصيدة نفسها ، وقال إنها في رثاء منصور بن زياد . والقصيدة في الكامل (أبو الفضل وشحاته) ٢٩/٤ ينسب إلى « رجل من خزاعة » ، وينحل كثيرا ، ونسب الأخفش إلى قطرب . وابن برى يحقق ثقة . ونسبة البيت إلى قطرب لا تخرجه عن دائرة الاحتجاج بالمولدين لأن قطربا توفى ٢٠٦ هـ .

(٣) انظر في كتاب المذكر والمؤنث لمحمد بن القاسم الأنباري ص ٤٦٠ .

٢٠ - بشر بن المعتمر (المتوفى ٢١٠ هـ) (١)

« له مصنفات في الاعتزال ، منها قصيدة في أربعين ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين » (٢)

في متن اللغة وما إليه :

(جىء في اللسان بشواهد من شعر بشر بن المعتمر في تراكيب ربح ، صفح ، هيش ، ألق) (٣) .

ففى لسان العرب (ربح) « والربح (كصر د) والرباح بالضم والتشديد (يعنى كتفاح) القرد الذكر . قاله أبو عبيد في باب فُعَّال . قال بشر بن المعتمر :

وَالْقَعَّةُ تُرْعَثُ رُبَّاحِهَا وَالسَّهْلُ وَالنَّوْفَلُ وَالنَّضْرُ

الإلقة هاهنا : القردة ، ورباحها : ولدها ، وترعث : ترضع (٤) وذكر البيت نفسه (في ألق) ضمن قصيدة لبشر شاهدا للإلقة القردة (٥) .

٢١ - محمد بن يسير الرياشي (٢١٠ هـ) (٦)

(قال عنه ابن قتيبة إنه يتحمل بكثير من شعره . وكذلك قال ابن المعتز « له حكم كثيرة » ونماذج شعره تحقق ذلك ، حتى قال ابن المعتز

(١) انظر عنه الأعلام ٢٨/٢ ولسان العرب (ربح) ٢٦٩/٣ .

(٢) الأعلام (ط ٤) ٥٥/٢ .

(٣) من معجم الشعراء في لسان العرب وقد راجعتها . والذي في (صفح) « رضية صفح » وصفح هذا اسم رجل غدر به .

(٤) اللسان (ربح) ٢٦٨/٣ . (٥) اللسان (ألق) ٢٨٩/١١ .

(٦) ترجمته ونماذج عالية الطبقة من شعره في الشعر والشعراء ٨٧٩ وطبقات الشعراء لابن المعتز ٢٨٠ - ٢٨٣ والأغاني (الدار) ١٧/١٤ - ٥٠ ، وانظر لترجمته أيضاً تاريخ التراث (الشعر) ٥٥/٤ والمصادر التي ذكرها .

عن بعضها إنه سار في العرب والعجم » . ثم وصفه بأنه أنعت الناس
للحيوان والطير والشاء (١) .

في النحو وما إليه :

ذكر الأشموني في شرحه للألفية من مواضع الجر بحرف الجر مع
حذفه : حالة المعطوف - على ما تضمن مثل حرف الجر المحذوف -
بحرف متصل نحو « وفي خلقكم وما يبت من دابة آيات لقوم يوقنون .
واختلاف الليل والنهار » أي وفي اختلاف الليل . وقوله :

أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدَّ مِنَ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ

أي وبمد من « (٢) ١ هـ . والبيت لمحمد بن يسير هذا (٣) .

- وفي حاشية العلامة الحضري على شرح ابن عقيل للألفية في مسألة
الخلاف في الفصل بين فعل التعجب ومعموله بالظرف أو المجرور ، إذا كان
كل منهما متعلقاً بفعل التعجب أيضاً - من حيث إجازة ذلك الفصل ومنعه -
قال الحضري « محل الخلاف ما لم يكن في المفعول ضمير يعود على المجرور
وإلا تعين الفصل كـ « ما أحسن بالرجل أن يصدق » ثم حلل بيتاً جاء
فيه « ما أخرى بذى اللب أن يرى صبوراً » بأن « الأصل : ما أخرى
أن يرى ذو اللب صبوراً ، أي ما أحق الرؤية صبوراً ، بصاحب
العقل .. ، فأن يرى مفعول أخرى ، فصل بينهما بذى اللب ، وهو فصل
واجب لمكان الضمير في يرى كما مر) ثم قال (ومثله أخلق بذى الصبر ..
(البيت) : فأن يحظى فاعل بأخلق حذفت منه الباء ، وفصل بينهما بذى
الصبر وجوباً ، والأصل أخلق بأن يحظى الصابر بحاجته ، أي ما أحق الفوز
بالمطلوب بالصابر ، وما أحق الولوج أي الدخول لمن قرع الأبواب أي
الملازم له (٤) ١ هـ .

(١) انظر الشعر والشعراء ٨٧٩ ، وطبقات ابن المعتز ٢٨١ ، ٢٨٣ .

(٢) انظر شرح الأشموني مع حاشية الصبان ٢٣٤/٢ .

(٣) انظره ضمن قصيدة له في الشعر والشعراء ص ٨٧٩ وفي الأغاني (الدار) ٤٢/١٤ .

(٤) انظر حاشية الحضري على ابن عقيل ٤١/٢ .

٢٢ - أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم (٥٢١١)

(قيل عنه إنه أشعر الناس . وقيل : أطبع الناس (في الشعر) بشار ،
والسيد (الحميري) وأبو العتاهية . . وممن استحسن شعره : الأصمعي ،
والفراء ، وابن الأعرابي ، والجاحظ ، وشهد له بالتقدم بشار وأبر نواس ،
وغيرهما) (١) .

في من اللغة وما إليه :

احتج في التهذيب للفعل ودع (بوزن وهب) بمعنى ترك بقوله :
وكان ما قدموا لأنفسهم أكثر نفعاً من الذي ودعوا
قال محقق التهذيب إن البيت لأبي العتاهية (٢) . وجاء في اللسان بالشطرنج
الأخير وحده (٣) .
- وجيء في الفائق للزمخشري بشاهد منسوب إلى أبي العتاهية (٤) - لكنها
نسبة غير مسلمة (٥) .

-
- (١) انظر عنه الأغاني (الدار) ١/٤ - ١١٢ ، وعن شعره ١/٤ - ٢ : ٩ - ١٥ ،
٣٦ ، ٣٨ - ٤٢ ، ٧١ - ٧٢ .
(٢) انظر تهذيب اللغة (ودع) ١٣٦/٣ .
(٣) انظر ل (ودع) ١٠/٢٦٤ - ٣ - ٤ .
(٤) انظر الفائق ٩٠/٤ قال « البشار جمع بئر قال (أبو العتاهية) :
فإن حفروا بئري حفرت بئارهم وإن يحشوا عني ففهم مباحث » اهـ .
(٥) جاء في ترجمة أبي دلالة زند بن الجون في الأغاني ١٠/٢٣٨ - ٢٣٩ بهذين
البيتين لأبي دلالة :

إن الناس غطوني تغطيت عنهم وإن يحشوا عني ففهم مباحث
وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ليعلم يوماً كيف تلك النبائث
وجيء بهما منسوبين إليه أيضاً في لسان العرب (نبث) ١٤/٣ .

٢٣ - أبو المنهال عوف بن محلم الخزاعي المتوفى (نحو ٢٢٠) (١)

[قال ابن المعتز عن شعره إنه « كله مختار » ليس فيه بيت ساقط ولا ناقص (٢)] وقال ابن شاذان عن أبي المنهال هذا « أحد العلماء الأدباء ، الرواة الفهماء . . . الشعراء الفصحاء . كان صاحب أخبار ونوادر ، ومعرفة بأيام الناس (٣) » .

(في النحو وما إليه)

- احتج بشعره الإمام هبة الله بن الشجري (٥٤٢ هـ) - وهو يصدّد بيان أن الواو الداخلة على الجملة الاعتراضية ليست واو الحال . قال « ويدل على أن الواو الداخلة على الجملة المعترضة ليست واو الحال شيان . أحدهما : أن الحال لا تقع معترضة ، والثاني أن قوله « والله يكلؤها » (يعني من قول ابن هرمة إن سليمي - والله يكلؤها - ضمت بشيء الخ) دعاء . وجملة الدعاء لا تقع حالا . وقد جاء الدعاء بالفعل مع هذه الواو في قول أبي محلم الشيباني (كذا) :

إن الثمانين - وَبِلَغْتَهَا - قد أحوجت سَمْعِي إلى ترجمان (٤)

هـ . فهو يستشهد بالبيت على محيى الجملة الدعائية المعترضة - فعليه . أما قوله أبو محلم الشيباني فهو وهم ، لأن البيت ثابت لعوف بن محلم الخزاعي أبي المنهال الذي كان في حاشية آل طاهر وتوفى نحو ٢٢٠ هـ والبيت من قصيدة له

(١) هناك أبو المنهال نفيلة (أو بقبيلة) الأكبر الأشجعي له شعر في ل (أزر) ٧٥/٥ ، (عقل) ٨٦/١٣ . وهناك في ل (ضأل) ٤١٣/١٣ ، (أين) ١٨٥/١٦ شعر فيه أنا أبو المنهال في بعض الأحيان . وفي تاريخ التراث (الشعر) ١٨٢/٥ ثلاثة بهذه الكنية . وصاحبنا هذا هو عوف بن محلم الخزاعي (من بني سعد) وليس عوف بن محلم الشيباني (انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ١٨٦) .

(٢) طبقات ابن المعتز ١٩١ .

(٣) فوات الوفيات (محيى الدين) ٢٣٣/٢ وشرح شواهد المغنى ٨٢١/٢ .

(٤) الأمل الشجرية ٢١٥/١ .

في مدح عبد الله بن طاهر في قصة ذكرت في طبقات ابن المعتز (١) ، وأمالى القالى (٢) ، والحماسة البصرية (٣) ، وفوات الوفيات (٤) ، وشرح شواهد المغنى (٥) . وقد ميز ابن المعتز بينهما (٦) .

— والبيت المذكور استشهد به ابن هشام في المغنى مرة للجملة المعترضة بين ما أصله المبتدأ والخبر (٧) ، ومرة أخرى للجملة المعترضة التي تتميز عن الحالية بكونها دعائية (٨) . وجاء به في الشذور أيضاً لهذا (٩) .

— والبيت في أمالى القالى (١٠) (القصيدة) ، وجميع الهوامع (١١) — تتميز الجملة الإعراضية بجواز كونها طلبية ، وفي الدرر اللوامع (١٢) .

٢٤ — أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله العتبي المتوفى ٥٢٢٨

— (كان من أفصح الناس وكان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ، وكان العتبي شاعراً صاحب أخبار وآداب ، وله كتاب الخيل ، وكتاب الأعراب ، وأشعار النساء اللاتي أحبن ثم أبغضن ، وكتاب الأخلاق (١٣)) .

للعتبي هذا شاهد مشهور هو :

رأينَ الغواني الشيبَ لاحَ بعارضى فأعرضن عني بالحدود النواضر

(١) طبقات ابن المعتز ص ١٨٨ .

(٢) ٥٠/١ . (٣) ٥٩٤/١ .

(٤) تحقيق (محيى الدين) ٢/٢٣٥ . (إحسان عباس) ٣/١٦٢ - ١٦٤ .

(٥) ٨٢١/٢ .

(٦) انظر الطبقات ١٨٦ .

(٧) المغنى لابن هشام (محيى الدين) ٣٨٨ .

(٨) نفسه ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

(٩) شذور الذهب ٤٥ .

(١٠) أمالى القالى ٥٠/١ .

(١١) المطع للسيوطى (مكرم) ٥٥/٤ .

(١٢) الدرر اللوامع ٢٠٧ .

(١٣) انظر الفهرست لابن النديم ١٧٦ ، والأنساب للسماعى ٣٨٣ .

وقد احتج به الإمام ابن مالك في شرح الكافية الشافية للغة إظهار علامة الضمير في الفعل عند إسناده إلى الظاهر غير المفرد (١) .

— كما استشهد به العلامة ابن عقيل في المساعد (٢) ، وابن هشام في الشذور (٣) ، والأشثوني في منهج السالك (٤) .

٢٥ — أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي (العماني) المتوفى نحو (٢٢٨هـ)

قال عنه القفطي : « كان يوزن بالعجاج ورؤية : بل كان أطبع منها .. » (٥)

أولا : في متن اللغة :

— احتج بشعره ابن قتيبة (٢٧٦هـ) على أن التحنيب في يدي الفرس ، والتجنيب في رجليه — وهما يستحبان فيه — معناه الانحناء (القليل) في اليدين والرجلين بقول العماني :

تري له عظم وظريف أحدا (٦) .

— وجاء في الجمهرة لابن دريد (٣١١هـ) « والمهَجَفُ الجافي الغليظ .

ظلم هَجَفَ » ثم ذكر ابن دريد أنه سأل أبا حاتم (٢٥٥هـ) ثم أبا عثمان الأشنانداني (٢٨٨هـ) عن قول الراجز :

وَجَفَرَ النحل فأضحى قد هَجَفَ واصفراً ما اخضر من البقل وجفّ

فقال الأشنانداني : « هَجَفَ إذا لحقت خاصرتاه بجنبه من التعب » وأنشد

فيه بيتنا (٧) ١ هـ والرجز للعماني هذا (٨) .

(١) انظر شرح الكافية الشافية ٥٨٢/٢ .

(٢) المساعد لابن عقيل شرح التسهيل ٣٩٣/١ .

(٣) شذور الذهب محي الدين ١٧٩ .

(٤) انظر شرح الأشثوني مع واضح المسالك لمحي الدين ١١٦/٢ .

(٥) انظر عنه لسان العرب (طسم) والأعلام ١٢٣/٦ (ط ٥) .

(٦) أدب الكاتب (الدالي) ١١٩ .

(٧) الجمهرة ١٠٩/٢ وفي اللسان (عجف) ٢٥٩/١١ — التوزي بدل الأشنانداني .

(٨) انظر الجمهرة ١٠٩/٢ والأفغال للسرقي ١٥٧/١ .

— وفي الجمهرة أيضاً « وربما سميت الحياض إذا امتلأت ماء زلفاً (بالتحريك) . والزلف واحدتها زلفة (بالتحريك فيهما) وهي الأجاجين الحضر . هكذا أخبرني أبو عثمان الأشنانداني عن التوزي عن أبي عبيدة، وقد كنت قرأت عليه رجز العماني :

حتى إذا ماء الصهاريج نشف من بعد ما كانت ملاء كالزلف

وصار صلصال الغدير كالخرف

فسألته عن الزلف فذكر ما ذكرته آنفاً (١) هـ

— وفي ديوان الأدب للفارابي (٥٣٥٠) « والفم (يعني بالفتح وتضعيف الميم) لغة في الفم (يعني بالتخفيف) وهي قليلة . وقال :

يا ليتها قد خرجت من فمه

الهاء للكلمة (٢) هـ . والشرط مع ثان له في اللسان (فهم) بالضم وأجاز الفتح — وهو معزو للعماني باسمه كاملاً وقال محقق ديوان الأدب إنه نسب في خزانة الأدب إلى العجاج (٣) :

— وقد احتج الإمام أحمد بن فارس (٥٣٩٥) بشأن معنى الزلف بيت العماني الذي احتج به ابن دريد (٤) :

— كما احتج لقولهم رمى الرمية فأخطفها أي أخطأها بقوله :

فانقض قد فات العيون الطرفا إذا أصاب صيده أو أخطفا (٥)

(١) الجمهرة ١٢/٣ .

(٢) ديوان الأدب ١١/٣ .

(٣) الموضع نفسه وأحال على الخزانة ٢/٢٨٠ وفي مجالس العلماء للزجاجي ٢٨ رجز للعماني كأنه من نفس الأرجوزة لخبر يشبه ما هنا .

(٤) انظر المجلد ٤٣٨ .

(٥) المجلد ٢٩٤ وفيه فائق . وأخذت بما في اللسان ١٠/٤٢٦ .

واحتج أبو عثمان المعافري السرقسطى (بعد ٥٤٠٠ هـ) في كتاب الأفعال
بيت العماني في معنى هجف (١) - على ما سبق في الجمهرة ، وبيته في
قولهم أخطف الراى أى أخطأ قريباً (٢) - على ما سبق في المحمل لابن فارس .
- واستشهد جار الله الزمخشري (٥٥٣٨ هـ) في كتابه المستقصى في أمثال
العرب - بقول العماني :

إنك إن يَقصِدَ إليك سهمى
ينتظم الفؤادَ قبل النظم
فارقَ على ظلمك قبل الكشم « (٣)

على قولهم في المثل ارق على ظلمك أوارقاً على ظلمك (٤)

وقد جاء الاحتجاج بشعر العماني في تراكيب (خطف ، زلف ، تيم ،
طهم ، فم ، هنا) في لسان العرب (٥) ومنها في (تيم) « قال ابن الأعرابي :
الاتيأ أن تذبح الإبل والغنم بغير علة . قال العماني :

يأنف للجارة أن تتأما
ويعقر الكؤومَ ويعطى حاماً

(أى أن الممدوح يكفى جاراته فلا تحتاج أن تذبح شاتها من غير علة ،
ويعطى حاماً) أى يطعم السودان من أولاد حام (٦) .

★ ★ ★

-
- (١) انظر كتاب الأفعال للسرقطى ١٥٧/١ .
(٢) انظر كتاب الأفعال ٤٦٨/١ .
(٣) انظر المستقصى في أمثال العرب ١٤٢/١ .
(٤) يقال ارق . . أى لا تحمل على نفسك ما لا تطيق ، وارقاً . . أى كف فاني عالم
بمساويك . ولهما معان أخرى انظر اللسان (رقا ٨٢/١ ، ظلع ١١٥/١٠ ، رقى ٤٩/١٩)
(٥) معجم الشعراء في لسان العرب ٣٧٧ (وقد راجعت التراكيب وأضفت إليها) .
(٦) اللسان تيم ٣٤٣/١٤ وما بين القوسين منه في شرح بيت للحطيفة بمعنى بيت العماني .

ثانياً : في النحو وما إليه :

(أ) استشهد الرضى (٥٦٨٦هـ) في شرحه لكافية ابن الحاجب بقول العماني

في وصف فرس :

كأن أذنيه إذا تشوفا

قادمة ، أو قلما محرفا

على أن أصحاب الفراء جوزوا نصب الجزئين بكأن أيضاً (١) .

(ب) وجيء بهذا البيت لتلك المسألة أيضاً في معنى اللبيب على أن النصب بكأن « زعم قوم » ونسب البيت إلى أبي نخيلة (٢) . ولكن الأشموني جاء بالبيت نفسه مع عدة شواهد أخرى للمسألة ، وقال في نسبة هذا العمل لكان « حكى قوم منهم ابن سيدة أن قوماً من العرب تنصب بها الجزئين معا ، وصوب محققه الشيخ محمد محي الدين نسبة البيت إلى العماني (٣) . وكذلك نسبه الشنقيطي في الدرر إلى العماني (٤) .

— والبيت في جمع الهوامع للمسألة نفسها أيضاً (٥) .

(ح) وقد جيء في المخصص لابن سيدة بالبيت نفسه : « الحُذُنَّتَانِ (بضمين والنون مشددة منموتحة) : الأذنان . وأنشد :

يا ابن التي حُذُنَّتَاهَا باع

ابن جنى : أراد يا ابن التي (حذنتاها) كل واحدة منهما باع . كما قال :

تخال أذنيه إذا تشوفا قادمة أو قلما محرفا ،

أ هـ . (و «تخال» بدل «كأن» رواية أو تصحيح من الرشيد) .

— ومعنى هذا أن ابن جنى ، وابن سيدة احتجا بشعره أيضاً .

(١) انظر الخزانة (هارون) ٢٣٧/١٠ .

(٢) معنى اللبيب (محيي الدين) ١٩٣ .

(٣) شرح الأشموني ومعناه واضح المسالك ٥٣٥/١ - ٥٣٦ .

(٤) الدرر اللوامع ١١٢/١ .

(٥) مع الهوامع (النماني) ١٣٤/١ ، (مكرم) ١٥٦/٢ .

٢٦ - أبو تمام حبيب بن أوس (الطائي الكبير) المتوفى (٢٣١ هـ)

« شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعاني ، غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره . والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره . . . ومارأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جيده نظيرا ولا شكلا » (١) .

أولا : في متن اللغة وما إليه .

١ - جاء في لسان العرب (بهرم) : « وبهرام اسم المريخ وإياه عني القائل :

أما ترى النجم قد تولى وهم بهرام بالأفول
وقال حبيب بن أوس :

له كبرياء المشتري وسعوده وسورة بهرام وظرف عطارده (٢)
ب - وجاء فيه في تركيب (مضر) :

« الجوهري : قيل لمضر الحمراء ولربيعه الفرس لأنهما لما اقتسما الميراث أعطى مضر الذهب - وهويؤنث - وأعطى ربيعة الخيل . ويقال كان شعارهم في الحرب العمام والرايات الحمر ، ولأهل اليمن الصفر . وقال الجوهري سمعت بعض أهل العلم يفسر قول أبي تمام يصف الربيع :

حمره مصفرة فكأنها عصب تيمن في الوغى وتمضر (٣)

أي أن الجوهري يحكى استشهاد بعض أهل العلم بفهم أبي تمام لعل تسمية مضر بالحمراء ونسبة الصفرة إلى ربيعة أن ذلك راجع إلى لون عمام الشعبين لا إلى ما قيل من رجوع ذلك إلى اللون الغالب على ما ورثه كل

(١) الأغاني (الدار) ١٦ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٢) لسان العرب (بهرم) ١٤ / ٣٢٧ .

(٣) اللسان (مضر) ٧ / ٢٦ .

منهما عن أبيه : الذهب الأحمر لمضر والخيل الصفرة لربيعة . وعلة التسمية داخلية في مجال الدلالة (١).

ج - وجاء في شفاء الغليل لشهاب الدين الخفاجي (الإمام اللغوي ١٠٦٩ هـ) في الكلام عن تحديد المراد (بالحشوية) وأصل تسميتهم هذه . قال الخفاجي : « وقال أبو تمام :

أرى الحشور والدهماء أضحووا كأنهم

شعوب تلاقى دوننا وقبائل

قال التبريزي في شرحه : أراد بالحشور العامة « (٢) اهـ . والشاهد هنا هو احتجاج الخفاجي باستعمال أبي تمام للفظ الحشور بذلك المعنى الذي حدده التبريزي بما يعنى قبوله هو أيضا . وقد جاء في لسان العرب « والحشور من الكلام الفضل الذي لا يعتمد عليه ، وكذلك هو من الناس . وحشوة الناس (بالضم) رزأهم » اهـ . فهذا وإن كان قريبا من معنى العامة إلا أن هذا أخص - ولذا يبقى لاستعمال أبي تمام للفظ بالمعنى الذي حدده التبريزي قيمته - هذا مع أن اللسان لم يورد لما ذكره شاهدا .

ثانيا : في النحو وما إليه :

١ - احتج الزمخشري (٥٣٨ هـ) وهو إمام في اللغة والتفسير (٣) بشعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي - المتوفى ٢٣١ هـ . فقد جاء في الكشف « وإذا أظلم عليهم قاموا » : « وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد - وهو

(١) للتوضيح نقول إن الخيل توصف بالصفرة فيعنى بها السواد والدهمة (اللسان صفر) وكان نزار عند موته أعطى ربيعة ابنه حبالا سودا من شعر وقال هذا وما أشبه لك . وفسر الأفعى ذلك لما احتكم إليه أبناء نزار في ميراثهم فقال لربيعة لك الخيل الدم وما أشبهها فقيل له ربيعة الفرس (انظر سبائك الذهب ٢٠ في الكلام عن نزار) ثم إن مساكن أبناء ربيعة تفرقت بين اليمن وشرق الجزيرة إلى العراق فنسبوا إلى اليمن بينما غلب أبناء مضر على الحجاز (انظر سبائك الذهب ومعجم قبائل العرب ٢/ ٤٢٤ ، ٣/ ١٠٧) .

(٢) شفاء الغليل للخفاجي طبعة د. محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) محمود بن عمر الزمخشري صاحب تفسير الكشف ومعجم أساس البلاغة والمفصل .

(١١ - الاحتجاج بالشعر في اللغة)

- ١٦٢ -

معدن الحمر

الظاهر ، وأن يكون متعبداً منقولاً من ظلم الليل . وتشهد له قراءة يزيد ابن قطيب « أظلم » على ما لم يسم فاعله . وجاء في شعر حبيب بن أوس :

هما أظلما حالتي ثمت أجلبا ظلا ميهما عن وجه أمر دأشب

وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فاجعل مايقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : « الدليل عليه بيت الحماسة » ، فيقتنعون بذلك لو ثوقهم بروايته وإتقانه « (١) اهـ .

ب - واحتج بأبي تمام أيضاً العلامة رضى الدين الاسترأبأدى المتوفى ٦٨٦ هـ (شارح الشافية والكافية لابن الحاجب) في عدة مواضع من شرح الكافية . ومن هذه المواضع استشهاده بقوله :

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه

بشأن بعض حالات تقديم الخبر (٢) - وقال البغدادى فى الخزانة عن هذا الاستشهاد إن الرضى أورد البيت نظيراً لقوله :

« بنونا بنو أبناثنا . . . »

لا شاهداً ، (٣) . وسنناقش قوله البغدادى هذه بعد .

ج - واحتج بأبي تمام أيضاً الخطيب التبريزى (شارح الحماسة المتوفى ٥٠٢ هـ) ، وشهاب الدين الحفاجى (١٠٦٩ هـ) .

جاء فى شفاء الغليل للحفاجى : « جاز القنطرة : يقال جاز فلان القنطرة إذا كمل فلم يلتفت إلى القدح فيه . . . وتجاوز به وتعداه ، ولا يتعدى بعن . لكنه وقع فى كلام المولدين معدى بها . وقال أبو تمام :

فلا ملك فرد الموأب واللهى

تجاوزنى عنه ، ولا رشأ فرد

(١) تفسير الكشاف ١/١٦٩ .

(٢) انظر شرح الرضى للكافية ١/٩٧ ، والقياس للشيخ محمد الحضر .

(٣) الخزانة ط ٢ (هارون) ١/٤٤٩ .

وفسره التبريزي بالتنحية ولم ينتقد عليه (١) : اهـ

— وستأتى مواضع أخرى للاحتجاج بشعر أبي تمام في بيان الاحتجاج بشعر البحري .

— هذا ، إلى عدة شواهد لغوية صحيحة من بين عشرات الشواهد التي ذكرت لأبي تمام في معجم الشواهد . كاستشهاد الرضى الاستراباذي في شرح الشافعية بببيت من شعره على أن همزة إنسان زائدة (٢) ، وابن هشام في شذورالذهب على مجيء لفظة « سنون » مرفوعة (٣) ، والأشمونى في شرحه على استعمال ذو الموصولة للعاقل وغيره (٤) .

وفي معجم الشواهد إشارات إلى شواهد لأبي تمام في الإنصاف لابن الأنباري ، والمحتسب لابن جني ، وشرح المفصل لابن يعيش (٥) . أما ما كان من شعره في الحصائص ، وأمالى ابن الشجري فقد راجعها فوجدت ما في الحصائص ، وما احتدبت إليه مما في الأملى الشجرية كان الاستشهاد به في مجال المعاني العامة لا اللغة .

٢٧ — عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير المتوفى (٢٣٩ هـ) .

قال عنه في الأغاني : « عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، ويكنى أبا عقيل ، شاعر مقدم فصيح ، وكان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون صلته . . وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة » ثم روى أن المبرد قال « ختمت الفصاحة في شعراء المحدثين بعمارة بن عقيل » ، وأن سلماً حفيد أبي عمرو بن العلاء قال : « كان جدي

(١) شفاء الغليل (ط د . خفاجي) جاز ص ٩٤ .

(٢) شرح شافية ابن الحاجب (نور الحسن و . .) ٢٩٧/٤ .

(٣) شذورالذهب (محيي الدين) ٥٨ .

(٤) الأشمونى (و . م . م . الصبان) ١٥٧/١ .

(٥) راجع اسم أبي تمام في معجم الشواهد والصفحات التي فيها مواضع الشواهد التي يشير إليها .

أبو عمرو يقول ختم الشعر بذى الرمة ، ولو رأى جدى عمارة بن عقيل لعلم أنه أشعر في مذاهب الشعراء من ذى الرمة .. وأنه أشد استواء في شعره من جرير لأن جريرا أسقط في شعره وضعف ، وما وجدوا لعمارة سقطة واحدة في شعره (١) « وكان أبو محلم يقول ختم الشعر بعمارة بن عقيل (٢) »

أولا : في متن اللغة وما إليه :

- احتج بشعره أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨ هـ)

- فجاء في كتابه الأضداد : « الغساق ... غسق لمعنيين أحدهما أظلم ، ... والآخر سال من الغساق وهو ما يغسق من صديد أهل النار . قال عمارة :

تري الضيف بالصلعاء تغسق عينه

من الجوع حتى تحسب الضيف أرمدا (٣)

- وجاء في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات .. « وقال الطوسي وغيره حباب الماء النفاخات التي تراها فوق الماء ، الواحدة حبابة (كسحابة) قال عمارة بن عقيل في الحباب :

ولا متقلب الأمواج يُبْثَقِي ... إلى نجواته السفن الحبابُ

فجعل الحباب هاهنا الموج ، (٤) اهـ .

- واحتج بشعره أبو سليمان الخطابي المتوفى (٣٨٨ هـ)

- جاء في غريب الحديث : « قال الأصمعي أزي بأزي (كرمي يرمي) أزيا (بضم فكسر فتضعيف) إذا انقبض ودنا بعضه من بعض . وأنشدني بعض أهل اللغة :

(١) الأغاني (ط ١٢٨٥) ٢٠ / ١٨٧ .

(٢) نفسه ٢٠ / ١٢٣ .

(٣) كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري تحقيق محمد أبي الفضل ص ٥ .

(٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (هارون) ص ١٣٨ .

هذا زمان مُوَلٌ خَيْرُهُ آزَى . . . صارت رعوس به أذنان أعجاز» (١) اهـ

وصدر هذا البيت في اللسان ، جاء به ابن برى ونسبه لعمارة (٢)

— وجاء فيه : « يقال مضى لطيته : أى لنيته ووجهته ، وقد بعدت عنا طيته قال ذو الرمة . . . وقال عمارة بن عقيل :

بل أيها الراكب الماضى لطِيَّتَه . . . بَلَّغْ حَنيفَةَ وانشرف بهم الخبرا (٣)

— واحتج بشعره أبو عثمان السرقسطى في كتاب الأفعال . جاء فيه :
« غثر الطائر غثرة كالغبرة والأثني غثراء . قال عمارة :

حتى اكتسيت من المشيب عمامة . . . غَثْرَاءُ أُغْثِرْلُونَهَا بِخَضَابِ » (٤)

— واحتج في لسان العرب بشعر عمارة في تراكيب خدر ، غثر ،
حيض ، برزق ، زنبق ، زهق ، هدلق ، هرق ، يلحق (٥)

— جاء في (خدر) : قال ابن الأعرابي أصل الخدارى (يعنى من قولهم للعقاب خُدارية لشدة سوادها) أن الليل يُخْدرُ الناس أى يُلبسهم ، ومنه قوله والدَّجَنُ مُخْدرٌ أى ملبس ومنه قيل الأسد خادر . قال الأزهرى وأنشدنى عمارة لنفسه (٦) :

فمن جائلة الوشاح كأنها . . . شمس النهار أكلتها الإخدار

أكلها أبرزها وأصله من الانكلال وهو التبسم (٧) اهـ .

(١) غريب الحديث للخطابي تحقيق عبد الكريم العزباوى ١/١٣٩ .

(٢) اللسان (أزا) ١٨/٣٣ وابن برى كثير الاحتجاج بعمارة بن عقيل .

(٣) انظر الكامل للمردد/الدمجوى ٢/٢٣٩ .

(٤) كتاب الأفعال ٢/٣٧ .

(٥) معجم الشعراء في لسان العرب ٢٩٤ والتمام د. حمود القيسى مجلة المجمع العلمى

المراقى ٢٣/٢٧٥ وقد راجعت تلك التراكيب .

(٦) كذا عبارة اللسان والذي في التهذيب ٧/٢٦٥ يقضى أن هذه رواية الأزهرى عن

الحرائى عن ابن السكيت عن عمارة وهو الصواب الذى لا يتأتى غيره .

(٧) اللسان (خدر) ٥/٣١٣ - ٣١٤ .

— وجاء في (حيض) : « وقال المبرد : سمي الحيض حيضاً من قولهم حاض السيل إذا فاض . وأنشد لعمارة بن عقيل :

أجالت حصاهن الذواري وحيضت عليهن حيضات السيول الطواحم
والذواري والذاريات : الرياح » (١) ٥١ .

— وانظر اللسان في سائر التراكيب التي أسلفنا أن لعمارة شعراً
استشهد به فيها .

— وجاء في المقتضب للمبرد (محمد بن يزيد المتوفى ٢٨٢/٢٨٥ هـ) :

« .. أما قوله : « فظلت أعناقهم لما خاضعين » ففيه قولان :
أحدهما أنه أراد بأعناقهم جماعتهم من قولك أتاني عتق من الناس
أي جماعة ، وإلى هذا كان يذهب بعض المفسرين ، وهو رأي أبي
زيد الأنصاري . وأما ما عليه جماعة أهل النحو وأكثر أهل التفسير فيما أعلم
فإنه أضاف الأعناق إليهم بريد الرقاب ، ثم جعل الخبر عنهم لأن
خضوعهم بخضوع الأعناق . ومن ذلك قول الناس : ذلت عنتي لفلان
وذلت رقبتى لك ، قال عمارة :

فإني امرؤ من عصبة خندفية أبت للأعادي أن تديخ رقابها

جعل « للأعادي » تبييناً ولم يدخله صلة أن « (٢) ٥١ . قال المحقق
الشيخ عبد الخالق عزيمة رحمه الله — « ويظهر أنه يريد بعمارة عمارة بن
عقيل فقد روى له كثيراً في الكامل (٣) » ٥١ .

(١) اللسان (حيض) ٤١٢/٨ .

(٢) المقتضب (تحقيق عزيمة) ١٩٩/٤ وقد ذكر المحقق في تعليقه هنا أن الصواب في
قوله تديخ رقابها أنها تديخ بالذال المهمل من داخ يديخ : ذل وأنها جاءت بالواو أيضاً داخ
يديخ ويدوخ : ذل وخضع . وقال إن أبا عبيدة وحده حكى ذبحه (بالجمعة) بمعنى ذلله .
ورين المحقق أن قول المبرد « جعل » « للأعادي » تبييناً يريد به أن الجار والمجرور متعلق
بفعل محذوف ، ولا يجوز تعلقه بالفعل تديخ لأنه صلة أن ، ولا يتقدم ما يتعلق بالصلة
على الموصول .

(٣) المقتضب ١٩٩/٤ .

— وقد اعتد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو علي القالي بتفسير
عمارة اللغوى لبعض الشعر الجاهلى (١) .

ثانياً : فى النحو وما إليه :

— جاء أبو الفتح بن جنى فى « المنصف » شرح « التصريف » للمازنى
بيت عمارة السابق (الذى ذكره المبرد) برواية :

وإنى امرؤ من عصابة خندفية أبت للأعادى أن تذل رقابها

= وقد جاء به المبرد من قبل احتجاجاً لتعبير العرب عن ذلة
الأشخاص وخضوعهم بذلة الرقاب والأعناق كما قال تعالى « فظلت
أعناقهم لها خاضعين » وكما قال عمارة فى هذا البيت (٢) .

أما ابن جنى فجاء به لبيان منع البصريين تقديم معمول الصلة أو شيء
منها على الموصول ، وأن ما جاء من ذلك إنما هو على نية تقدير عبارة
كالتى فيها الموصول قبل ذلك الشيء أو الم معمول المقدم . كالشطر الذى
أنشده المازنى :

وكالبيت الذى أنشده أبو العباس :

تقول وصكت صدرها يمينها أبلى هذا بالرحى المتقاعس

وكالبيت الذى أنشده أبو العباس أيضاً :

وإنى امرؤ من عصابة خندفية أبت للأعادى أن تذل رقابها

فالتقدير كان جزاؤه أن يجلد بالعصا ، و« المتقاعس بالرحى » أبت أن
تذل رقابها للأعادى ، ويسمون هذا المتعلق الذى قدم على الصلة تبيناً مخرجاً
عن الصلة (٣) .

(١) انظر أمالى القالي (الأصمى) ١٨٥/١ فى شرح بيت لسلامة بن جندل ، ٣٥/٢

فى شرح بيت لطفيل .

(٢) انظر المقتضب ١٩٩/٤ .

(٣) انظر المنصف بتحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ١٣٠/١ ويلحظ ما فى هذه

الرواية من تغير منيف (وإنى - تذل) .

— وقد جرىء بالبيت نفسه للمسألة نفسها في « الإنصاف » لأبي البركات الأنباري (١) .

— وجاء في شرح الأشموني للألفية : « وأما الثانية (يعنى من أنواع كم) وهي الخبرية فميزها يستعمل تارة كميز عشرة ، فيكون جمعاً مجروراً ، وتارة كميز مائة فيكون مفرداً مجروراً ومن الثانى قوله (يعنى عمارة ابن عتيل) :

وكم ليلة قد بتها غير آثم (بناحية الحجلين منعمة القلب)

وقوله (يعنى الفرزدق) :

كم عمّة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشارى « أ هـ (٢)

— ولنا أن نلاحظ اتفاق عبارة الاستشهاد بكل من البيتين ، وتقديم الأشموني لبيت عمارة على بيت الفرزدق . مما يعنى أنه ينظر إلى الشاهدين نظرة واحدة تماماً .

— هذا وبيت الشاهد مذكور أيضاً في شرح شواهد الألفية للعينى (٣) ، وهو مع بعض القصيدة في أمالى القالى بلفظ « ومن ليلة . . » (٤) .

٢٨ — أبو العميثل عبد الله بن خليل المتوفى (٢٤٠ هـ) (٥)

(كان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر . وكان يفخم كلامه ويعربه ، وله كتاب التشابه ، وكتاب الأبيات السائرة ، وكتاب معانى الشعر (٦) .)

(١) الإنصاف بتحقيق محيى الدين ومعه الانصاف له ٥٩٦ — ٥٩٦ .

(٢) الأشموني — مع الصبان ٨٠/٤ .

(٣) على ما فى معجم شواهد العربية .

(٤) انظر أمالى القالى (تحقيق الأصمى) ٦٠/٢ .

(٥) انظر الفهرست لابن النديم ٧٢ — ٧٢ .

(٦) السابق نفسه .

أولاً : في متن اللغة وما إليه :

— جاء في كتاب الأفعال لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري الدرقسطنى (بعد ٤٠٠ هـ شهيداً) « هجأ الطعام الجوع سكنه » واستشهد له بقول أبي العميثل :

هجأ الجود مادحيه فهم بين مضيف أعراضه ومضاف (١) .

— وجاء في لسان العرب « قال أبو سعيد سمعت أعرابياً يقول بحضرة أبي العميثل : يسمى هذا النبات الذى يلزق بالثياب فلا يكاد يتخلص بثامة : البَلَسْكَاء فكتبه أبو العميثل وجعله بيتاً من شعر ليحفظه قال :

تخبرنا بأنك أحوذى وأنت البَلَسْكَاء بنا لصرفاً
ذكره على معنى النبات (٢) ١ هـ .
وهذا بحسب له رواية .

ثانياً : في النحو وما إليه .

(أ) استشهد الرضى الاسترأباذى ٦٨٦ هـ في شرح الكافية بيت من قصيدة لأبي العميثل ، جاء في أمالى القالى أنها قرئت على ابن دريد ، وأبو علي القالى يسمع (٣) . جاء في خزانة الأدب : « وأنشد . . .
وكلمتها ثنتين كالماء منهما وأخرى على لوح (٤) أحر من الجمر
(شاهداً) لما تقدم قبله أعنى أن الموصوف إذا كان بعضاً من مجرور بمن
سواء تقدم المجرور كما مضى ، أو تأخر كما هنا (يعنى الضمير في منهما)
ولهذا كرر الشاهد فإن التقدير كلمتين منهما كلمة كالماء ، وأخرى أحر من
الجمر . وتقدم المجرور أكثرى (٥) ١ هـ .

(ب) واستشهد بيته في البلسكاء — العلامة ابن عقيل (٥٧٦٩ هـ) في شرح

(١) انظر كتاب الأفعال ١/١٣٠ ، ١٣٩ .

(٢) لسان العرب (بلسك) ١٢/٢٨٣ .

(٣) أمالى القالى ١/٩٨ .

(٤) اللوح بالفتح ، وبالضم أيضاً العطش .

(٥) الخزانة (هارون) ٥/٥٩ .

قول ابن مالك في التسهيل « ولا يتحمل غير المشتق ضميراً ما لم يؤول بمشتق » قال : « أي فيتحمل إن أول بمشتق نحو زيد أسد أي شجاع . ففى أسد ضمير مستتر وكذلك في البلسكاء في قوله :

تخبرنا بأنك أحوذى وأنت البلسكاء بنا لصوقاً
والبلسكاء حشيشة تلصق بالثياب كثيراً . . » (١) هـ

٢٩ - دعبل بن علي الخزاعي (٢٤٦هـ) (٢)

- قيل عنه إنه خاتمة الشعراء . ووصفه الأصفهاني بأنه مطبوع ، وقال البحرى « دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد . لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم » (٣) .
أولاً : في متن اللغة وما إليه :

- احتج بشعره جاز الله الزمخشري في الفائق حيث جاء في شرحه قول عمرو بن مسعود يصف نفسه وقد أسن « ما تسأل عن ذببت بشرته ، وقطعت ثمرته . . » قال ثمرته : نسله . . ويجوز أن يكنى بها عن العضو ، ويريد انقطاع قدرته على الملاسة وانقطاع شهوته لقواه (في بقية الكلام) « وأجم النساء » وقد أنشد بعضهم :

ما زال عصياننا لله يُرذلنا حتى دُفِعنا إلى يحيى ودينار
إلى عليّ بن لم تُقطع ثمارهما قد طال ما سجدا للشمس والنار
يريد لم يخننا » (٤) قال محقق الفائق الشعر لدعبل في ديوانه (٥) .

ثانياً : في النحو وما إليه :

(أ) جاء في أوضح المسالك لابن هشام المتوفى ٧٦١هـ في الكلام عن حالات كون تقدم الفاعل على المفعول واجباً - الحالة الثانية : أن يحصر

(١) المساعد لابن عقيل (تحقيق د. بركات) ٢٢٧/١ .

(٢) انظر عنه الأغاني (الهيئة المصرية) ١٢٠/٢٠ - ١٨٧ ثم تاريخ التراث (الشعر)

٩٠/٤ ، والأعلام ٣٣٩/٢ ومصادر ترجمته التي ذكرها .

(٣) انظر الأغاني (الهيئة المصرية) ١٢٣/٢٠ ، ١٢٠ ، ١٣٦ على التوالي .

(٤) الفائق تحقيق محمد أبي الفضل ١٧٤/١ - ١٧٥ .

(٥) انظر الموضع السابق نفسه .

المفعول بإنما ، نحو « إنما ضرب زيد عمراً » ، وكذا الحصر بالإلا عند الجزولي وجماعة . وأجاز البصريون والكهاتى والفراء وابن الأنبارى تقديمه على التفاعل كقوله (وهو دعبل الخزاعي) :

ولما أبى إلا جماحا فؤاده (ولم يسئل عن لبلى بمال ولا أهل)

وقوله (قيل إنه لمجنون بنى عامر ، ولم يوجد فى ديوانه) :

(تزودت من لبلى بنكائم ساعة) فما زاد إلا ضعف ما بنى كلامها

وقوله (وهو زهير بن أبى سلمى) :

(وهل ينبت الخطى إلا وشيجه) وتغرس — إلا فى منابتها — النخل (١) اهـ

ولنا أن نلاحظ أن ابن هشام قدم بيت دعبل وهو بعد نطاق الاحتجاج كما وُضع ، على بيت المجنون وهو إسلامى توفى سنة ٨٠ هـ ، وهذا على بيت زهير بن أبى سلمى وهو جاهلى . وهذا يعنى تسويته بين تلك الشواهد فى الاستشهاد بها لأنه جاء بيت دعبل تمثيلاً فقط .

(ب) وبعد فقد ذكر فى معجم شواهد العربية أن بيت دعبل هذا استشهد به فى شرح الأشمونى ، والتصريح ، وفى الجمع ، والدرر اللوامع (٢) .

٣٠ — أبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى (الطائى الصغير)

المتوفى (٢٨٤ هـ)

(قال عند أبو الفرج الأصفهاني : « شاعر فاضل فصيح ، حسن المذهب ، نقى الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يثخمون به الشعراء » وقال له أبو تمام : « أنت والله يا بنى أمير الشعراء غداً بعدى ») (٣) .

(١) أوضح المسالك لابن هشام تحقيق الشيخ محمد محيى الدين ٢/ ١٢٠ - ١٢٣ ، وتكملة الأبيات ونسبها ، مع نفي وجود بيت المجنون فى ديوانه ، وكذلك القول بأن ابن هشام جاء ببيت دعبل تمثيلاً كل ذلك من عمل شارح أوضح المسالك الشيخ محمد محيى الدين .

(٢) الأشمونى ٢/ ٥٧ ، والتصريح على التوضيح ١/ ٢٧٢ ، والجمع ١/ ١٦١ ، والدرر ١/ ١٤٣ .

(٣) الأغاني (الهيئة المصرية) ٢١/ ٣٧ ، ٤٩ .

أولاً : في متن اللغة وما إليه .

(أ) جاء في شفاء الغليل (استطراد) أن الاستطراد لغة هو مصدر استطرد الفارس من قرنه في الحرب بأن يفر من بين يديه يوهمه الانهزام ، ثم يعطف عليه على غرة منه مكيدة له . وأن معناه اصطلاحاً الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به ، ولم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني — قال الحاتمي (١) : إن أول من سماه البحري ، وقيل إنه سمعه من أبي تمام « (٢) .

(ب) وجاء في شفاء الغليل أيضاً : « والأسطول مركب تهيأ للقتال ونحوه قال البحري :

يسوقون أسطولا كأن سفينه سحاب صيف من جهام وممطر (٣)

ثانياً : في النحو وما إليه :

جاء في شفاء الغليل : « فيض معروف . والمستفاض بمعنى المشهور خطأ . والصواب المستفيض .

صرح به أكثر أهل اللغة . أقول (الخفاجي) قد سمع في كلام من يوثق به . قال البحري :

أفرطت لوثة ابن أيوب والشائع من فن رأيه المستفاض .

وقال أبو تمام :

صَلَّتَانِ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلُّوا فِي حَدِيثٍ مِنْ عَرَفِهِ الْمُسْتَفَاضِ .

قال التبريزي في شرحه : أهل اللغة يزعمون أنه لا يقال إلا حديث مستفيض . والقياس لا يمنع أن يقال مستفاض . وهو من فيض الماء .

(١) الحاتمي هو محمد بن الحسن بن المظفر أخذ عن ابن دريد وأبي عمر الزاهد ، توفي (٣٨٨) هـ .

(٢) شفاء الغليل (استطراد) ص ٥٠ (طبعة د. خفاجي) وانظر الأغاني (الهيئة) ٤٨/٢١ .

(٣) شفاء الغليل (سطل) ١٤٥ .

فإذا قيل مستفيض فمعناه : مشهور ، واستفاض الناس في الحديث وأفاضوا فيه ، وحديث مستفيض ومستفاض منه (كذا ولعلها : فيه) على الحذف والإيصال .

ويمكن أن يكون استفاض الحديث من فوضت إليه الأمر (أى عينه واو) وتكون الباء منقلبة عن الواو كمستعين (١) .

٣١ - عبد الله بن المعتز (٥٢٩٦)

قال عنه الأصفهاني إنه « ممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد ، وأحسن وبرع ، وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا ، وأدبا وشعرا وظرفا ، وتصرفا في سائر الآداب .. وشعره .. فيه أشياء كثيرة تجرى في أسلوب المجيدين ، ولا تقصر عن مدى السابقين .. » (٢) وقد وصف الثعالبي أبا فراس بالبلاغة والبراعة ، وشعره بأنه بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة .. ومعه زواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ، ثم قال : ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز .. (٣)

في النحو وما إليه :

قال ابن هشام في المغني في الكلام عن ليت : « وحكمه (أى ليت) أن ينصب الاسم ويرفع الخبر . قال الفراء وبعض أصحابه : وقد ينصبهما كقوله :

ياليت أيام الصبا راجعا

وبنى على ذلك ابن المعتز قوله :

مرت بنا سحرا طيرٌ فقلت لما طوباك . ياليتنى إياك - طوباك

(١) شفاء الغليل (نيس) ص ١٩٩ .

(٢) انظر الأغاني ١٠ / ٢٧٤ م ٢٧٤ - ٢٨٧ حيث ترجمته فيه .

(٣) انظر اليتيمة (إيليا الخاوي) ١ / ٥٧ - ٥٩ .

ال عندنا محمول على حذف الخبر ، وتقديره « أقبلت » - لا
« - خلافا للكسائي لعدم تقدم إن ولو الشرطيتين . ويصح بيت
متر على إزابة ضمير النصب عن ضمير الرفع (١) » . ا ه فهذا يدخل
في الاحتجاج من باب التخريج .

وجاء في المغني لابن هشام في لزوم إضافة إذ إلى جملة : « وقد يحذف
أحد شطري الجملة فيظن من لاخبرة له أنها أضيفت إلى المفرد كقولہ :
هل ترجعن ليال قد مضين لنا

والعيش منقلب إذ ذاك أفنانا

والتقدير إذ ذاك كذلك » (٢) ا ه .

وجاء في الجمع لنفس المسألة إلا أنه ذكر الشطر الأخير فقط (٣) .
وتناوله السيوطي في شرح شواهد المغني ثم قال : « رأيت في الأغاني (٤)
ما يدل على أن هذا البيت لعبد الله بن المعتز ، وأورد عجزه « والدار
جامعة أزمان أزمانا » فالبيت إذا ليس من شرط هذا الكتاب » (٥) ا ه .

وجاء في شفاء الغليل (ناي) « ناي نرم من الملامى . أعجمي معرب ،
قال الأعشى .

والناي نرم ، وبربط ذوبحة والصنج يبكي شجوه أن يوضعا

قاله أبو منصور . وأصله بالفارسية ناي نرمين ثم عرب في الشعر
القديم ، وكثر استعماله في كلامهم ومنهم من أبدل الباء همزة كابن المعتز
في قوله :

أين التورع من قلب يهيم إلى ساق بهيج وحسن العود والناء

(١) المغني لابن هشام (محي الدين) ٢٨٥ .

(٢) المغني (محي الدين) ٨٤ .

(٣) الجمع للسيوطي - مكرم ١٧٤ / ٣ .

(٤) البيت بعجزه الذي سيذكره في الأغاني دار الكتب ٢٧٧ / ١٠ .

(٥) شرح شواهد المغني للسيوطي ١ / ٢٤٧ - ٢٤٨ .

وقال آخر :

أما ترى الصبح يخفى في دُجُنتِهِ كأنما هو سقط بين أحشاء
والطير في عذبات الدوح ساجعة تطابق اللحن بين العود والناء
وعريبه زنجر ، واسمه القصب ، وصاحبه قاصب وقصاب ، وجمعه
نابات . قال الشريف الرضى :

كفلت باللهو وافية لك نابات وعيدان

وقال ابن المعتز : يضج بالنابات والعيدان « (١) » ا هـ .

— وقد جاء في الأملى الشجرية في مسألة عودة الضمير على غير مذكور
للعلم به — بعد أن أورد شواهد أصلية كثيرة .

قال : ومنه في شعر المحدثين قول دعبل :

إن كان إبراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخارق

أراد مضطلعا بالخلافة . وقول ابن المعتز :

وندمان دعوت فهب نحوى وسلسلها كما انخرط العقيق

أضمر الحمر لأن ذكر الندمان دل عليها . ومن ذلك قول المتنبي :

خليلى ما هذا مناخا لمثلنا فشدا عليها وارحلا بنهار

أضمر المطايا للدلالة ذكر المناخ عليها . وهذا في الشعر القديم والمحدث
غير محصور « (٢) » ا هـ .

(١) شفاء الغليل للخفاجى طبعة د. محمد عبد المنعم خفاجى ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) الأملى الشجرية ٥٩/١ - ٦٠ .

الفصل الثالث

شعراء القرن الرابع الذين احتج بشعرهم

٣٢ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله (المفجع) المتوفى (٣٢٩ هـ)
(لقي ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره ، وهاجى ابن دريد ، وله عدة
كتب فى اللغة والنحو) (١) .

نسب إليه صاحب معجم الشعراء فى لسان العرب شعراً فى تركيبى
(نرك) ، (لبن) (٢) .

والذى فى نرك ليس للمفجع وإنما هو رواه عن الكسائى (٣) ، والذى
فى (لبن) شاهد صحيح فيه كنية عن متاع الرجل استشهد لها ابن برى
بيت للمفجع (٤) .

٣٣ - أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى المتوفى (٣٥٤ هـ)

(قال عنه ابن جنى : « وهو قريع دهره فى الشعر ، ونسيج وحده ،
لا يختلف اثنان ممن يوثق بفهمه ومعرفته وجودة نقله الشعر - فى رصانة
لفظه ، ومختبر كثير من معانيه ، ولو تناسب شعره للحق الصدى من

(١) انظر عنه الفهرست ١٢٣ ومعجم الأدباء ١٧/١٩٠ - ٢٠٥ ، ومعجم الشعراء
للمرزبانى ٤٢٩ له كتاب معانى الشعر تناول فيه حد الإعراب ، الهجاء ، المطايا ، الشجر
والنبات ، اللغز وله كتاب غريب شعر زيد الخيل ، وعرائس المجالس .

(٢) انظره ط ٢ ص ٤٠١ .

(٣) انظر اللسان (نرك) ١٢/٣٨٨ .

(٤) اللسان لبن ١٧/٢٦١ .

(م ١٢ - الاحتجاج بالشعر فى اللغة)

المحدثين ، وجاوز كثيراً منهم (١) هـ . وواضح أن معنى مجاوزته صدر المحدثين لحوقه بالمتقدمين في بعض شعره على الأقل .

وقال عنه الشهاب الخفاجي في شرح ذرة الغواص : « أجعل ما يقوله المتنبي بمنزلة ما يرويه » (٢) وهذا عين مقاله الزنجشیری فی أبی تمام .

★ ★ ★

أولاً : فی متن اللغة وما إليه :

— اعترض ابن بری علی ذکر الجوهری فی الصحاح وصف فصوص الفرس بأنها ظماء — فی ترکیب (ظماً) وقال إنها من باب المعتل بدليل قولهم ساق ظمياء أى قليلة اللحم . ثم قال : « ولما قال أبو الطيب قصيدته التي منها :

فی سرج ظامیة الفصوص طميرة یأبى تفردھا لها التمثیلا
 كن يقول إنما قلت ظامیة بالياء من غیر همز لأنى أردت أنها ليست
 برهلة كثيرة اللحم (٣) هـ فابن بری هنا يشهد ببيت المتنبي وتوضيحه على أن ظماء جمع ظامیة وأنها من المعتل لا المهموز .

— وللمتنبي أبيات في تراكيب (ضطر ، أول ، قوم ، بون ، رأى) في اللسان — جرى بها التنزل على معان ذكرت من قبل أنها تأكيد للاستشهاد لائسيس (٤) .

— واحتج ابن هشام لكون الصفة من شيم هي شيم (بوزن فطن) بقول أبي الطيب :

(١) تفسير أرجوزة أبو نواس (الأثرى) ٤٠ - ٤١ .

(٢) القياس للشيخ محمد الخضر - عين ٣٦ .

(٣) اللسان (ظاً) ١١٢/١ .

(٤) معجم الشعراء في لسان العرب ونذر راجعها كـ ١ .

واحرَّ قلباهُ ممن قلبه شيم (١)

= واستشهد الشهاب الخفاجي على أن الفذلكة معناها إجمال عدد

فصل من قبل بقول المتنبي :

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مَقْدَمَا وَأَتَى - فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا

ثم قال : « قال الواحدى الفذالك جمع فذلكة . وهى جملة الحساب لقولهم

فيها : فذلك كذا (٢) ٥١ .

= واستشهد على القاب فى كلمة « مشغلب » (= أردأ الخرز)

بحيث تقدم الخاء على الشين بقول المتنبي :

بياضُ وجه يريك الشمس حالكة ودر لفظ يريك الدر مخشلبا (٣)

ثانياً : فى النحو وما إليه :

أ - احتج به الإمام الواحدى (٨٤٦٨) حيث خرج تعديته الفعل « قاس »

: « إلى » فى قوله :

بمن نضرب الأمثال ، أم من نقيسه إليك ، وأهل الدهر دونك ، والدهر ،

على أن فى « قاس » معنى الضم والجمع ، كأنه قال من أضمه إليك

فى الجمع بينكما والموازنة ، أو أن (قاس) ضمنت معنى الانتهاء (٤) ،

فهذا التخريج يعنى الثقة فى سلامة سليقة الشاعر وفصاحته ، بحيث يقبل

تصرفه فى التعبير ، ويتأول له شأن كلام العرب الفصحاء ، ولولا ذلك

لرد عليه .

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تحقيق حمد أبو ناجى

ص ٩٧ .

(٢) شفاء الغليل (فهرست) ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) شفاء الغليل (مشغلب) ص ٢٣٥ وفيه أن الواحدى قال إن اللفظ ليس عربياً وإن

العرب تقول له الخفض .

(٤) شفاء الغليل (قاس) تحقيق د. خفاجى ٢١٥ .

ب - واحتج به ابن السيد البطليوسي (٥٢١ هـ) - وهو إمام لغوي كبير (١) - فأورد في الاستشهاد على صحة إضافة آل إلى الضمير في قول المتنبي :

والله يسعد كل يوم جدّه ويزيد من أعدائه في آله

ثم قال : « وأبو الطيب وإن كان ممن لا يحتج به في اللغة : فإن في بيته هذا حجة من جهة أخرى : وذلك أن الناس عنوا بانتقاد شعره ، وكان في عصره جماعة من اللغويين والنحويين - كابن خالويه (٢) (٥٣٧٠ هـ) ، وابن جني (٣٩٢ هـ) وغيرهما . وما رأيت منهم أحداً أنكر عليه إضافة آل إلى المضمّر (٣) ، وكذلك جميع من تكلم في شعره من الكتاب والشعراء كالواحدى (٤٦٨ هـ) وابن عباد (٣٨٥ هـ) (٤) ، والحسن ابن وكيع (٣٩٣ هـ) . ولا أعلم لأحد منهم اعتراضاً على هذا البيت (٥) .

ح - واحتج بشعره الإمام هبة الله بن الشجرى (٥٤٢ هـ) في استعمال الحروف (الثنائية) أسماء مع إعرابها وتنوينها دون تضعيف ودون إدخال (ال) عليها . وبعد أن ذكر شاهدين للتضعيف ، وإدخال ال قال : « ومن العرب المنون قول المتنبي :

من اقتضى بسوى الهندى حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم
يعنى إذا سئل هل قضيت حاجتك ؟ قال لم تقض (٦) ،

-
- (١) عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي له شرح على : الموطأ ، أدب الكاتب ، سقط الزند ، ديوان المتنبي ، أبيات الجمل وغير ذلك (البنية ٥٥/٢) .
(٢) الحسين بن أحمد بن خالويه له : الجمل في النحو ، الاشتقاق ، شرح الدرديدية ، المقصور والمدود ، القراءات . . وغير ذلك (البنية ٥٣٠/١) .
(٣) مسألة إضافة آل إلى الضمير في المساعد ٣٤٧/٢ والأشوقي (مع العصبان) ١٣/١ .
(٤) إسماعيل بن عباد الوزير الملقب بالصاحب له معجم المحيط باللغة ، والكشف عن مساوى المتنبي ، وجوهرة الجمهرة وديوان شعر . . (البنية ٤٤٩/١) .
(٥) القياس للشيخ محمد الخضر حسين ص ٣٧ - ٣٨ .
(٦) الأمالي الشجرية ٢/٢٢٩ - ٢٣٠ بتصرف وإيجاز .

— ولناحظ هنا أن ابن الشجرى لم يقدم مع بيت المتنبي شاهداً آخر للحزنية التى يشهد لها .

د — وسئل ابن الشجرى عن صحة بيت أعملت فيه « لا » فى المعرفة . فعلم لا اختصاص عملها بالنكرة بأنها ليست أصيلة فى العمل ، وإنما تعمل تشبيهاً بليس ، فهى ضعيفة فى العمل فعملت فى النكرات لأنها ضعيفة أيضاً . ثم قال : « وجاء فى شعر المتنبي إعمال « لا » فى المعرفة فى قوله :

إذا الجود لم يُرزق خلاصاً من الأذى
فلا الحمدُ مكسوباً ولا المال باقياً

قال : ووجدت أبا الفتح عثمان بن جنى غير منكر لذلك ، ولكنه قال بعد إيراد البيت : شبه « لا » بـ « ليس » فنصب بها الخبر . ثم ذكر (ابن الشجرى) أنه مر به بيت للنابغة يؤول بإعمالها فى المعرفة ، ثم وجد لبيت النابغة رواية صريحة فى ذلك الإعمال (٢) .

= وجاء فى معنى اللبيب من أحكام لا العاملة عمل ليس : « الجهة الثالثة أنها لا تعمل إلا فى النكرات خلافاً لابن جنى وابن الشجرى . وعلى ظاهر قولهما جاء قول النابغة :

وحلت سواد القلب : لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها متراخياً
وعليه بنى المتنبي قوله « إذا الجود .. (البيت) (٢) .

— ولنا أن نلاحظ :

— أن ابن جنى لم يخطئ المتنبي ، بل وجه أسلوبه الذى أعمل فيه لا فى المعرفة — رغم اشتراط تنكير معمولها إذا أعملت — بأنه شبه « لا » بليس . ومعنى هذا التوجيه أن الأسلوب صحيح ويمكن أن يقاس عليه .

(١) الأمالى الشجرية ٢٨١/١ - ٢٨٢ بتصرف وإيجاز .

(٢) معنى اللبيب (محيى الدين) ٢٤٠ .

= وأن ابن الشجرى اعتد بموقف ابن جنى هذا في توجيه كلام المتنبي وعدم تخطئته .

= وأن ابن الشجرى حلل رواية بيت النابغة التي ليست صريحة في إعمال لا في المعرفة ليبين إعمال لا - متقوياً ببيت المتنبي - قبل أن يجد الرواية الصريحة .

= وأن ابن هشام عد موقف ابن جنى وابن الشجرى هذا المبني أساساً على عدم إنكار عبارة المتنبي ، وعلى توجيه هذه العبارة - عد ذلك قولاً أى مذهباً لهما .

★ ★ ★

ه - واستشهد رضى الدين الاسترأبادى (٥٦٨٦) بشعر المتنبي في ثلاثة مواضع منها قول المتنبي :

إنما أنفس الأنيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالاً
على أن همزة (إنسان) أصلية لأن الأنيس هنا بمعنى الإنس (بالكسر)،
وقد سبق أن احتج ببيت من شواهد سيبويه :

فقلت إلى الطعّام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعّاماً
على أن « الإنس » (بالكسر) يدل على أن همزة إنسان أصل ، وأنه مأخوذ من « الأنس » (بالضم) لأن النسيان (١) ، وكذلك الأنيس بمعنى الإنس (بالكسر) فالكلمات الثلاث من الأنس (بالضم) .

★ ★ ★

و - واستشهد ابن هشام (٧٦١ هـ) في المغنى وغيره بشعر المتنبي . ومن ذلك ما جاء في المغنى :

(١) انظر شرح الشافية المحقق ٢٩٥/٤ - ٢٩٦ وينبغي أن تكون همزة « أنس » في السطر ١٠ من ص ٢٩٦ أعلى الألف ليستقيم الكلام . هذا وقد سقط الشاهدان من شرح الرضى للشافية وموضعهما ج ٢/٣٤٩ - وقد ذكر المحققون أن هناك اختلافاً في نسخ شرح الشافية وأن بعض النسخ سقط منها شواهد (انظر ج ٤ ص ٣ هامش) .

• تنبيه : أضيفت إذ إلى الجملة الاسمية فاحتملت الظرفية والتعليلية في قول المتنبي :

أمن أزديارك في الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء . الخ (١)

- وجاء في المساعد في باب التنازع بشأن أحكام الضمير غير المرفوع من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير قال ابن مالك : « ولا يلزم حذفه أو تأخيره معمولا للأول ، خلافا لأكثرهم ... » .

قال ابن عقيل : « فيجوز عند المصنف ضربته وضربني زيد ، ومررت به ومررتني زيد بإثبات الهاء ، وعليه :

إذا كنت ترضيه ، ويرضيك صاحب . . . جهارا فكُن للغيب أحفظ للعهد

وقوله :

ألا هل أتاها على نأيا . . . بما فضحت قومها غامد (٢)
أ هـ (الشاهد تقديم الضمير المنصوب في « أتاها » على مرجعه غامد)
والبيت الأخير هذا للمتنبي (٣) .

- وهناك في المساعد بيت آخر للمتنبي اختلف في تأويله ابن جني وابن عصفور (٤) .

- هذا ، إلى مئة واثنى عشرة قافية (أعني ١١٢ بيتا) من شعر المتنبي استشهد بها في مئة وستين موضعا من حوالي ثمانية عشر مصنفا من مصنفات النحو والصرف التي شملها معجم شواهد العربية (٥) ،

(١) المفتي (محي الدين) ٨٦ وهناك إعراب البيت وشرحه .

(٢) المساعد ٤٥٦/١ - ٤٥٧ .

(٣) على ما في معجم الشواهد ١٠٢ وقال محقق المساعد إنه لم يعثر على قائل البيت الأول .

(٤) انظر المساعد ٥٢٩/٢ - ٥٣٠ .

(٥) أحصيت تلك القوافي والمواضع والمصنفات بتتبع ما ذكر في معجم شواهد العربية . ثم إنى درست كثيرا منها في مواضعها من مصنفاتها فوجدت معظم ما ذكر في الخصائص لابن

وعدا ما في كتب النحو والصرف التي لم يشملها المعجم كشرح الكافية الشافية لابن مالك ، والمساعد لابن عقيل على التسهيل ، وأوضح المسالك وغيرها وعدا ما في كتب تنقية اللغة ونقدها كشفاء الغليل للخفاجي . وربما نقف بعد عند شيء من هذا .

٣٤ - أبو فراس الحمداني (٣٥٧ هـ)

قال عنه الثعالبي : كان فرد دهره . . أدبا وفضلا . . ومجدا وبلاغة وبراعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعدوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله ابن المعتز . وأبوفراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقطة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول « بديء الشعر بملك ، ونختم بملك : يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز . . (١) » اه وقال عنه الشهاب الخفاجي « أبوفراس ثقة ، ممن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » اه (٢)

في النحو وما إليه :

- وجاء في شفاء الغليل للخفاجي : « تعالى في الأمر بفتح اللام (أي وسكون الباء) قال ابن هشام وكسرها لحن (٣) كما تستعمله العوام ولحن أبوفراس في قوله في شعره المشهور :

= جنى والأمالى لابن الشجرى والحامسة للمزروقي من أبيات المتنبي إنما هي في مجال المعنى الفكرى أو الشعرى ، أما ما جاء في غيرها كالمغنى والتصريح والشذور وشرح المفصل لابن يمشى والأشونى واللمع والدرر اللوامع وشرح شواهد الشروح للعينى والخزانة للبغدادى فكل شواهد شعر المتنبي فيها - أوجلتها - هي في النحو والصرف ، وبعضها نوقش أو يقبل المناقشة في اعتداده شاهداً ، ولكن نسبة مثل هذا لا يمكن أن ينزل كثيراً بعدد الشواهد الصحيحة في مجموع المواضع التي وردت فيها تلك الشواهد وهي تصل إلى مئة وستين موضعاً .

(١) يتيمة الدهر (إيليا الحاوى) ٥٧/١ - ٥٩ ، وترجمته فيها ٥٧/١ - ١٢٩ .

(٢) شفاء الغليل (د. عبد المنعم خفاجي) ٨٤ - ٨٥ .

(٣) انظر شرح شذور الذهب (محيى الدين) ٢٢ - ٢٣ .

تعالى أقاسمك الموم تعالى

. . وأصلها الأمر لمن كان في سُفل أن يأتى محلاً مرتفعاً، ثم استعملت لمطلق المحبىء . وما زعموه من اللحن ليس كما قالوا ، فإنه سمع وقرئ به . وأبوفراس ثقة ممن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . قال في الدرالمصون في تفسير قوله تعالى « تعالوا إلى كلمة سواء . . . » وقرأ الحسن وأبو السمال وأبو واقد : تعالوا بضم اللام ، ووجه بأنه استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى اللام بعد حذف حركتها . والذي يظهر في توجيهها أنهم تناسوا الحرف حتى توهموا أن الكلمة بنيت على ذلك ، وأن اللام هي الآخر في الحقيقة فلذلك عوملت معامة الآخر فضمت قبل واو الضمير وكسرت قبل يائه ، كما قالوا لم أبل . وقال الزمخشري في سورة النساء وعلى هذه القراءة قول الحمداني : تعالى أقاسمك الموم تعالى — بكسر اللام . وعاب بعض الناس عليه (أى على الزمخشري) استشاده بشعر هذا المولد المتأخر . وليس بعيب ، فإنه ذكره استئناساً ، كما بينته في أول سورة البقرة فكيف يعاب عليه ما عرفه ونبه عليه . « ا ه (١) ولنا تعليقنا فيما بعد على خاتمة كلام الحفاجي هذه .

ب — وجاء في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك — لابن هشام في أحكام الفاعل أن فعله يوحد مع تثنيته وجمعه كما يوحد مع أفرادة وحكى البصريون عن طيء وبعضهم عن أزد شنوءه نحو ضربوني قومك قال (عمرو بن ملقط) :

ألفيتا عيناك عند القفا .

وقال . . . وقال (أبوفراس الحمداني) :

نتج الربيع محاسنا ألقحها غرُّ السحاب . (٢)

(١) شفاء الغليل ٨٤ - ٨٥ .

(٢) أوضح المسالك ومعه عدة السالك للشيخ محمد محيى الدين ٩٨/٢ - ١٠٢ .

ا هـ . قال العلامة الشيخ محمد محيي الدين في شرحه : « الشاهد فيه قوله « ألقحها غر السحائب » حيث ألحق نون النسوة بالفعل الذي هو ألقح ، مع كونه مسندا إلى الاسم الظاهر بعده ، وهو قوله غر السحائب . ثم قال : « هذا ، واعلم أن كثيرا من النحاة ومنهم المؤلف هنا — يذكرون هذا البيت في شواهد هذه المسألة ، وأبوفراس قائله ليس ممن يستشهد بكلامه على قواعد العربية . فإما أن يكون مجهول النسبة عن هؤلاء فظنوه لشاعر يستشهد بقوله ، وإما أن يكونوا قد عرفوا نسبته إلى قائله ، ولكنهم يذكرونه للتمثيل به لا للاستشهاد » (١) ا هـ المراد . وسنناقش كلام الشيخ الأخير هذا بعد .

— وقد ذكر ابن هشام البيت نفسه في شذور الذهب شاهدا على المسألة نفسها . (٢) .

(١) نفسه ١٠٣/٢ .

(٢) شذور الذهب ومعه منتهى الأرب للشيخ محمد محيي الدين ١٧٨ .

الفصل الرابع

شعراء القرن الخامس الذين احتج بشعرهم

٣٥ - أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي (٥٤٠٥) (١)

[من شعراء سيف الدولة . قال عنه أبوحيان : « شاعر الوقت ، حسن الخذو على مثال سكان البادية ، لطيف الائتمام بهم ، خفي المغاص في واديه » (٢) وقال عنه ابن خالكان : كان شاعرا مجيدا ، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى . . » (٣) .

أولا : في متن اللغة وما إليه :

جاء في شفاء الغليل « . . نعم الملق والملقة (بالتحريك فيهما) بمعنى الماء في منخفض الأرض صحيح بإطلاق اسم المحل على الحال لوروده في اللغة بمعنى ما استوى من الأرض . ووقع في شعر من يوثقه بمعنى الخضوع قال ابن نباتة السعدي :

وغاض طافي الملقات في الغسق

وانكدر الليل على باقي الغسق .

قال الصولي في شرحه : الملقات الجبال ، وانكدر انصب - ولم ينكره . وقال إن الملق الخضوع ، ومنه قيل للأكمة المفترشة ملقة أيضا . » (٤) ا ه أقول كأن الصولي خرج استعمال ابن نباتة للفظ الملقة

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان (بحى الدين) ٣٦٢/٢ وفي الأعلام ٢٣/٤ - ٢٤ .

(٢) هذه عن الأعلام ٢٣/٤ (٣) وفيات الأعيان ٣٦٢/٢ .

(٤) شفاء الغليل (ملق) ٢٣٨ .

بمعنى الأكمة المفترشة على أساس أن الملق مستعمل في الخضوع وهو انخفاض معنوى ، والأكمة المفترشة منخفضة السطح نسبياً بمعنى أنها مستويته غير ناتئة . وهذا التخريج عكس الأصل الذى هو حمل المعنوى على الحسى إلا أن ينظر في الخضوع إلى أصله الحسى أيضاً .

ثم أقول إن هذا الاستعمال أعنى الملقة بمعنى الأكمة المفترشة (وهو المقصود في تفسير المقات بالجبال هنا) ليس جديداً بحيث يحتاج إلى احتجاج . فقد ورد في اللسان بنصه (١) . ولكن الشاهد هنا هو تخريج الصولى لكلام ابن نباتة واحتجاج الحفاجى بهما .

ثانياً : في النحو وما إليه :

جاء في الأمالى الشجرية أن العرب جمعوا لفظ كسرى (لقب ملك الفرس) جمعين على غير القياس الأكاسرة ، والكسور . ثم قال : « واستعمل الكسور أبونصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة في قصيدة مدح بهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة ، وابنه أبا منصور فقال :

وتفرست فيه خير محاب ... (أنه) كائن أبا للكسور (٢) .
(وقد ذكر هذا الجمع في اللسان (كسر) وتاج العروس (كسر) بدون شاهد) (٣) .

٣٦ - الشريف محمد بن الحسين الرضى المتوفى (٥٤٠ هـ)

قال عنه الثعالبي : « هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غير ، على كثرة شعرائهم المفلقين .. ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أجرى به من ذكره شاهد عدل من شعره العالى القدح ، الممتنع عن القدح ، الذى يجمع إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها » ونقل ذلك ابن خلكان . ومن

(١) ل ملق ١٢/٢٢٥/٢ . (٢) الأمالى الشجرية ١/٩٥ .

(٣) انظر اللسان كسر ٦/٥٧ سطر ١٢ وتاج العروس ٣/٥٢٢ .

كتبه مجاز القرآن ، والمجازات النبوية ، وحقائق التأويل في منشابه التنزيل ، وغيرها (١) .

أولا : في متن اللغة وما إليه :

- جاء في شفاء الغليل للشهاب الخفاجي :

« شعشة الشمس بمعنى انتشار ضوئها لم يسمع من العرب ، حتى إن العلامة قال في شرح ديباجة المطالع : « شعشة من ذكاء » ثم نبه بعض الأدباء له فغيره ، وإنما وردت بمعنى المزج كما قال في بيت المعلقات :

مشعشة كأن الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

(قال الخفاجي) : لكنها وردت في كلام من يوثق به : قال الشريف

الرضي (توفي ٥٤٠٦هـ) :

ضوء تشعشع في سواد ذؤابتي

لا أستضيء به ولا أستصبح

وقال مهيार (٥٤٢٨هـ) :

لكن عميد الدولة الشمس الذي

عنت الوجوه لنوره المتشعشع

وقال الصوري (عبد المحسن بن غلبون الصوري ٥٤١٩هـ) :

وتشعشت عوعاء (٢) من شمس لها مكسوفة صفراء

(قال الخفاجي) ولم أقف على نقل فيها حتى رأيت العلامة الشامي

(محمد بن يوسف صاحب السيرة ٩٤٢هـ) قال في سيرته في قوله ..

(١) انظر اليتيمة (محي الدين) ١٣١/٣ وفيها نماذج من شعره إلى ص ١٥١ ، وانظر وفيات الأعيان (محي الدين) ٤٤/٤ - ٤٨ وعن ترجمته انظر تاريخ التراث (الشعر) ١٨٧/٤ وما أشار إليه من المراجع ، وكذلك الأعلام ٩٩/٦ .

(٢) قوله عوعاء كذا هي في الشفاء تحقيق د. عبد المنعم خفاجي . والذي في لسان العرب وتاج العروس (عوى) أن العواء (ككثان) ويقصر : منزل من منازل القمر ، خمسة كواكب أو أربعة كأنها كتابة ألف . ولعل هذا هو المقصود . وليس في المعجمين (عوع) إلا العوعاء والعوعة (بالفتح) الصوت والاجبة .

نشاهد في عدن ضياءً مشعشعاً

يزيد على الأنوار في النور والهدى

« ضياء مشعشع . منتشر » . « وهو ثقة » (١) اه كلام الخفاجي .

ثانياً : في النحو وما إليه :

١ - احتج بشعره العلامة بهاء الدين بن عقيل المتوفى (٥٧٦٩) في شرحه لتسهيل ابن مالك المسمى المساعد على تسهيل الفوائد . في مسألة نصب المضارع بأن مضمرة بعد واو المعية إذا وقع ذلك المضارع بعد أمر أو نهى أو دعاء أو استفهام النخ . قال ابن عقيل : « فالأمر : فقلت ادعى وأدعو . . (البيت) ، والنهى كقول أبي الأسود : لا تنه عن خلق وتأتى مثله (البيت) . . . والاستفهام : ما أنشده بعض النحويين :

أتيت ريانَ الجفون من الكرى

وأيتَ منك بليلة الملسوع

قال شيخنا : ولا أدري أهو مسموع أم مصنوع (٢) اه .

وهذا البيت للشريف الرضى وهو في ديوانه (٣) . ولنا أن نلاحظ أن ابن عقيل يشير إلى نحويين سبقوه أنشدوا البيت مستشهدين به ، وأن شيخه (أبا حيان المتوفى ٥٧٤٥) عرف ذلك الشاهد ، وسياق كلام ابن عقيل يدل على أن البيت أنشده ذلك (البعض) من النحويين قبل شيخه أيضاً . وبشوت البيت في ديوان الرضى يسقط تشكك الشيخ فيه - إلا أن يكون قد أراد بالمصنوع ما كان من كلام (المولدين) حسب التحديدات التي أسلفناها .

هذا . وقد احتج العلامة أبو الحسن الأشموني (نحو ٩٠٠ هـ) بالبيت نفسه في المسألة نفسها فقال : « والرابع الاستفهام كقولاه :

(١) شفاء الغليل ١٥٧ .

(٢) المساعد تحقيق د. محمد كامل بركات ٩١/٣ .

(٣) قال محقق المساعد البيت في ديوان الشريف الرضى ٤٩٧/١ .

أُتْبِيت رِيَان الْجَفُون مِنَ الْكُرَى

وَأُبِيت مِنْكَ بَلِيلَةُ الْمَلْسُوعِ (١)

هـ . ولم يعلق بشيء .

ب - أما العلامة الشيخ يس بن زين الدين الحمصي المتوفى ١٠٦١ هـ فقد جاء في حاشيته على التصريح بالبيت نفسه لكن ليستشهد به على عمل بات عمل كان وأخواتها فقال بعد سرد أخوات كان نحو : وكان ربك قديرا ، وأُتْبِيت رِيَان الْجَفُون . . (البيت) (٢) . وقد استشهد به في الجمع أيضا (٢) . وقال في الدرر اللوامع بعد أن ذكر البيت - « استشهد به على النصب بأن مضمرة بعد الواو في جواب الاستفهام والبيت من شواهد الأشموني ... ولم أعثر على قائله » (٤) هـ . وقد أسلفنا أنه من شعر الرضى وهو في ديوانه .

٣٧ - عبد المحسن بن محمد (ابن غلبون) الصورى (٤١٩ هـ)

٣٨ - ومهيار الديلمي (٤٢٨ هـ)

• عن ابن غلبون قال الثعالبي وابن خالكان : « أحد المحسنين الفضلاء والمجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام ، مليح النظام » وزاد ابن خالكان له ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان » (٥)

• وعن مهيار قال ابن خالكان إنه تخرج على الشريف الرضى في وزن الشعر ، ووازن كثيرا من قصائده ، وكان شاعرا جزل القول ، مقدما على أهل وقته .. ثم ذكر ثناء الباخريزي وابن بسام على شعره . ونقل الزركلي

(١) شرح الأشونى ٣/٣٠٧ .

(٢) حاشية الشيخ يس ١/١٨٤ .

(٣) مع الهوامع تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ٤/١٢٧ .

(٤) الدرر اللوامع ٢/١٠ .

(٥) يتيمة الدهر (ايليا الحاوى) ١/٤٦٩ ، ووفيات الأعيان (محيى الدين) ٢/٣٩٧

وترجمته فيهما وفي الأعلام ٤/١٥٢ ترجمة وإشارة إلى مصادر ترجمته .

قول الحر العاقل « جمع مهيار بين فصاحة العرب، ومعاني العجم ». وقول الزبيدي إنه شاعر زمانه ، وقول بعض العلماء إن خيار مهيار خير من خيار الشريف الرضي « (١) .

وذكره الشهاب الخفاجي ضمن من يوثق به على ما سيأتي .

• تقدم في احتجاج الشهاب الخفاجي بشعر الشريف الرضي أنه قال بصدد بيان صحة استعمال « شعشة الشمس » بمعنى انتشار ضوئها - وهو تعبير قيل إنه لم يسمع من العرب - قال إن هذا الاستعمال ورد في كلام من يوثق به ثم ذكر من هؤلاء الذين يوثق بهم الصوري (وهو عبد المحسن ابن غلبون ٤١٩ هـ) القائل :

وتشعشت عواء من شمسها مكسوفة صفراء (٢)
ومهيار الديلمي القائل :

لكن عميد الدولة الشمس الذي . . . عنت الوجوه لنوره المتشعشع
ثم قال الخفاجي - كما أسلفنا - ولم أقف على نقل فيها حتى رأيت العلامة الشامي (وهو محمد بن يوسف صاحب السيرة (٩٤٢ هـ) قال في سيرته في قوله :

نشاهد في عدن ضياء مشعشعا يزيد على الأنوار في النور والهدى
ضياء مشعشع : منتشر - وهو ثقة « (٣) ١ هـ كلام الخفاجي .

٣٩ - أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى (٤٤٩) هـ :

يكفي في توثيق قدرته اللغوية أن نذكر بأنه صاحب « اللزوميات » و « سقط الزند » وشرحه « ضوء السقط » ورسالة الغفران وغيرها ، وأنه شراح دواوين أبي تمام والبحرني والمتنبي . . . (٤) .

(١) انظر وفيات الأعيان (بحي الدين) ٤٤١/٤ ، والأعلام ٣١٧/٧ ، وللعزید من ترجمته أرجع إلى مصادر ها التي ذكرت في الأعلام .

(٢) شفاء الغليل ١٥٧ . (٣) نفسه .

(٤) انظر عنه وفيات الأعيان ٩٤/١ - ٩٨ والأعلام ١٥٧/١ ومصدر ترجمته التي أشار إليها .

أولاً — فى متن اللغة وما إليه :

جاء فى « شرح قصيدة كعب بن زهير فى مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » لجمال الدين بن هشام قوله « شيم : البرد الشديد . . . وقد شيم الماء ونحصر (كلاهما كفرح) وخرص الرجل (كفرح) اشتد برده مع الجوع والأفعال الثلاثة على فاعل يفعل (يعنى كفرح) ومصدرهن على الفَعْل بفتحين ، ووصفهن بزنة الماضى . وقال أبو الطيب :

واحرَّ قلباه ممن قلبه شيم

وقال المعرى :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يُهجر للإفراط فى الحَصَر (١)

ثانياً : فى النحو وما إليه :

• تردد قول المعرى :

يذيب الرعب منه كل غضب فلولاً القمء بمسكة لسالا

فى بضع من أهيات كتب النحو شاهداً على ذكر خبر المبتدأ بعد لولا جوازا إذا كان كونا مقيدا — أو خاصيا ، والكلام مشعر به . جاء بالبيت الإمام جمال الدين بن مالك (٦٧٢هـ) فى شرحه للكافية الشافية (وهى من نظمه أيضا) قال : « فإن كان الإخبار بكون مقيد ، وكان المبتدأ ، الجواب مشعرا به (٢) جاز الإثبات والحذف كقول المعرى فى صفة سيف :

..... فلولاً القمء بمسكة لسالا (٣) اهـ

ولم يعقب على البيت بأنه محدث أو مولد أو أنه جاء به تمثيلا فحسب — مثلا .

• وجاء به الإمام جمال الدين بن هشام (٧٦١هـ) فى أوضح المسالك مصححا

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير لجمال الدين بن هشام ٩٧ .

(٢) أى بالقييد إذا لم يذكر ويقصد بالجواب جواب لولا .

(٣) شرح الكافية الشافية لابن مالك د. دريدى ١ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .

إياه وذكر أن الجمهور لحنوا المعرى (١) ، وكذا جاء به في الشذور — بعد
تعميم حذف الخبر بعد لولا — ثم قال بعده « فأثر ذكر الخبر وهو بمسكه » (٢)
ولم يعقب بشئ آخر .

وجاء به العلامة ابن عقيل (٥٧٦٩هـ) في المساعد للمسألة نفسها على الوجه
الذي ذكره له ابن مالك . ثم قال ابن مالك : « وهذا الذي ذهبت إليه هو
مذهب الرماني والشجري والشلوبين وغفل عنه أكثر الناس — يعني القائلين
بوجوب حذف الخبر بعد لولا مطلقا — بناء على أنه لا يكون إلا كونا عاما ،
وتأويل ماورد بخلاف ذلك . » ثم قال : ومن ذكر الخبر بعد لولا قول أبي عطاء
السندی (كذا والصواب أنه لمسلم بن الوليد في ديوانه) :

لولا أبوك ولولا قبله عمر ألت اليك معد بالمقاليد (٣)

والذي جاء في التصريح وفي شرح الأشموني مماثل لما قال ابن عقيل
وأضاف الأشموني الرد على تلحين الجمهور للمعرى بأنه ورد مثله في الشعر
الموثوق به كقوله :

لولا زهير جفاني كنت معتذرا .

قال : ويغنى عن تلحينه جعل بمسكه بدل اشتغال من الغمد (٤) اهـ .

* * *

وزكّى الدماميني تشية أبي العلاء للمشارك مرادا به معنيان في قوله

ألم ترفي جنمي وفي جفن منصلي غرارين ذانوم ، وذلك مشطب (٥) اهـ

(١) أوضح المسالك مع عدة السالك بحبي الدين ١/ ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٢) الشذور ومعها منتهى الأرب بحبي الدين ٣٦ - ٣٧ .

(٣) المساعد على تسهيل الفوائد ١/ ٢٠٩ .

(٤) الأشوني ١/ ٢٦٨ .

(٥) الدرر اللوامع للشنقيطي ١/ ١٧ - ١٨ .

الفصل الخامس

شعراء القرن السادس الذين احتج بشعرهم

٤٠ — أبو محمد القاسم بن علي الحريري المتوفى (٥١٦هـ)

صاحب «درة الغواص في أوهام الخواص» ، وملحة الإعراب ، وصاحب المقامات الشهيرة التي اشتملت — كما قال ابن خلكان — على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها . ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل ، وكثرة اطلاعه ، وغزارة مادته « (١)

(أ) جاء في المغني لجمال الدين بن هشام (٧٦١ هـ) :

« الرابع (أي من معاني كأن) : التقريب قاله الكوفيون . وحملوا عليه كأنك بالثناء مقبل ، وكأنك بالفرج آت ، وكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالأخرة لم تزل ، وقول الحريري :

كأنى بك تنحط إلى اللحد وتنغط . (٢) هـ ا .

(ب) وجاء في جمع الهوامع (٣) أن من شروط التثنية : « اتفاق

(١) وفيات الأعيان (محيي الدين) ٢٢٧/٣ ، وانظر عنه أيضاً الأعلام ١٧٧/٥ وما ذكره من مصادر ترجمته .

(٢) مغني اللبيب (محيي الدين) ١٩٢ .

(٣) جمع الهوامع تحقيق العلامة عبد السلام هارون ود. عبد المال سالم مكرم دار البحوث العلمية ١٣٩/١ - ١٤٣ .

منهظ فلا يشئ ولا يجمع الأسماء الواقعة على مالا ثانی له فی الوجود كشمس
وقمر والثریا — إذا قصدت الحقيقة . وهل یشرط اتحاد المعنی ؟ فیہ
أقوال : أحدها نعم ، وعليه أكثر المتأخرین فمنعوا تثنية المشترك والمجاز
وجمعها ، ولحنوا (المعری) فی قوله :

جاد بالعين حين أعمى هواه . . . عينه فانشئ بلا عينين .

والثانی : لا ، وصححه ابن مالك تبعاً لأبي بكر بن الأنباری (محمد
ابن القاسم ٣٢٧) قياساً على العطف : ولوروده فی قوله تعالى « وإله
آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق » . وقوله صلى الله عليه وسلم « الأیدی
ثلاثة : فید الله العليا ، وید المعطى ، وید السائل السفلى » (١) .

وجاء فی الدرر اللوامع للعلامة أحمد بن الأمين الشنقيطی تعليماً على
قوله : ولحنوا المعری فی قوله : —

جاد بالعين حين أعمى هواه . . . عينه فانشئ بلا عينين .

قال : « أورده على أن المشترك لا تجوز تثنيته ، وأن مثل هذا البيت
خطأ . قلت البيت ليس للمعری بل هو للحريزى أورده فی مقامه العاشرة .
على أن تلحينه ليس بجيد ، ويكفى فی ذلك أن ابن الحشاش (٥٥٦٧) (٢)
لم يتعرض له فی هذا البيت مع تحامله عليه . والمسألة إذا ورد فيها خلاف
ولو ضعيفاً لا يسوغ فيها اعتراض . وأكثر النحاة على ما ذهب إليه السيوطی
من أن من شروط المثني أن يتحد لفظه ومعناه . قال فی التسهيل « وفي
المعنى على رأى » .

قال الدمامينى : فلا تجوز تثنية المشترك باعتبار مدلولاته المختلفة ،
وعلى هذا رأى أكثر المتأخرين .

(١) نفسه ١٥٣ .

(٢) عبد الله بن أحمد بن الحشاش قيل فيه إنه كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، وإنه كان في
درجة أبي على الفارسي (البنية ٢ / ٢١) .

قال ابن الحاجب : وهل يجوز أن تأخذ الاسم المشترك فتثنيه باعتبار مدلولين كقولك عينان في عين الشمس وعين الماء - لما فيه من خلاف ؟
الظاهر أن جوازه شاذ . والأكثر المستعمل على خلافه .

ومما جاء على الطريقة العليا قول أبي العلاء :

ألم تر في جَفَنِي وفي جَفَنٍ منصلي . . غرار بن ذا نوم وذاك مُشَطَّب

المنصل بالضم السيف ، والغرار بكسر الغين المعجمة : النوم القليل ،
وحد السيف . والمشطب السيف الذي فيه شطب على زنة غرف ، أى طرائق
في متنه ، وعليه قول الحريري . . وأنشد البيت . قال فهذا وأمثاله عند
المحققين مما يحمل على الشذوذ . فعلمت أن تلحينه غير جيد لقول ابن
مالك ، « على رأى » ، ولتردد ابن الحاجب في ذلك ، ولقول الدماميني
إنه مما يحمل على الشذوذ « (١) .

(١) الدرر الموامع على مع الموامع شرح جمع الجوامع للعلامة الشنقيطي (دار المعرفة)

الباب السابع

الأئمة الذين احتجوا بشعر المولدين

لا شك أنه مما يجلى أهم جوانب قضية الاحتجاج بشعر المولدين هذه أن نعرف الأئمة الذين وقعت منهم تلك الاحتجاجات ، فإن لمعرفة مدى كبرتهم ، ومن هم من بين الأئمة المعروفين أثراً بالغاً في الأحكام المستخلصة من احتجاجهم هذا ، وفي وثاقة تلك الأحكام المستخلصة .

* * *

أولاً : في مجال متن اللغة وما إليه :

وقعت احتجاجات بشعر المولدين في هذا المجال من كثيرين من أئمة اللغة نتناول هنا أبرزها :

١ - فهذا أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠ هـ) - في كتابه مجاز القرآن - يحتج لتفسيره « الغول » في قوله تعالى « لافيها غول . . » أنه أن تغتال الخمر عقولهم بقول مطيع بن إلياس (١٧٠ هـ) :

وما زالت الكأس تغتالنا . . . وتذهب بالأول الأول . (١)

٢ - وأبو محمد عبد الله بن مسام بن قتيبة (٢٧٦ هـ) احتج لتفسير التحنيب في يدى الفرس ، والتجنيب في رجليه - بأنه انحناء وتوتير - بقول محمد بن ذؤيب العماني (٢٢٨ هـ) :

(١) مجاز القرآن . تحقيق سزكين ١٦٩/٢ وفي التعليق نسب المحقق البيت لمطيع بن إلياس ثم قال : « قال أبو عبيدة : مطيع مولد لا يحتج بشعره » ١ هـ . والآية الكريمة من سورة الصافات ٤٧ .

ترى له عظم وظيف أحديا « (١)

٣ — وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) احتج لقولهم حاض السيل وفاض إذا سال بقول عمارة بن عتيل (٢٣٩هـ) :
أجالت حصاهن الذؤاري وحيثت . . عليهن حيضات السيول الطواحم.
جاء ذلك في تهذيب اللغة ، ثم في لسان العرب . (٢)

٤ — وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) احتج للهبأ — وهو كل ما كنت فيه فانقطع عنك وأنه يقصر ويهمز — بقول بشار (١٦٧هـ) وقضيت من ورق الشباب هجا . . من كل أحور راجع حسبه .
ووقع ذلك في تهذيب اللغة . (٣)

٥ — وأبوبكر بن دريد (٣٢١هـ) روى معنى هَجَفَ في قول محمد ابن ذؤيب العماني (٢٢٨هـ) :

(١) أدب الكاتب (الدالي) ١١٩ والحجة في تعبيره عن نفس ظاهرة التحيب والتجنيب بالحب وهو انحناء . واحتج في تحديده لمعنى كلمة ماتم بأنه تجمع النساء في خير أو شر بقول أبي عطاء السدي (١٨٠هـ) :
عشية قام النائمات ، وشققت جيوب بأيدي ماتم وخدود
(انظر : أدب الكاتب ، تحقيق الدالي ٢٤) .
(٢) انظر تهذيب اللغة (حيض) ١٥٩/٥ — وهو في لسان العرب ١٢/٨ — مع إغفال الرواية . كما احتج لتعريف العرب عن الذل والخضوع بإسناد الذل (وما بمعناه) إلى الرقاب والأعناق بقول عمارة هذا :

وإني امرؤ من عصابة خندفية أبت للأعادي أن تديخ رقابها
وجاء هذا في المقتضب للمبرد (انظره بتحقيق عزيمة ١٩٩/٤ وانظر مقال المحقق عن الفعل داخ أو ذاخ . ومعناه ذل) .
(٣) في التهذيب (هجا) ٣٤٨/٦ : « قال أبو بكر قال أبو العباس : الهجا يقصر ويهمز ، وهو كل . . »

— كما جاء في مجالس ثعلب « والمثلثون الكذاب في شعر عمارة » ورواها ابن سيده ثم جاءت في اللسان . (مجالس ثعلب ص ٣٢٠ ، ولسان العرب (لسن ١٧/٢٧٢/١١) .

• وجنم الفحل فأضحى قد هجف •

عن الأشناداني سعيد بن هارون (٢٥٦ هـ) (١)

٦ - وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٧ هـ) احتج - في كتابه الأضداد - لورود غسق بمعنى سال بقول عمارة بن عقيل (٢٣٩ هـ):

ترى الضيف بالصلعاء تغسق عينه

من الجوع حتى تحسب الضيف أرمدا (٢) •

٧ - وأبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي (٣٥٠ هـ) - في معجمه ديوان الأدب - احتج في تعريف البلبل بأنه طائر يطرب بقول أبي نواس (١٩٥ - ١٩٨ هـ) في الأصمعي :

• بلبل في قفص يطربهم بنغمته • (٣)

(١) انظر الجهرة ١٠٩/٢ (هجف : التقت خاصرتاه بجنبه من التعب) . وفي الجهرة أيضاً أن ابن دريد سأل أبا حاتم (٢٥٥ هـ) عن الظطاب (بالفتح) فلم يعرف فيه حجة جاهلية إلا أنه قال : فيه بيت بشار ، وليس بحجة ، وأنشد :

بنيتي ليس بها ظطاب

(الجهرة ١٢٧/١) . والظطاب بئر في العين ، وهو العيب أيضاً (انظر اللسان) .
- كما روى معنى الزلف (بالتحريك) في قول العياشي هذا أيضاً :

من بعد ما كانت ملاء كالزلف

عن الأشناداني عن أبي محمد عبد الله بن محمد التوزي (٢٣٣ هـ) عن أبي عبيدة (٢١٠ هـ)
(انظر الجهرة ١٢/٣) (الزلفة : المكنى - وهو الطست الذي تغسل فيه الثياب ونحوها) .

(٢) انظر الأضداد له بتحقيق محمد أبي الفضل ص ٥ . كما احتج في شرحه القصائد السبع الطوال الجاهليات - لبعض معاني حباب الماء (كسحاب) بقول عمارة أيضاً :

ولا متقلب الأمواج يبق إلى نجواته السفن الحباب

قال : فجعل الحباب ها هنا الموج . ١ هـ (انظر شرح السبع الطوال الجاهليات له (هارون) ١٢٨) .

(٣) انظر ديوان الأدب ١٠٣/٣ . كما احتج بيت أبي عطاء السدي (١٨٠ هـ) الذي احتج به من قبل ابن قتيبة في تحديد معنى « المأتم » (نفسه ١٦٨/٤) ، واحتج لورود الصفة « حذر » (مثل كتف) ببيت أبي يحيى اللاحق (نحو ٢٠٠ هـ) :

حذر أمورا لا تخاف وآمن ما ليس منجيه من الأقدار =

٨ - وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (٣٧٠ هـ) جاء في معجمه تهذيب اللغة باحتجاجات لغوية من شعر المولدين في تراكيب كثيرة، منها احتجاجه لـ «وتد» (بالتضعيف) فلان رجله في الأرض إذا ثبَّتَها بقول بشار (١٦٧ هـ) .

ولقد قلت حين وتد في الأرض ثبير أربي على نهلان (١)

٩ - وأبوسليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨ هـ) احتج في كتابه غريب الحديث ببيت عمارة بن عقيل (٢٣٩ هـ) :

= (نفسه ٢/٢٠٥) واحتج بشر ترجح نسبه إلى العاني (٢٢٨ هـ) بشأن استعمال كلمة فم بتضعيف الميم مع ضم الفاء هنا - وهو قوله :
ياليثها قد خرجت من فم

(الشطر في ديوان الأدب ١١/٢ ، وهو منسوب إليه باسمه كاملاً في اللسان (فم) ٣٥٧/١٥ وقال محقق ديوان الأدب إن الشطر نسب في الخزانة ٢/٢٨٠ إلى العجاج . وأقول إن في مجالس العلماء للزجاجي ٣٨ - ٣٩ رجزاً للعاني يشبه ما هنا في قافيته وفي قصته كأنه وشطرنا هذا من أرجوزة واحدة .)

(١) التهذيب ١٤/١٤٨ . كما احتج للفعل ودع (بوزن وهب) ماضى يدع - بقول أبي العتاهية :

وكان ما قدموا لأنفسهم أكثر نفعا من الذي ودعوا

(التهذيب ٣/١٣٦) ، واحتج للصلعاء : الأرض (أو الرمال) التي لا نبات فيها ولا شجر بقول عمارة (٢٣٩ هـ) :

تري الضيف بالصلعاء تفسق عينه من الجوع حتى تحسب الضيف أرمدا

(التهذيب ٢/٣٢) - واحتج - إلى ذلك - :

- وبشر بشار في تراكيب (هجاء ، وقد ، دهل) (انظر التهذيب ٦/٣٤٨ ، ٩/٢٥٠ ، ٦/٢٠٠ على التوالي) .

- وبشر خلف الأحمر (١٨٠ هـ) في تراكيب (نقد ، طبق ، طرق ، دهمق ، سبل) (التهذيب ٩/٣٦ ، ٩/٥ ، ١٦/٢٤١ ، ٦/٥٠٠ ، ١٢/٤٣٢ على التوالي) .

- وبشر أبي عطاء السندی (١٨٠ هـ) في تركيب (أتم) (نفسه ١٤/٣٤١) .

- وبشر مروان بن أبي حفصة (١٨٢ هـ) في تركيب (شنع) (نفسه ١/٤٣٣) .

- وبشر أبي العتاهية (٢١١ هـ) في تركيب (ودع) (نفسه ٣/١٣٦) .

- وبشر عمارة بن عقيل (٢٣٩ هـ) في تراكيب (حذر ، وحىض) (نفسه ٧/٢٦٥ ، ٥/١٥٩ على التوالي) .

هذا زمان مَوَّلٌ خَيْرُهُ آزَى صارت رءوسٌ به أذنان أعجازه
على قولهم أزى يأزى (كرمى) أزيبًا (على فعول) إذا انقبض ودنا
بعضه من بعض (١) .

١٠ - وأبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) احتج في معجم
المجمل بقول العماني (٢٢٨ هـ) :

(فانقض قد فات العيون الطُّرُفا)
إذا أصاب صيدَه أو أخطفنا .

على قولهم رمى الرمية فأخطفها وذلك إذا أخطأها . (٢)

١١ - وأبونصر إسماعيل بن حماد (الجوهري) (نحو ٤٠٠ هـ)
جاء في معجمه تاج اللغة وصحاح العربية بكثير من الاحتجاجات اللغوية بشعر
المولدين تفصل مثلاً واحداً ونجمل الباقي :

احتج للوارد بمعنى السيوف القواطل (من قولهم ضربه حتى برد أى
مات) بقول كلثوم بن عمرو العتابي (٢٠٨ هـ) :

(١) انظر غريب الحديث للخطابي تحقيق عبد الكريم الزباوى ١٢٩/١ - والذي فى متنه
أنشدنى بعض أهل اللغة . وذكر المحقق أن الشطر الأول فى اللسان - أقول : وهو فى اللسان
(أزا) ٣٣/١٨ والذي استشهد به ابن برى ، ونسبه إلى عمارة ، ومجىء ابن برى به يرجع
أنه عمارة بن عقيل . وقد احتج ببيت عقيل بن بلال بن جرير (أواخر القرن الثانى) :

وما النفس إلا نطفة بقرارة إذا لم تكدر كان صفواً غديرها

عل أن القرارة (كسحابة) الموضع المظلم من الأرض يستقر فيه ماء المطر (نفسه ٢٠٢/٢)
(٢) انظر المجمل بتحقيق زهير سلطان ص ٢٩٤ واللسان (خطف) وقد أخذنا بالرواية
التي فيه بدل (انقد) فى المجمل . كما احتج ببيت بشار :

(أفى دولة المهدي حارلت غدرة) ألا إن أهل النذر آباؤك الكرد

لاسم الكرد (بالضم) ذلك الجنس من الناس . (المجمل ص ٧٨٣ . قال المحقق :
ينسب لبشار فى ملحق شعره - ٤٢/٤ . واحتج بقول العماني أيضاً :

حتى إذا ماء الصهاريج نشف

من بعد ما كانت ملاء كالزلف

عل أن الزلف بالتحريك الأجاجين الخضر جمع زلفة بالتحريك أيضاً ، وقد مر هذا

(انظر المجمل ص ٤٣٨) .

(وأن أمير المؤمنين أغصني مغمصهما) بالمرهفات البوارد (١)

١٢ - وأبو عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي (بعد ٤٠٠ هـ) احتج في معجمه كتاب الأفعال بقول أبي العميثل عبد الله بن خليل (٢٤٠ هـ):

هجأ الجود مادحيه فهم بن مضيف أعراضه ومضاف .

على قولهم هجأ الطعام الجوع : سكتنه . (٢)

١٣ - وأبو الحسن علي بن أحمد (بن سيدة) المتوفى (٤٥٨ هـ) احتج في معجمه « المحكم » بشعر المولدين في عدة مواضع ، منها قول أبي نواس (١٩٥ - ١٩٨ هـ) :

هل لك والهل خير فيمن إذا غبت حضر

في استعمال « هل » اسما مع إدخال (ال) عليها . (٣)

(١) انظر الصحاح (برد) وكذا اللسان (برد) ٤/٥٥ . واحتج إلى ذلك أيضاً :

- بشعر أبي العطاء السدي (١٨٠ هـ) في (حب) و (أم) .

- وبشعر أبي نواس الحسن بن هاني (١٩٥ - ١٩٨ هـ) في (يأيا) .

- وبشعر أبي محمد اليزيدي (٢٠٢ هـ) في (أير) .

- وبشعر بشر بن المعتز (٢١٠ هـ) في (ريج) و (هيش) .

- وبشعر أبي تمام (٢٣١ هـ) في (مضر) .

(انظر الصحاح في التراكيب المذكورة) .

(٢) انظر كتاب الأفعال للسرقسطي ١/١٣٠ ، ١٣٩ . كما احتج بشعري العمان بشأن

(هجف) على ماسبق في الجمهرة ، وبشأن (أخطف) على ماسبق في المجمل (كتاب الأفعال

١/١٥٧ ، ٦٨٤ على التوالي) ، وبقول عمارة بن عقيل :

حتى اكتسيت من المشيب عمامة غثراء أغفر لونها بخضاب

على أن الغرة (بالضم) كالغبرة ووصف المؤنث منها غثراء . (نفسه ٢/٣٧) .

(٣) انظر المحكم ٤/٧٥ . - واحتج - إلى ذلك أيضاً - :

- بشعر مطيع بن إلياس (١٧٠ هـ) في تركيب خشخ (نفسه ٤/٣٥٨) .

- وبشعر عمارة بن عقيل (٢٣٩ هـ) في تركيب (غثر) و (لسن) (المحكم ٥/٢٨٤ ولسان

العرب (لسن) ١٧/٢٧٢)

وجار الله الزمخشري (٥٣٨ هـ) — في «الفائق في غريب الحديث» له —
احتج لطبّية بالفتح اسم يثرب يقول ربيعة الرقي (٢٠٨ هـ) :
وطبّية في طبها سُمّيت بطبّية طابت فنعم المحل (١)

١٥ — وأبو محمد المقدسي عبد الله بن برى (٥٨٢ هـ) جاءت في
الذمر الذي طبع من التنبية والإيضاح له احتجاجات لغوية بشعر المولدين
منها قول أبي الطيب المتنبى (٣٥٤ هـ) :

في سرج ظامية الفصوص طمرة . . . يأتي تفردا لما التمثيلا . (٢)
ويقولون : « إنما قلت ظامية بالياء من غير همز لأنني أردت أنها ليست
برهالة كثيرة اللحم » — يعني لأنها عطشى — على أن (ظماء) في قولهم
عن الفرس : إن فصوصه لظماء هو من باب المعتل وليس من باب المهموز.
١٦ — وفي معجم «لسان العرب» لجمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري
(ابن منظور المصري ٧١١ هـ) (وهو جمع لما في التهذيب والصحيح
والمحكم والنهاية وتذييلات ابن برى على الصحيح) فيه غير ما ذكرناه من
الاحتجاجات بشعر الموالدين — احتجاجات بشعر :

— مطيع بن إلياس (١٧٠ هـ) في تركيب (حلا) .
— وأبي العطاء السندی (١٨٠ هـ) في (رخف ، رها) .

(١) انظر الفائق بتحقيق محمد أبي الفضل ٣٧٣/٢ . كما احتج للقرارة : المطمان يستقر
فيه ماء المطر يبيت عقيل بن بلال الذي أسلفناه (الفائق ١٨١/٣) ، واحتج للدغ (بالفتح
والكسر) شجر أخضر له ثمر أبيض ترعاه النحل — بقول خلف (١٨٠ هـ) :

حاتيك أو ععماء في أعلى الشرف تظل في الغيان والدغ الألف

(الفائق ٤١٩/٣) . واحتج بشعر لأبي العتاهية (٢١١ هـ) في جمع البئر على بشار .
(نفسه ٩٠/٤) ، وبشعر لدعبل بن علي الخزاعي (٢٢٠ هـ) في تفسير قول عمرو
ابن مسعود «قطعت نمرته» (نفسه ١٧٤/١ — ١٧٥) .

(٢) انظر التنبية والإيضاح ٢٣/١ . كما احتج بشعر بشار في تركيب (برأ) تأصيلاً
وربما في (ريب) أيضاً . (نفسه ٧١ ، ٨٩ على التوالي) ، وبشعر أشجع السلمي (نحو
١٩٥ هـ) في تركيب (طرمد) (نفسه ٧٠/٢) .

- وأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدى (٢٠٢ هـ) فى (عجه) ،
- وأبى تمام حبيب بن أوس (٢٣١ هـ) فى (بهرم) ،
- وأبى الطيب المتنبى (٣٥٤ هـ) فى (أول ، قوم ، بون ، رأى) ،
- والشريف الرضى (٤٠٦ هـ) فى (أبا) .

وأغلب هذه الاحتجاجات على الأقل جاء بها ابن برى .

ثانياً : فى مجال النحو وما إليه :

وقعت من أكثر أئمة اللغة فى هذا المجال احتجاجات بشعر المولدين تناول منها هنا ما تيسرت دراسته دون قصد إلى الإحاطة . ونجزمىء فى التمثيل لاحتجاجاتهم تلك بمثل واحد لكل منهم مشيرين إلى سائر مدرسته .

١ - فقد وقع فى « الكتاب » لسيبويه الاحتجاج فى النحو وما إليه بيت لخلف الأحمر (١٨٠ هـ) (١) ، وبآخر لمروان النحوى (نحو ١٩٠ هـ) (٢) ، وبثالث لأبان اللاحقى (نحو ٢٠٠ هـ) ، وهذا الأخير هو البيت المشهور:

حذر أموراً لا تخاف وآمن ما ليس منجيه من الأقدار

شاهداً لإعمال فعل (٣) . ومناقشة تلك الاحتجاجات لاتنفى وقوعها (٤)

٢ - ووقع فى « المقتضب » للمبرد (٢٨٦ هـ) الاحتجاج بيت خلف الذى احتج به سيبويه (٥) .

(١) بيت خلف فى الكتاب (هارون) ٢٧٢ / ٢ شاهداً لإبدال عين ضفادع ياء فى قوله «ولفسفادى جبه نقانق» .

(٢) فى الكتاب (هارون) ٩٧ / ١ وهو «ألقى الصحيفة . . . والزاد حتى نعله ألقاها» شاهداً لعمل حتى .

(٣) الكتاب هارون ١١٣ / ١ .

(٤) انظر تلك المناقشات فى تعليق المحقق على كل منها فى المواضع السابقة .

(٥) انظر المقتضب بتحقيق عضيمة ٢٤٦ / ١ - والتعليق الرابع قبل هذا - هنا .

٣ - ووقع في « الأصول في النحو » لابن السراج (٣١٦ هـ)
الاحتجاج ببیت مروان النحوى الذى احتج به سيبويه (١) .

٤ - ووقع في « كتاب المذكر والمؤنث » لأبي بكر بن الأنبارى
(٣٢٧ / ٣٢٨ هـ) الاحتجاج لتذكير الساطان بقول العماني (٢٢٨ هـ)

أو خفت بعض الجور من سلطانه
فدعه ينفذه إلى أوانه (٢)

- وله احتجاجات بمولدين آخرين (٣) .

٥/٦ - واحتج في « الجمل في النحو » لأبي القاسم الزجاجي (٣٣٩ هـ) ،

وشرحه لابن عصفور الأشبيلي (٦٦٩ هـ) ببیت اللاحقى ، وبیت مروان
اللذين احتج بهما سيبويه (٤) .

٧ - واحتج ابن جنى (٣٩٢ هـ) في « اللمع في العربية » ببیت مروان
النحوى الذى احتج به سيبويه (٥) ، وله احتجاجات أخرى بالمولدين (٦) .

(١) انظر الأصول بتحقيق الفتلى ١ / ٤٢٥ - والتعليق الرابع هنا قبل تعليقنا هذا .

(٢) انظر المذكر والمؤنث بتحقيق طارق الجنابى ٢١٠ وقد نسبته إليه الأنبارى صراحة .

(٣) احتج فيه (ص ٤٧٥) لتأنيث « بغداد » ونطقها بإعجام الذال الأخيرة بقول عمارة
(٢٣٩ هـ) :

ما أنت يا بغداد إلا سلح

وفيه كذلك (ص ٤١٥) احتجاج ببیت نسب إلى بشار وإلى آخرين ليسامولدين ، و(ص

٤٦٠) ببیت بين مسلم بن الوائد والتمى ، و(ص ٤٧٧) ببیت نسبته بين عمارة وأبي
العالية .

(٤) الجمل تحقيق د. على توفيق الحمد ٩٢ (اللاحق) ، ٦٨ (مروان) ، وشرحه
بتحقيق د. صاحب أبو جناح ١ / ٥٦٢ و ٥١٩ على التوالى .

(٥) اللمع بتحقيق فائز فارس والبیت ص ٧٨ .

(٦) احتج في المنصف : شرح التصريف للمازنى بقول عمارة (٢٣٩ هـ) .

أبت للأعادى أن تديخ رقابها

حيث خرج على قول البصريين في مثله من أن الجار والمجرور « للأعادى » تبين وليس

متعلقاً بالفعل تديخ ، لأن معمول الصلة لا يتقدم عليها . (المنصف تحقيق إبراهيم مصطفى

وعبد الله أمين ١ / ١٣٠) . وخرج ابن جنى (في الخصائص (النجار) ٢ / ٤١٣ وماتلها)

قول أبي نواس (نحو ١٩٩ هـ) .

كن الشنان فيه لنا كككون النار في حجره

على أنه من باب الحمل على المعنى ، وأجاز له وجهاً آخر .

٨ — والإمام أبو الحسن علي بن أحمد (الواحدى) (٤٦٨ هـ) احتج بشعر المتنبي حيث خرج تعديته الفعل « قاس » بإلى فى قوله :

بمن نضرب الأمثال أم من نقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر

بأن فيه معنى الضم والجمع ، كأنه قال من أضمه إليك فى الجمع بينكما والموازنة ، وقيل بتضمن قاس معنى الانتهاء أى منتهياً إليك (١) .

٩ — وأبوزكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزى (٥٠٢ هـ) خرج قول البحرى (٢٨٤ هـ) « مستفاض » ، وعد الشهاب الخفاجى تفسيره لقول أبى تمام (٢٣١ هـ) تجاوزنى عنه (بمعنى نحانى عنه) وعدم نقده حجة فى قبول ذلك التعبير وصحته (٢) .

١٠ — واحتج أبو محمد عبد الله بن محمد (بن السيد البطليوسى ٥٢١ هـ) بشعر المتنبي فى إضافة آل إلى الضمير وجعل عدم نقد الأئمة الذين تعرضوا لشعره إياه فى ذلك التعبير حجة وإجازة له (٣) .

١١ — واحتج جابر الله الزمخشري (٥٣٨ هـ) بقول أبى تمام :
هما أظلما حالى ثمت أجليا ظلما بهما عن وجه أمرد أشيب .
لتعدية الفعل أظلم . وقال فيه أجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه (٤) .

١٢ — وأبو السعادات هبة الله بن الشجرى (٥٤٢ هـ) احتج بشعر أبى نواس (١٩٨ هـ) ، وأبى المنهال (نحو ٢٢٠ هـ) ، وابن المعتز (٢٩٦ هـ) ، والمتنبي (٣٥٤ هـ) وابن نباتة السعدى (٤٠٥ هـ) فى مسائل فصلناها فى مكان آخر . ومنها احتجاجه لجمع كسرى لقب ملك الفرس على كسور بقول ابن نباتة فى مدح بهاء الدولة أبى نصر وابنه منصور :

(١) انظر شفاء الغليل للخفاجى ٢١٥ .

(٢) انظر شفاء الغليل ١٩٩ بشأن « مستفاض » ، ٩٤ بشأن « تجاوزنى عنه » .

(٣) انظر القياس للشيخ محمد الحضر حين ٣٧ - ٣٨ .

(٤) انظر تفسير الكشاف ١/١٦٩ .

وتفرست فيه غير محاب (أنه) كائن أبا للكسور (١)

١٣ — وأبو محمد عبد الله بن أحمد (ابن الحشاب) (٥٦٧ هـ)
خرج بيت أبي نواس :

غير مأسوف على زمن ينقضى بالهم والحزن

ولم يخطئه ، وعدّ عدم نقده للحريري (٥١٦ هـ) في ثنيتته المشترك
قصداً إلى معنيين إجازة وتصحيحاً له (٢) .

١٤ — والحسن بن صافي (ملك النحاة) (٥٦٨ هـ) خرج بيت
أبي نواس « غير مأسوف . . » ولم يخطئه (٣) .

١٥ — واحتج الإمام يعيش بن علي (بن يعيش) (٦٤٣ هـ) بيت
ربيعة الرقي (١٩٨ هـ) :

لشأن ما بين الزيد بن الندي يزيد سليم والأغر ابن حاتم
على صحة أسلوب شأن ما بين زيد وعمرو ، وخرج بيت أبي نواس
« كأن صغرى وكبرى . . » ولم يخطئه (٤) .

١٦ — وخرج الإمام جمال الدين أبو عمرو (بن الحاجب) (٦٤٦ هـ)
بيت أبي نواس « غير مأسوف . . » ولم يخطئه (٥) .

١٧ — واحتج الإمام محمد بن عبد الله (بن مالك) (٦٧٢ هـ) بشعر بشار

(١) في احتجاجه بشعر أبي نواس انظر أماليه ٣٢/١ - ٣٣ حيث خرج بيت أبي نواس
ولم يخطئه ، وبشعر أبي المهال أماليه ٢١٥/١ ، وبشعر ابن المعتز الأمالي ٥٩/١ - ٦٠ (مع
وصفه بأنه محدث) ، وبشعر المتنبّي في الأمالي ٢٨١/١ - ٢٨٢ وبشعر ابن نباتة في الأمالي
الشجرية أيضاً ٩٥/١ .

(٢) انظر المغني (محي الدين) ١٦٠ و ٦٧٦ في تخريج ابن الحشاب لبيت أبي نواس ،
والدرر اللوامع ١٧/١ - ١٨ في بيت الحريري واعتداد عدم نقد ابن الحشاب إجازة لما فيه .

(٣) انظر الخزانة (هارون) ٣٤٥/١ .

(٤) انظر بشأن بيت ربيعة شرح المفصل ٣٧/٤ ، وبشأن بيت أبي نواس نفس الشرح
١٠٠/٦ .

(٥) انظر المغني (محي الدين) ١٦٠ - ٦٧٦ .

(م ١٤ — الاحتجاج بالشعر في اللغة)

وأبي نواس ، وأبي عطاء السندی (١٨٠ هـ) والعتبي (٢٢٨ هـ) : وأبي العلاء المعري (٤٤٩ هـ) في عدة مسائل منها احتجاجه ببيت العتي :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فأعرضن عني بالحدود النواضر
على إظهار الضمير في الفعل عند إسناده إلى الظاهر غير المفرد (١) .

١٨ — واحتج الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (٦٨٦ هـ) بشعر بشار ، وأشجع السلمى (نحو ١٩٥ هـ) وأبي نواس ، وزبيعة الرقي ، وأبي محمد اليزيدي (٢٠٢ هـ) ، ومحمد بن ذؤيب العماني (٢٢٨ هـ) وأبي تمام ، وأبي العميش (٢٤٠ هـ) ، والمتنبى (٣٥٤ هـ) في مسائل شتى منها احتجاجه بقول المتنبى :

إنما أنفس الأنيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالاً

على أصالة همزة إنسان (٢) .

١٩ — والإمام أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥ هـ) خرج بيت أبي نواس « غير مأسوف . . » ولم يخطئه (٣) .

٢٠ — واحتج الإمام عبد الله بن يوسف (بن هشام) (٧٦١ هـ) بشعر مطيع بن إياس (١٧٠ هـ) ، وأبي نواس (ثلاثة شواهد) وأبي عطاء السندی ، وزبيعة الرقي ، ودعبل (٢٢٠ هـ) وأبي المنهال (٢٢٠ هـ) ، والعماني ، والعتبي (٢٢٨ هـ) ، وأبي تمام ، وابن المعتز (في شاهدين) ، والمتنبى ، وأبي فراس الحمداني (٣٥٧ هـ) ، وأبي العلاء (٤٤٩ هـ) ،

(١) انظر في هذا شرح الكافية الشافية لابن مالك ٥٨٠/٢ ، ٨٤٣/٢ - ٨٤٤ في الاحتجاج ببيت بشار ، والمساعد (شرح التسهيل) ٧٣/١ في الاحتجاج ببيت أبي العطاء ، وشرح الكافية الشافية ٣٥٥/١ - ٣٥٦ في الاحتجاج بشعر المعري .

(٢) في احتجاجه بشعر بشار انظر شرح الكافية ٢١١/١ ، وبشعر أشجع الخزاعة (هارون) ٢٩٥/١ ، وبشعر أبي نواس الخزاعة (هارون) ٣٤٥/١ ، (بولاق ١٧١/٣) ، وبشعر زبيعة في الخزاعة (هارون) ٢٥٧/٦ ، وبشعر اليزيدي شرح الكافية ٣٧٠/٢ ، والعماني في الخزاعة (هارون) ٢٣٧/١٠ ، وأبي تمام شرح الكافية ٩٧/١ ، وأبي العميش الخزاعة (هارون) ٥٩/٥ .

(٣) انظر الخزاعة (هارون) ٣٤٥/١ .

والقاسم بن علي الحريري (٥١٦ هـ) في مسائل شتى ، منها احتجاجات أصيابة ، ومنها تخريجات . ومن أمثلة ذلك احتجاجه ببيت أبي المنهال :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمي إلى ترجمان (١)

٢١ - واحتج الإمام عبد الله بن عقيل (٧٦٩ هـ) بشعر أبي عطاء السندی (في أكثر من شاهد) والإمام الشافعي (٢٠٥ هـ) والعتبي (٢٢٨ هـ) وأبي العميل ، والشريف الرضي (٤٠٦ هـ) ، وأبي العلاء المعري . وهذا شاهد الشافعي في إعراب قبل وبعد :

قبل وبعد كل قول يغتم حمد الإله البر وهاب النعم (٢)

٢٢ - وزكى بدر الدين الدماميني (محمد بن أبي بكر ٨٢٧ هـ) تنية أبي العلاء للمشارك بقصد معينين لأنه أتبعه بتفصيل يوضحه . وهو قوله :

ألم تر في جفني وفي جفن منصلي

غرارين : ذا نوم ، وذاك مشطب (٣)

٢٣ - واحتج أبو الحسن علي بن محمد (الأشموني) (نحو ٩٠٠ هـ) بشعر أبي نواس ، والعماني ، والعتبي ، وأبي تمام ، وعمارة بن عقيل ، والشريف الرضي ، وأبي العلاء . وبيت الشريف عنده هو :

أتيت ريان الجفون من الكرى وأبيت منك بليلة الملسوع (٤)

(١) بشأن احتجاجه بشعر مطيع انظر المغني (محي الدين) ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ولأبي نواس المغني ١٦٠ و ٦٧٦ مثلاً ، ولأبي عطاء المغني ٤٢٦ ولربيعه شذور الذهب ٤٠٤ ، وللعيل أوضح المسالك ١٢٠/٢ - ١٢٣ ، ولأبي المنهال المغني ٣٨٨ ، ٣٩٥ ، والشذور ٤٥ وللعماني المغني ١٩٣ ، وللعبي الشذور ١٧٩ ، ولأبي تمام الشذور ٥٣ ولأبي المعتز المغني ٢٨٥ وللمتنبى المغني ٢٤٠ وللحمدي أوضح المسالك ٩٨/٢ - ١٠٢ ، ولأبي العلاء أوضح المسالك ٢٢١/١ - ٢٢٣ ، وللحريري المغني ١٩٢ .

(٢) لشاهد السندی انظر المساعد ٧٣/١ مثلاً وللشافعي ٣٥٠/٢ - ٣٥٢ ، وللعبي ٣٩٣/١ ولأبي العميل ٢٢٧/١ وللشريف الرضي ٩١/٣ ، ولأبي العلاء ٢٠٩/١ .

(٣) انظر الدرر اللوامع للشنقيطي ١٧/١ - ١٨ .

(٤) لأبي نواس الأشموني مع الصبان ١٩١/١ ، وللعماني الأشموني ومع واضح المسالك ١٥٧/١ ، ٥٣٦ - ٥٣٥ وللعبي (نفسه ١١٦/٢) ولأبي تمام الأشموني مع الصبان ١٥٧/١ ، وليمارة (نفسه ٨٠/٤) وللشريف الرضي (نفسه ٣٠٧/٣) ولأبي العلاء (نفسه ٢٦٨/١) .

٢٤ — واحتج الشيخ (خالد) بن عبد الله الأزهرى (٩٠٥ هـ) بشعر
دعبل . وبيت دعبل هنا :

ولما أبى إلا جماحا فؤاده

ولم يسئل عن ليلى بئال ولا أهل (١)

٢٥ — واحتج الإمام السيوطى (٩١١ هـ) بشعر أبى نواس ، واليزيدى ،
ودعبل ، وأبى المنهال ، والعماني ، والشريف الرضى (٢) .

٢٦ — وقد رد العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطى (١٣٣١ هـ) تغليطهم
الحريرى فى ثنية المشترك قصدا لمعنيين (٣) .

وبعد، فلعله وضح فى ضوء ذلك الموقف النظرى (لبعض أئمة اللغويين)
والتطبيقي (لجمهورهم) — بالاحتجاج بشعر من وثقوا فى فصاحته ، أنه
ينبغى أن نعيد النظر فى معيار الفصاحة أو السلامة اللغوية بحيث لا يحكم
على كل جديد فى اللغة بأنه مواد بمعنى أنه خطأ مرفوض . بل ينبغى أن
نترجم ذلك الموقف التطبيقي لأئمة اللغة فى معيار يقول إن الجديد يقبل من
« علماء اللغة » الموثوق بفصاحتهم وأمانتهم — وهم أهل الأصالة العربية
فقها وولاء وانتماء من شعراء ولغويين ، وبشرط أن يكون ما يأتى به هؤلاء
وأولئك متفقا مع الأصول العربية فى كل مجال من مجالات التجديد بحسبه :
فى صوغ الصيغ الجديدة مثلا يراعى أشهر ما استعملت فيه الصيغة من معان
وفى تحديد دلالات جديدة يراعى أن تكون الدلالة الجديدة للفظ ما ذات
صلة حقيقية ووثيقة بالمعنى العام لتركيب اللفظ أو بمعنى أحد استعمالاته .

(١) بيت دعبل فى التصريح (عيسى الحلبي) ٢٨٢/١ .

(٢) لأبى نواس انظر الدرر ٧٢/١ واليزيدى المجمع (مكرم) ٢١١/١ ولدعبل (نفسه

٢٦١/٢) ولأبى المنهال (نفسه ٥٥/٤) وشرح شواهد المفتى ٨٢١ وللعماني المجمع (مكرم)
١٥٦/٢ وللشريف (نفسه ١٢٧/٤) .

(٣) الدرر اللوامع ١٧/١ - ١٨ .

الأصيلة، وفي الاستعمالات التركيبية الجديدة ينبغي أن تكون تلك التركيبات الجديدة متفقة مع منهج العربية في التعدية والتضمين ونيابة الحروف بعضها عن بعض مثلاً، وفي الاستعمالات الدلالية الجديدة ينبغي أن يكون الاستعمال الجديد قوى الصلة بالمجال الدلالي القديم للتركيب . . . وهكذا .

• فلنتخذ قولة ابن جني : « أقوى القياسين أن يقبل ممن شهرت فصاحته ما يورده » (١) أساساً لهذا المعيار الجديد ، ثم لنحرس هذا الأساس بضرورة الالتزام بأصول العربية .



(١) سبقت هنا بأوسع من هذا وهي في الخصائص ٢/٢٧ .

الباب الثامن

تحقيق ... واستخلاص

الفضل الأول

تحقيق وقوع الاحتجاج بما جاوز النطاق الزمني

قبل أن نستخلص دلالة كل تلك الاحتجاجات بما خرج عن النطق المضروبة حول معيار الاحتجاج علينا أن نواجه ما قد يثور من شبهات بشأن تلك الاحتجاجات من حيث كونها احتجاجات حقيقية فعلا أو غير ذلك . وسنفصل هذه المواجهة في نقاط ..

أولا : من حيث تحقيق دخول شواهد المولدين تلك في مجال « إثبات القاعدة » الذي يمثل حقيقة معنى الشاهد .

(١) فلقد أسلفنا أن عبارة « إثبات القاعدة » في التعريف الاصطلاحي للشاهد تشمل إثبات الجزئي الذي يكون في صورة قسم مما تنطبق عليه القاعدة .

ولدينا في ما أوردناه من شواهد المولدين عدة استشهادات تدخل في هذا النوع :

— منها الاستشهاد بقول بشار « خرجت مع البازي على سواد » حيث دار الأمر — في حالة انفراد الضمير بالربط في الجملة الحالية التي ليس مبتدؤها ضمير صاحب الحال — بين كون الضمير في ما صدرت به الجملة ، وكونه في آخرها ، ثم — في حالة كونه في ما صدرت به — بين كونه في المبتدأ نحو كلمته فوه إلى في ، وكونه في الخبر كقول بشار « خرجت مع البازي على سواد » فالإعراض عن قول بشار هذا لأنه محدث يحرم اللغة

من استيفاء هذا التسميم وهذه الصورة - على الأقل إلى أن يجد لها النجاة
شاهدا أصيلا .

- وكذلك الأمر في استشهاد ابن الشجرى بقول المتنبي « أجاب كل
سؤال عن هل بلم » فقد قسم هو صور إعراب الحروف إذا استعمات أسماء
إلى ما أعرب ونون ، وما أعرب ونون وشدد ، وما جمع فيه الألف
واللام مع التشديد . ثم لم يأت بشاهد للحرف الثنائي (غير مشدد) معربا
منونا (أو غير منون) إلا قول المتنبي ذاك . والإعراض عنه يخلى الصورة
من شاهد ، ويبطل الحكم والقسمة معاً .

- ويمكن أن ندخل في هذه الصورة ما جاء في شعر المعري من ذكر
خبر المبتدأ الواقع بعد لولا في قوله « فلولا الغمد يمسكه لسالا » إذا
كان الخبر كونا خاصا كما في قوله هذا . ووقوع الخبر كونا خاصا قسم
مهم في هذه المسألة وهذا الأسلوب ؛ لأن أكثر الأشياء - في الحياة الواقعية
التي تعبر عنها اللغة تؤثر بما تفعل - وهو الكون الخاص ، لا بمجرد وجودها -
وهو الكون العام . ولما كان الكلام موضوعا للإفادة فإنه ينبغي أن يتناول
هذه الصورة المهمة . ومن التحكم والإساءة إلى اللغة أن ينكر أسلوب
ذكر الخبر في حالة الكون الخاص هذه رغم وروده في شعر المعري
هذا (١) ، ويرغم الناس على الاختصار على أسلوب الكون العام ويطالبون
بتأويل قول المعري وما مثله ليعود إلى صورة الكون العام ، أو بتخبطه
هذا الأسلوب .

(ب) وأسلفنا أن من إثبات القاعدة إثبات الصورة الجديدة لما تنطبق
عليه القاعدة .

• ولدينا في ما أوردناه من شواهد المولدين عدة استشهادات من

(١) هناك شاعر آخر جاء به ابن مالك لأبي عطاء السدي « لولا أبوك ولولا قبله عمره
ويلحظ أن الخبر هنا ظرف وهو حتى بصرف النظر عن متعلقه - قريب من الكون العام .
فبيت المعري مازال هو الشاهد الرئيسي لصورة الكون الخاص . وانظر المسألة في كلامنا
السالف عن الاحتجاج بشعر المعري .

هذا النوع : صور جديدة لاستعمالات سائغة الأصل ، لكن هذه الصور جديدة ولم يسبق لها شواهد :

- ومن ذلك ما جاء في قول أبي نواس « غير مأسوف على زمن ينقضى .. »
فإنه صورة جديدة (١) لنحو قولهم « ما مأسوف على بكر » إذ هو يساويه
كما قال ابن الشجري ، وكذلك قول بشار « ردوا فوالله ما ذ لناكم أبدا »
فإنه صورة جديدة لنفي جواب القسم بما كما ينفي بـ « لا » و « إن » (٢) .
وكذلك قول المتنبي « إذ حيث كنت من الظلام ضياء » . والجديد فيه
هو استعمال إذ بحيث تصلح للظرفية والتعليل في إضافتها لهذه الجملة
الاسمية (٣) . فالاستشهاد في كل هذا على وجهه ، ولا ينبغي أن يستبعد
أو يغفل لأنه صورة لأصل معترف به . وجدة الصورة لا تخرجها عن
الأصل . هذا إلى أن هذه الجدة إضافة قيمة إلى اللغة لا ينبغي إهدارها .

(ج) وأسلفنا أيضا أن من صور الاحتجاج بالشواهد الإتيان بها
لتخريج ما يبدو فيها مخالفا لما تقرر أو تأويله وما إلى ذلك من صور
التوجيه ، وذلك لبيان عدم مخالفته في آخر الأمر : كتخريج ابن جني
قول أبي نواس « ككمون النار في حجيره » يعني في حجرها بأنه من الحمل
على المعنى أي النور والضياء (٤) - ولو قدر ابن جني اللهب لكان أقرب ،

(١) انظر الكلام على « غير مأسوف .. » في الاستشهاد بشعر أبي نواس وقد أسلفنا
هناك قول أبي حيان إنه لم يمر به نظير في الإعراب لبيت أبي نواس هذا إلا للمتنبي وهو بعد
أبي نواس بأكثر من قرن ونصف .

(٢) انظر الموضع في الاستشهاد بشعر بشار وتتمثل جدته في انفراده والسبق به .

(٣) انظر الموضع في الاستشهاد بشعر المتنبي وتبدو جدته في أفراد ابن هشام وإياه

بتنبيه خاص .

(٤) اختلفوا في إجازة ارتكاب الشعراء المولدين للضرائر الشعرية فأجاز ذلك أبوعل

وابن جني (انظر الحصائص ١/ ٣٢٣ تجد باباً خاصاً بهذه المسألة) وفي شرح ابن يعيش

١٠٢/ ٦ (هامش) : قال الأندلسي . . إن المولد لا يسوغ له استعمال شيء على خلاف القياس

للضرورة إلا أن يرد به سماع فيتوقف فيه على محل السماع ولا يقاس عليه . . . أما الاحتجاج

فقال ابن الأثير إن مجيء لضرورة شعر أو إقامة وزن أو قافية فلا حجة فيه « الإنصاف

في مسائل الخلاف ٦٢٨ .

« والحمل على المعنى في هذه اللغة واسع جدا » كما قال ابن جني (١)، وليس مقصورا على تذكر المؤنث كما في المثال أو عكسه بل منه صور أخرى كحمل الواحد على الجماعة وعكسه (٢)، وغير ذلك (٣).

وكتخريجهم قول أبي نواس أيضا « غير مأسوف على زمن » بأنه بمعنى ما مأسوف، وتخريجهم تعدية أبي نواس والمنتبي (قاس) بإلى بالتضمين، وقول البحتري (مستفاض)، وقول المنتبي « فلا الحمد مكسوبا » ومن ذلك أيضا تصحيح الخفاجي لاستعمالات ألفاظ (السياق) (٤)، و (الشُّبَّاءُ) للنافذة (٥)، والمشبك (كمعظم) لنوع من الحلوى (٦)، و (التشويش) (٧) بمعنى التهويش، و (المنضولي) بمعنى المتطفل (٨)، و (الملاقي) (٩)، و (المنصب) : ما يتولاه الرجل من العمل (١٠)، و (الملقة) : الماء في منخفض من الأرض (١١) و (المشق) لنوع من الخط (١٢) و (المقامة) للنوع الأدبي المعروف (١٣)، و (الناموسية) الكنة (١٤)، والنظارة بمعنى الإدارة أو الوزارة (١٥) — وقد صحح كلامها بعد تحليله وبيان وجهه — وليس من التجاوز أن ندخل في هذا النوع أعني ما صحح بعد تخريج وتوجيهه — العبارات والتركيب التي تحمل على ما خرج بقولهم (وحملوا عليه) كذا، أو (وعليه قوله). ونحو ذلك.

(١) الخصائص ٤١٣/٢ .

(٢) نفسه ٤٢٣/٢ .

(٣) انظر الخصائص ٤١٩/٢ .

(٤) انظر الخصائص ٤٢٣/٢ — ٤٣٥ .

(٥) الشفاء للخفاجي ١٥٦ .

(٦) نفسه ١٥٧ .

(٧) الشفاء ١٦٠ .

(٨) الشفاء ٢٠٥ .

(٩) الشفاء ٢٣٣ .

(١٠) الشفاء ٢٣٦ — ٢٣٧ .

(١١) نفسه ٢٣٨ .

(١٢) الشفاء ٢٤٣ .

(١٣) الشفاء ٢٤٧ .

(١٤) نفسه ٢٥٨ .

(١٥) الشفاء ٢٦٧ .

(د) وهناك حالة ليست من إثبات القاعدة بصورة واضحة ، ولكن لها أهمية تضارع إثبات القاعدة : وهي ما جرى به من شواهد المولدين لأساليب خارجة عن الأصل ، لكنها سائغة وشائعة كما في قول أبي نواس :

كأن صغرى وكبرى من فمافهما

حيث استعمل فعلى (بالضم) نكرة ، وهي ينبغي أن تعرف ، وخرج على أنه لم يرد بفعل هنا التفضيل ، وإنما أراد الصنعة المشبهة باسم الفاعل أى أن (صغرى وكبرى) هنا بمعنى صغيرة وكبيرة ، وأبو نواس مسبوق في هذا بنظائر كثيرة منها قول المرقش الأكبر :

وإن دعوتٍ إلى جُلَى ومكرمة يوم سَراة كِرام الناس فاذعينا (١)
• وكالذى روى من أن أبا الدقيش لما قال ردأ على سؤال (هل لك فى . . . ؟) : (أشدُّ الهلِّ وأوحاه) - فاستعمل (هَلْ) اسما ، وضعف لامها وأدخل عليها أل - تلاه أبو نواس فقال :

(هل لك والهل خير) (٢)

• وكالذى جاء عن ابن المعتز مما ظاهره إضافة (إذ) إلى المفرد فى قوله :

والعرش منقلب إذ ذاك - أفنانا

مع أنه فى الحقيقة جملة والتقدير « إذ ذاك كذلك (٣) » .

• وكالذى جاء من إعمال المنبى لافى المعرفة فى قوله :

فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

وتبين أنه مسبوق فى هذا بقول النابغة :

(١) انظر شرح الفصل ٦/ ١٠٠ - ١٠٣ .

(٢) انظر ل (هلل) ١٤ / ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٣) انظر المنى (محبى الدين) ٨٤ .

وحلت سواد القلب . لا أنا باغيا . سواها ، ولا عن حبها متراخيا (١)
فهذه وأمثالها — وقد ذكرنا أن لها شواهد أصيلة صحيحة — ورودها
يقوى تلك الظواهر ، ويخرجها من حد الندرة إلى حد ما يسمى سنن
العرب في كلامها ، وهذه إضافة طيبة ؛ مادامت تلك الظواهر أو السنن
لا تنافي — كما رأينا — القواعد العامة للغة ، ولكنها تمثل تيسيرا نحن في
حاجة إليه . فنحن مثلا كثيرا ما نستعمل صيغة فعلى نكرة فنقول دولة
عظمى وصغرى وجائزة كبرى ويد طولى الخ . فإجازة هذا الأسلوب —
على تأويل الصيغة فيه بالصفة المشبهة — وله سند كما أشرنا — أيسر
وأقوم من تخطئته . وكذلك الأمر في أسلوب « إذ ذاك » وهو أشيع من
الأسلوب السابق ، وكذلك أعمال لا العاملة عمل ليس في المعارف فيه تيسير
ظاهر — مع أنه مذهب ابن جنى وابن الشجرى (٢) .

وقيمة شواهد المولدين في هذا أنها هي التي تكسب مثل تلك الأساليب
النادرة شيوعا ينقلها إلى مستوى الأساليب الجارية .

ثانيا : من حيث الأخذ باحتجاج إمام بشاعرا ما أوثقته له :

لقد مر بنا في الكلام عن النطاق الزمني لتناج الاحتجاج أن هناك من
الأئمة من ذهب إلى أنه يحتج بشعر من يوثق بفصاحته من المولدين ، وأن
الزحشرى اختار هذا المذهب ، وتبعه الرضى .

وأقول الآن إنه في ضوء هذا ليس من الضروري أن يجمع الأئمة على
الاحتجاج بشعر شاعر مثلا ، ليقبل الاحتجاج بشعره بل يكفي للاعتراف
بفصاحته ولقبول الاحتجاج بشعره . أن يوثق فصاحته إمام أو فريق من
اللغويين ، مادامنا نربأ بهم جميعا أن يتهم أى منهم بالتهاون في ذلك الوثيق .

— ولدينا من هذا النوع من الاحتجاجات الكثير : كاحتجاج بعضهم
لتجرد « ثم » من الدلالة على الترتيب بقول أبي نواس « إن من ساد ثم

(١) انظر معنى اللبيب (محيى الدين) ٢٤٠ .

(٢) انظر الموضع السابق .

ساد أبوه « : وكاحتجاج البصريين لإجازة تقديم المفعول المحصور بإلا على فاعله بقول دعبيل « ولما أبي إلا جماحا فؤاده » وكاحتجاج الكوفيين لحجيء « كأن » بمعنى التقريب بقول الحريري « كأنى بك تنحط » (١) الخ .

وقد ذكرنا من قبل أئمة اللغة والنحو الذين احتجوا بأشعار المولدين وقد بلغ أئمة اللغة الذين وقع منهم ذلك ستة عشر إماما ، وبلغ أئمة النحو ستة وعشرين إماما .

ووقوع تلك الاحتجاجات منهم هو توثيق عملى لكل من احتجوا به ، وسيأتى ما ذكرناه من توثيقات صريحة ، وإنما المقصود هنا أنه ينبغي أن نثق نحن في أولئك الأئمة وأمانتهم ، ولأننا ننظر إلى هذا الذى عمله جمهور المشهورين منهم بارتياح أورد . لأن هذا معناه سوء الظن بهم وبدرجة فقههم لعملهم . ولا يبقى مع هذا الموقف من جمهور الأئمة ما يوثق به .

ثالثا : من حيث دلالة عبارة الإمام اللغوى — حين يورد بيتا — على أن مقصوده به هو الاستشهاد أو التمثيل فقط .

والذى أثار هذه المسألة هو ملاحظة بعض شراح الشواهد لها في شروحهم بنى الاستشهاد وتفنيده بالقول بأن الشاعر قائل الشاهد مولد أو محدث لا يحتاج بشعره ، وأن الإمام النحوى أو اللغوى إنما ذكر البيت تمثيلا أى لا استشهادا . وقد ردد البغدادى — وغيره — ذلك (٢) ، وتكلف البغدادى له تأصيلا في كلام الرضى في بعض المواضع ، فقال بصدد استشهاد الرضى بيت أبى نواس — وعبارة الرضى « وأجرى غير قائم الزيدان مجرى ما قائم لكونه بمعناه قال :

غير مأسوف على زمن ينقضى بالهم والحزن (٣)

(١) انظر ما أسلفناه في الاحتجاج بشعر أبى نواس ، ودعبيل ، والحريري .
(٢) انظر الخزانة (هارون) ٣٤٥/١ ، ٢٩٥ ، ٤٤٩/٣ ، وانظر أيضاً شرح شواهد المفنى ٢٤٨ (تعليق السيوطى على شاهد لابن المعتز ، وتعليقات الشيخ محيى الدين فى أوضح المسالك ١٢١/٢ وشنور الذهب ٢١٠ ، ٢٣٦ .

(٣) شرح الكافية ٨٧/١ وفى البيت « الزمن » بدل « زمن » .

١ هـ كلام الرضى . قال البغدادى فى الخزانة بعد ذكر البيت : «أورده مثالا لإجراء (غير) قائم الزيدان مجرى (ما) قائم الزيدان لكونه بمعناه» وبعد أن ساق تخريجات البيت قال : (وهذا البيت لأبى نواس ، وهو ليس ممن يستشهد بكلامه ، وإنما أورده الشارح مثالا للمسألة . ولهذا لم يقل (كقوله) (١) ١ هـ المراد .

- ولك أن تعجب أولا لقوله أورده مثالا مع أن الشارح قد جاء بالمثال الذى يغنى عن البيت لو أن هدفه التمثيل وهو غير قائم الزيدان وهذا المثال كافى فى هذا الموضع لأن الفرق بينه وبين البيت معروف فى غير هذا الباب : أن اسم الفاعل يطالب فاعلا واسم المفعول يطلب نائب فاعل وأنه إذا غاب المفعول ناب الجار والمجرور عن الفاعل . هذا - مع الظن بأن البغدادى لم ينظر إلى هذا الفرق ، وإلا لكانت عبارته - «أورده مثالا آخر أو تنويها للأمثلة» مثالا .

- ثم لك أن تعجب ثانية لقوله : «ولذلك لم يقل» كقوله» فهذا ولاشك وهم من الإمام البغدادى ؛ لأن الرضى لم يلتزم فى الشواهد أن يقول «كقوله» بل كان يستعمل عبارات متعددة مثل «كما فى قوله» ، قال ، كقوله ، فى نحو قوله «(٢)» ، كما أن الرضى لم يتجنب عبارة «كقوله» عند الاستشهاد بشعر (المولدين) فقد استعملها فى شعر المتنبى مثالا فى موضعين فى شرحه للكافية : «والمكنى عنه إن كان لفظا . . . فقد يكون المراد معنى ذلك اللفظ كقوله :

كأن فعلة لم تملأ مواكبها . . . ديار بكر ولم تخلع ولم تهب «(٣)

(١) الخزانة (هارون) ٣٤٥/١ .

(٢) مثالا «كما فى قوله» «ولا أرض أبقل إبقالها» شرح الكافية ١٤/١ ، وكذلك ٢٧/١ أدنو فأنظور ، ب - «قال» ١٤/١ قال «أقل اللوم عاذل والعابن» ٣٢/١ «قال» فى كلت رجلها سلامى واحدة ، ٣٣/١ «قال تعالى كلنا الجنة» «لأن واحدة (يعنى ذوو) ذو قال ولكنى أريد به الذوينا» . ج - «كقوله» ١٥/١ «كقوله» وقائم الأعماق خاوى المحترق ، د - «فى نحو قوله» ١٥/١ «وكذا التصغير فى نحو قوله يا ما أميلح . . .» «وإعراهما فى نحو قوله تداعين باسم الشيب» الخ .

(٣) شرح الكافية ٩٣/٢ .

اهـ والبيت للمتنبي . وجاء في باب التعدية : « ولا حصر لتعدية حروف
الجر فعلا واحداً ، بل يجوز أن يجتمع على فعل واحد كثير منها ، كقوله :
خرجت إلى أقطاعه في ثيابه . . . على طرفه من داره بحسامه . (١)
اهـ والبيت للمتنبي أيضاً . ومن المسلم أنه استعمل غير هذه العبارة أيضاً
ومن ذلك قوله : « وقد جاء فما لقم قال المتنبي :

« وقبلتني على خوف فما لقم » (٢)

ومما يؤكد أن الشيخ البغدادى قد وهم في موقفه هذا أن كثيراً من النحاة
يستعمل عبارة « كقوله » قبل شواهد المولدين وغيرهم على السواء . جاء في
شرح الكافية الشافية لابن مالك « . . والحذف كقول المعري في صفة سيف . . .
فلولا الغمد بمسكه لسالا » (٣) وجاء في شرح الأشموني « . . . والرابع
الاستفهام كقوله (أى الشريف الرضى) .

أنبت ريان الجنون من الكرى وأبيت منك بليلة الملسوع » (٤)

وجاء في أوضح المسالك لابن هشام بشأن جواز تقديم المفعول المحصور
بإلا على فاعله « كقوله (وهو دعبل) :

« ولما أبى إلا جماحا فؤاده » (٥)

وفي ذلك الاتجاه نفسه نقد البغدادى الرضى لأنه قدم بيت أشجع السلمى
(أواخر القرن الثانى) :

كان لم يمت حتى سواك ولم تقم على أحد إلا عليك النوائح .

(١) نفسه ٢٧٤/٢ .

(٢) شرح الرضى للكافية ٢٠٢/١ - ٢٠٣ و صدره : قبلتها ودموعى مزج أدمعها
وفي ٣١٠/٢ عبر بقوله « كما قال » .

(٣) شرح الكافية الشافية ٣٥٥/١ - ٣٥٦ .

(٤) شرح الأشموني ٣٠٧/٣ .

(٥) أوضح المسالك ، ومعه عدة السالك محيى الدين ١٢١/٢ .

الذى جاء به الرضى استشهاده لإضمار عامل آخر للمرفوع الواقع بعد إلا معمولاً لما قبلها — أى قامت النوائح — نقده البغدادي لأنه قدم بيت أشجع وهو ليس ممن يحتج بكلامه فكان ينبغي تأخيرُه عن البيت الذى بعده» (١)

وقد مر بنا أن ابن هشام ذكر بيت دعبل الخزاعى « ولما أبى إلاجماحا فؤاده » مع بيت للمجنون، وآخر لزهير — حجة لإجازة البصريين والكسائي والفراء وابن الأنباري تقديم المفعول المحصور بإلا على الفاعل : وأن ابن هشام قدم بيت دعبل (٢٢٠هـ) على بيت المجنون (٥٨٠هـ) . وعلى بيت زهير الجاهلي . مما قد يعنى أن ابن هشام والرضي لا ينظران إلى شواهد (المولدين) نظرة البغدادي نفسها .

بل إن البغدادي نفسه علق على احتجاج الرضى لانصراف الماضي المنى بلا في جواب القسم إلى الاستقبال بقول المؤمل (١٩٠هـ) :

حسب المحبين في الدنيا عذابهم والله لا غلبتهم بعدها سقر

علق على ذلك بقوله (فعلى) هذا يجوز أن يقال : والله لا قام زيد . نص عليه ابن السراج (٢) ومعنى هذا أن البغدادي قبل احتجاج الرضى هذا بشعر المؤمل قبولاً كاملاً .

والكلام في إيجاءات عبارة الرضى أو غيره بحجة وجود عبارات صريحة في الجانبين فقد جاء في اللسان — بشأن نطق قولهم (فاضت نفسه) بالضاد أو الظاء ما بلى : « والذي أجاز فاضت نفسه بالظاء يحتج بقول الشاعر :

كادت النفس أن تفيض عليه إذ غدا حشو ربطة وبرود (٣)

فقال « يحتج » والشاعر هو محمد بن منذر المتوفى (١٩٨هـ) .

(١) انظر شرح الكافية ٧٥/١ والخزانة هارون ٢٩٥-٢٩٩ . والعبارة في ٢٩٩ .

(٢) الخزانة (بولاق) ٢٢/٣ : ٢٢٨/٤ .

(٣) ل (فيض) ٣٣٤/٩ .

وجاء في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١) « لافيهَا غُول » (الصفات ٤٧) مجازه
ليس فيها غول ، والغول أن تغتال (الحر) عقولهم . قال الشاعر :

وما زالت السكاس تغتالنا وتذهب بالأول الأول

هـ . والبيت لمطيع بن إياس حسب ما قال المحقق . والاحتجاج بالبيت هنا
واضح ، ولكن المحقق نقل في الموضع نفسه عن إحدى حواشي كتاب المجاز
هذا مايلي : « مطيع بن إياس : قال أبو عبيدة مطيع مولى لا يحتج بشعره » هـ

وجاء في الجمهرة (٢) لابن دريد (٣٢١هـ) سألت أبا - خاتم (٢٥٥هـ) عن
الظبطاب (بالفتح) فلم يعرف فيه حجة جاهلية : إلا أنه قال : فيه بيت بشار
وليس بحجة - وأنشد :

بنير ليس بها ظبطاب . هـ

فنى كل منهما الاحتجاج بشعر الموالد رغم فقد غيره . ومعنى هذا عند من
يتلقى كلام أبي عبيدة وابن دريد أو أبي خاتم أن ذلك المعنى للغول وكذلك لفظ
الظبطاب غير موثوق بهما في حين أن غيرهما أثبت المعنى واللفظ
المذكورين (٣) .

والخلاصة في هذه النقطة أن موضوع الاحتجاج أكبر وأخطر أثرا من
أن يقضى فيه بإحفاء كلمة ، أو بعبارة عابرة . وإنما ينبغي أن يرجع فيه إلى
ما يمثل منهجا واضحا ، يدعمه تطبيق واسع . ولئن كان في التطبيق الذى مر
بنا وما صحبه من توثيقات ما يكفي لرسم معالم المنهج ، فقد يؤكد ذلك أن
نبرز مسألة المنهجية في النقطة التالية .

(١) بتحقيق سزكين ١٦٩/٢ .

(٢) الجمهرة ١٢٧/١ .

(٣) فى ل (غول) ٢٣/١٤ « غالت الحر فلانا إذا شربها فذهبت بمقله » هذا كلام
أبي الهيثم وتركيب (غول) يدل على ذهاب الشيء أو ذهابه وضياعه فى خفية . وفى ل (ظبطب)
٥٧/٢ . . . وما فى ظبطاب » وفسر بالقلبة وبالقمع .

رابعاً : من حيث المنهجية أو الجرافية في موقف اللغويين الذين احتجوا بشعر المولدين :

وذلك أنه قد يقال إن المولدين يخطئون أحياناً فلا ينبغي الأخذ عنهم ولا يؤمن ، وإنما وقعت تلك الاحتجاجات من الأئمة بشعرهم عفواً بلا قصد .
— وأستعير في الرد على الشرط الأول من هذه الشبهة عبارة ابن جني وهو يرد على من يمنع إجازة ارتكاب الضرورات للمولدين : « فإن قلت فقد عيب بعضهم كأبي نواس وغيره في أحرف (= كلمات) أخذت عليهم . قيل : هذا كما عيب الفرزدق وغيره في أشياء استنكرها أصحابنا . فإذا جاز عيب أرباب اللغة وفصحاء شعرائنا كان مثل ذلك في أشعار المولدين أخرى بالجواز . . . » (١)

ثم أقول : لا ريب أن أئمة اللغويين كانوا — مع اتجاههم ذاك — على علم (بأخطاء) المولدين (٢) ، لكنها لم تكن لتثنيهم عن ذلك الاتجاه ، لأنهم يعلمون أن القدماء أيضاً وقعت منهم (أخطاء) (٣) ، ولكنها لم تمنع — لندرتها — من تحديد معالم الصواب اللغوي — على ما تم في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث . ويضاف إلى ذلك — بالنسبة للمولدين — أنه ما دامت

(١) الخصائص ١/٣٢٨ .

(٢) لأنها كانت متداولة رواية وفي الكتب . انظر التعليقات التالية .

(٣) كما خطئ « النابغة » في قوله . . . في أنيابها السم نافع ، والأعشى في استعمال الألفاظ الأعجمية ، وأمية في قوله « بنى إسرائيل » ، « أيما شاطئ عصاه عكاه » والفرزدق في قوله « مخهارير » . . . « إلا مسحاً أو مجلف » وجريز في قوله « وأنكرنا زعانف آخرين » وذو الرمة في قوله « زوجة » ، « ماتنك إلا مناخة » ، « أدمانة » ، وعمر بن أبي ربيعة ربيعة « ثم قالوا تحبها » (حذف حرف الاستفهام) ، والكيت « أرعد وأبرق » (استعمال الرباعي منها) انظر تفصيل كل ذلك في الموشح ٤٥ ، ٧٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ١٥٦ — ١٦١ ، ٢١٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٣١٥ ، ٣٠٨ على التوالي وانظر الوساطة ٥ — ١٠ (ص ٣ — ١١ في ط صبيح بتقديم خفاجي) حيث ذكر أخطاء لمجموعة من الجاهليين غير من ذكر هنا . وانظر أيضاً في ذلك الخصائص ١/٣٢٨ — ٣٢٩ .

(أخطاؤهم) نادرة (١) ، وقد تم تحديد معالم الصواب اللغوي قبل نتاجهم وبدونه — بالإضافة إلى أن جل (أخطائهم) قد خرجت تخريجا مقبولا كما خرجت (أخطاء) القدماء (٢) — فإن التجنب الكامل لنتاج المولدين يمثل موقفا فجا يضاد طبيعة اللغة في علاقتها بالناس والحياة ، بينما يكون النظر إلى ذلك النتاج بعين بصيرة مميزة ، وقبول ما يتسق منه مع معالم اللغة وقياسها ، ورد ما ينافي تلك المعالم وذلك القياس — على ما جرى من الأئمة فعلا في ما عرضناه — هو الموقف العلمي الصحيح .

— ومما يزيد الثقة في سلامة موقف الأئمة الذين احتجوا بشعر المولدين ، وأنها التزموا في من احتجوا بشعره أن يكون ممن يثقون بفصاحته : أنهم لم يحتجوا إلا بشعر قليلين منهم — لا يبلغون الخمسين — من بين مئات الشعراء المولدين ، كما أنهم لم يقبلوا من هؤلاء كل ما جاءوا به ، فقد خطئوا كثيرين منهم (٣) في ما جاءوا به مخالفا للصواب اللغوي — على

(١) مما ذكر من أخطاء المولدين : لبشار صياغته الوجلي والغزلي (بالتحريك مع القصر فيها — وذلك لم يسمع ، وحشوه الشعر بما لا حقيقة له (الأغاني ٣ / ٢٠٩ ، ٢٤٢ ، ٣ / ١٦٣ — ١٦٤) ، ولأبي نواس قوله « فليت ما أنت واط من الثرى لي رسا » وقد وجهت ، وكذلك ضم نون سنون وبنون للقافية (الشعر والشعراء ٨١٨ — ٨١٩ ، ٨٠١ ، ٨٠٥) وعيبه على البحري قوله « يا عليا » ، « لست امرأ خاب ولا من كذب » « تأملوا مساعيك » (ياسكان الياء) (الموشح ٥١١ — ٥١٧) . وواضح أن الذي ذكرناه في هذا التعليق والذي قبله خاص (بالأخطاء) اللغوية . أما عيوب القافية كالسناد والإقواء الخ ، وعيوب المعنى الفكري أو البلاغي (لا اللغوي) من حيث صحته ومناسبته لما سبق له ، وسموه أو انحطاطه الخ فليست من هنا في هذا البحث . وقد عرض المرزباني في الموشح الكثير منها بالنسبة للشعراء القدماء والإسلاميين والمولدين فانظره إن شئت .

(٢) نظر إلى هذه (الأخطاء) على أنها ضرائر شعرية وخرج جل ما ثبت منها تخريجات مقبولة . انظر مثلا الكتاب لسيبويه (هارون) ٢٦ / ١ — ٣٢ وانظر سائر مواطن الضرائر في الكتاب (هارون) ج ٥ (الفهارس) ص ٣٢٠ ، وانظر مواطنها في المقتضب (عضيمة) ج ٤ (القسم الثاني الفهارس) ٢١٢ ، ثم انظر كذلك الضرائر . . . للآلوسي .

(٣) من أمثلة ذلك أن ابن الشجري خطأً أبان نواس في استعمال المصدر النزع (بالفتح) في موضع « النزوع » « وإذا نزع عن . . . له ذلك النزع » الأماي الشجرية ١٧٥ / ٢ —

ما استنبطه الأئمة مما اطرء في كلام القدماء . وهذا يعنى أن عمل أولئك الأئمة كان موقفا علميا صحيحا ، لا موقفا جزافيا .

ثم إن القول بالعنفوية أو الجزافية يدحضه تماما ما صدر عن أولئك الأئمة من توثيقات صريحة لفصاحة كثير من المولدين الذين احتج بشعرهم .

- لقد مر بنا هنا ثناء الأصمعي والجاحظ على فصاحة بشار ، وحكم الأصمعي بجدارته بأن يفضل على كثير من المتقدمين ، وتبرئته إياه من الخطأ اللغوى - مع عدم تبرئة الكميت وغيره .

- ومر بنا هنا ثناء أبي عبيدة والجاحظ وابن جني على شاعرية أبي نواس وفصاحته ، وحكم أبي عمرو الشيباني وابن جني بأهليته أن يحتج بكلامه في اللغة .

- ومر بنا توثيقهم لأبي محمد اليزيدي ، وتنويههم بأخذ أبي عبيدة عنه الغريب .

- ومر بنا هنا ما قضى به الأئمة اللغويون : عبد الملك بن هشام ،

(١٧٦) وخطى . ابن سير في استعمال القنوع مكان القناعة (الموشح ٢٦٩) ، وخطأ ابن الطراوة المتنبى في قوله عن الثياب « إذا نشرت كان الهبات صوانها » إذ كان ينبغى عنده أن يجعل كلمة صوانها هي أمم كان ليصح المعنى (حاشية يس على التصريح ١٧٢/١) ، وخطى . المتنبى أيضاً في قوله « واحر قلباه » لإبقائه هاء السكت وتحريكها (شرح المفصل ٤٤/١٠) مع أن لهذا عدة سوابق في الشرح نفسه (٤٦/٩ - ٤٧) ، وخطى . المعرى في قوله « نخوض بجرأ نغمه ماؤه » (حاشية يس على التصريح ١٧٢/١) قالوا كان ينبغى أن يقدم ماؤه على نغمه . هذا إلى أنه قد يخطى . بعضهم استعمالا ويخرجه غيره . كما خطى . أبو نواس في « كأن صفري وكبرى من فواقها » ثم خرج قوله هذا ودفع عنه (انظر شرح المفصل ١٠٠/٦ ، ١٠٢ والمفنى (محيى الدين) ٣٨٠ ، والمساعد ١٨٠/٢) ، وكان قول المتنبى « هذى برزت لنا فهجت رسيما » موضع تردد وتأويل (انظر شرح المفصل ١٦/٢ وحاشية يس ٣٢٧/١) ، كما خطى . بديع الزمان في الجمع حوائج ثم وجدوا له شواهد كثيرة وناقشوا مفردة (انظر حاشية يس ٢٤٦/٢ ولسان العرب حوج)

ولحن بعضهم المعرى في « فلولاً الغمد يمسه لسالا » ورد التلحين آخرون (انظر الكلام عن البيت في الاحتجاج بشعر المعرى ومواضع أخرى في ماسبق ، وانظر كذلك الأشونى مع الصبان ٢١٥/١) .

وثعلب ، والأزهري ، وإمام الحديث والفقهاء أحمد بن حنبل من أن كلام الشافعي حجة في اللغة ، وما وصفه به الزعفراني ، والجاحظ وغيرهما من فصاحة اللسان والعلم ، وأن الأصمعي - وكان أسن من الشافعي بعشرين سنة - صحح أشعار البدو عليه .

٢- ومربنا هنا أن الزمخشري صاحب تفسير « الكشاف » ، ومعجم أساس البلاغة ، والمفصل قال عن أبي تمام إنه « من علماء العربية فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » . والزمخشري يعلم أن أبا تمام لم يؤلف كتاباً في النحو أو في أي من الفروع اللغوية ، وإنما جمع الحماسة والوحشيات وفحول الشعراء ، وختار أشعار القبائل ، بالإضافة إلى ديوان شعره الذي أنشأه . فعلمه بالعربية الذي يقصده الزمخشري هو علم الخبير الذواقة ، وعلم الشاعر الموهوب . وهذا النوع من العلم يضارع السليقة العربية الفصيحة - فلتؤخذ عنه اللغة كما تؤخذ عن الأعرابي البدوي السليقي . وهذا ما قصده الزمخشري - أو هو أقرب ما يكون إلى ما قصده .

- ومربنا هنا ما قاله ابن جني عن المتنبي ، وأن الشهاب الخفاجي - وله بضعة عشر مؤلفاً في اللغة والأدب وغيرهما ، أهمها في مقامنا حاشيته على تفسير البيضاوي ، وشرح درة الغواص ، وشفاء الغليل ، وخواشي الرضي والجامي ، وطرار المجالس ، وريحانة الألباء ، وله ديوان شعر ومقامات ورسائل .

فهذا الشهاب الخفاجي يقول : أجعل ما يقوله المتنبي بمنزلة ما يرويه ، وهذا كالذي قاله الزمخشري في أبي تمام ، وإنما يروى مثلثهما (١) أعلى طبقات الشعر . والمراد بالعبارة أن شعرهما يساوي في الفصاحة شعر القدماء وأنه محتج به كما محتج بشعر القدماء . ولعل خير شهادة لعلو المتنبي في طبقة الفصاحة أن يشرح ديوان شعره ابن جني وأبو العلاء والإفريقي شيخ الأعلام الشنتمري ، والواحدى والتبريزي والعكبري وغيرهم ، وأن

(١) لم ينسب كارل بزوكلمان إلى المتنبي أي مجموع شعري على غرار الحماسة لأبي تمام مثلاً .
(تاريخ الأدب العربي ٢ / ٨١ - ٩٢) .

يشرح مشكله ابن سيده . وكلهم من أكابر رجالات اللغة وأئمتها في تاريخنا ، ولا يتصدى أمثالهم لشرح شعر يهبط عن ذروة سنام الفصاحة ،

- ومربنا هنا أيضاً قول الشهاب الخفاجي « وأبو فراس ثقة ، ممن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » ، كما مربنا توثيقه للبحري ، وابن نباتة السعدي ، والشريف الرضي ، وابن غلبون الصوري ، ومهيار الديلمي .

- أما المعري والحريري فما أظن المعري صاحب سقط الزند واللزوميات ، ورسالة الغفران ، ورسالة الملائكة ، وشارح حماسة أبي تمام ، وديوان المتنبي ، وناقد البحري في عبث الوليد (١) - كما لا أظن الحريري صاحب المقامات التي قاربت شروحها الثلاثين ، وصاحب الفرق بين الضاد والظاء ، ودرة الغواص - وهو ما هو ، وصاحب ملحمة الإعراب التي بلغت شروحها نحو خمسة عشر شرحاً . . (٢) أقول لا أظن أبا العلاء والحريري بحاجة إلى توثيق ليجتج بهما في اللغة . .

فشهادات التوثيق هذه هؤلاء الذين ذكرناهم - وقد مضى بيان بالأئمة الذين احتجوا بشعر المولدين - وهذا توثيق عملي لمن لم يصرح بتوثيقه منهم - دليل واضح وصريح على أن الأئمة لم يكونوا يصدرون في استشهادهم بشعر هؤلاء عن مصادفات جزافية ، وإنما يكونوا يصدرون عن اختيار متعمد لمن يروونه أهلاً لأن تؤخذ عنه اللغة ويحتج به فيها ، لأنه بأصالة شاعريته - التي تشهد بها غزارة إنتاجه ، وإحكام عبارته ، وسمو درجته في الفصاحة - قد صار من علماء العربية الذين يحتج بهم - على حد ما فسرنا قوله الزمخشري في أبي تمام

ثم إنه ينبغي أن نلاحظ - ونحن نبحث هذه المسألة - أن المناخ كان مهيأ إلى حد كبير لقبول الاحتجاج بشعر الموثوق بفصاحتهم من المولدين

(١) انظر تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ٣٥/٥ - ٤٥ : وبخاصة ٤٠ - ٤٥ .

(٢) السابق ١٤٤/٥ - ١٥٥ .

حيث ظهر تيار يستحسن شعرهم منذ عهد أبي عمرو بن العلاء الذي قال :
« لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته » ..
وفي رواية « حتى لقد هممت بروايته » .. . يعني شعر جرير والفرزدق
وأشباههما (١) . وكان الأصمعي يستحسن شعر بشار ويعده خاتمة الشعراء
ويقول : « والله لو لا أن أيامه تأخرت لقدمته على كثير منهم » (٢) كما
كان يشبه السيد الحميري (١٧٣ هـ) بالفحول (٣) ، وكذلك كان أبو عبيدة
يقدمهما (٤) . وقد عدد الجاحظ ، ثم ابن رشيق جماعة من الشعراء
الذين يستحسن شعرهم بلغوا ثلاثين ، كثير منهم ممن أسلفنا أنه احتج
بشعرهم (٥) .

— ويضاف إلى ذلك اتجاه إلى إطلاق معيار الإجابة والاستجابة في الشعر
من قيد التقدم الزمني أو اشتراطه . ظهر هذا الاتجاه عند الجاحظ ، إذ قال
عن أبي نواس : « وإن تأملت شعره فضلته ، إلا أن تعترض عليك فيه
العصبية ، أوترى أن أهل البدو أبداً أشعر ، وأن المولدين لا يقاربونهم في
شيء . فإن اعترض هذا الباب عليك ، فإنك لا تبصر الحق من الباطل
ما دمت مغلوباً » (٦) .

(١) الرواية الأولى في البيان والتبيين ٢٢١/١ والرواية الثانية في الشعر والشعراء
(شاعر ط ٢) ٦٣/١ وفي العمدة (محيي الدين) ٩٠/١ « لقد أحسن هذا المولد حتى هممت
أن آمر صبياننا بروايته ... »

(٢) الأغاني ١٤٣/٣ ، ١٥٠ وانظر الموشح ٣٠٦ .

(٣) انظر الأغاني ٢٣٢/٧ . (٤) نفسه .

(٥) من ذكرهم الجاحظ بالاستحسان بشار والسيد الحميري وأبو نواس وأبو العتاهية
وسلم الخاسر وأبان اللاحق ، والعتابي ، ومنصور النخعي ، ومسلم بن الوليد . وشاركه في
ذكرهم بهذا ابن رشيق ، وأضاف الجاحظ ابن أبي عيينة ويحيى بن نوفل ، وخلف بن خليفة ،
وعيسى بن داب ، وأضاف ابن رشيق مروان بن أبي حفصة ، والعباس بن الأحنف ،
وأبا دلامة ، وأبا الشيص ، والففضل الرقاشي ، والخليل ودعبلا وأبا تمام والبحتري وابن
المعز ، وابن الرومي ، والخبز رزي ، والحريري ، وأبا سعيد الخزومي ، والصنوبري ،
وأبا فراس ، والمنتبي (انظر عن ذكرهم الجاحظ البيان والتبيين ٤٠/١ - ٤١ والحيوان
٢٧/٢ ، وعن ذكرهم ابن رشيق العمدة (محيي الدين) ١٠٠/١ - ١٠١) .

(٦) الحيوان ٢٧/٢ ط أولى .

وعند ابن قتيبة إذ قال : « ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص قوماً دون قوم . بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره » (١) ، ثم قال : « فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له ، وأثنيناه عليه به ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، أو حداثة سنه ، كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ، ولا تقدمه » (٢) .

وبهذا الاتجاه نفسه ، أخذ ابن طباطبا (٣) (٣٢٢ هـ) ، والقاضي الجرجاني (٣٦٦ هـ) الذي أصله بأن « الشعر علم . . . يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة لكل واحد من أسبابه . فن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، ويقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان (٤) » وأضاف : « ولست أفصل في هذه القضية بين القديم والحديث ، والجاهلي والمخضرم ، والأعرابي والمولد (٥) » . وبه أخذ ابن رشيق أيضاً (٦) .

فهل يستغرب — مع هذا الاتجاه القوي — أن يحتج اللغويون بمن يثقون بفصاحته من هؤلاء المولدين .

— وأخيراً فإن التسليم بأن أئمة النحو واللغة لم يأتوا بشواهد (المولدين) تقديراً لشاعريتهم وفصاحتهم التي ترفعهم إلى مستوى من يحتج بكلامهم ، وإنما أتوا بها تمثيلاً للقاعدة بخاق معاني يتنزه عنها هؤلاء الأئمة . فهم أجل من أن يخرعوا قاعدة من عند أنفسهم ليس لها شاهد معتمد يعرفونه ، ثم

(١) الشعر والشعراء (شاعر ط ٢) ١ / ٦٣ .

(٢) نفسه .

(٣) عيار الشعر ص ١١١ .

(٤) الرواظة بين المتنبي وخصومه ١٥ - ١٦ .

(٥) نفسه .

(٦) انظر العمدة (محيي الدين) ١ / ٩٠ - ٩٣ ، ١٢١ - ١٢٢ ، ٢٠٠ ، ٢٣٨ / ٢ .

يأتوا بكلام أولئك (المولدين) ليوضحوا ويمثلوا به لهذه القاعدة التي لا أصل لها . وإن قيل إن القاعدة أو الحكم وضع قياساً كان كلام المولدين - تمثيلاً له - استعمالاً لغوياً صحيحاً هم بدعوه ، فالأولى أن يؤصل على استعمالهم لأن اللغة استعمال . كما أنه لا يستساغ أن يقال إنه كانت لديهم شواهد صحيحة لتلك الأحكام فلم يذكروها اكتفاء بما جاءوا به من كلام المولدين مع إيمانهم بأن كلام المولدين هذا لا يحتاج به . لا ينبغي أن يقال هذا لأنه يعنى بجحد ما ثبت يقيناً من سلامة فقههم لأصول عملهم . ثم إن كثرة الشواهد (المولدة) التي احتج بها وحدها تقدر في إمكان هذا الافتراض ، وتجعل التسليم به قدحاً في إمامة هؤلاء الأئمة ترفضه أعمالهم العلمية التي لا يرتاب في عظمتها منصف . أما عندما يذكرون شواهد (المولدين) مع الشواهد الأصلية ، فليس الأمر حينئذ أيضاً قاطعاً بأن قصدهم التمثيل فحسب ، إذ قد يقصد بذلك الإكثار من الشواهد أو تنويعها تثبيتاً للقاعدة .

خامساً : من حيث حجم هذه الاحتجاجات ، وكون نسبتها تخرج

- أو لا تخرج - بها عن نطاق الندرة :

لقد بلغ عدد الشواهد في ما عرضناه من الاحتجاجات بشعر المولدين أربعة وستين شاهداً تصل بما نبهنا عليه إلى ستة وتسعين - في متن اللغة وما إليه ، وعرضنا ثمانية وخمسين شاهداً في النحو ، وذلك كله لأربعين شاعراً مولداً .

ونضيف إلى هذا أن كثرة ما استشهد به من شعر المولدين هي التي وجهت إلى الاجتزاء بهذا القدر الذي عرضناه ، لأن ما لاحظنا أنه احتجاجات صحيحة بشعر المولدين يزيد على ذلك كثيراً . وقد قدرت ما اجتزأت عنه من تلك الاحتجاجات الصحيحة بنحو مئة وسبعة وأربعين شاهداً في النحو

وما إليه، إذا أضفناها إلى ما أسلفنا من شواهد النحو (١) بلغت خمسة ومثنتين من الشواهد .

فإذا نسبنا ذلك إلى أكبر مجموعة من الشواهد (٢) وهى شواهد شرحى الكافية والشافية للرضى وعددها ثلاثة وخمسون ومئة وألف شاهد (٣) (١١٥٣) كانت نسبتها إليها ١٨ : ١٠٠ (٤) أى نحو ١ إلى ٦ وهى نسبة لها اعتبارها ، لأنها تخرج يقينا عن دائرة النادر . ذلك أننا إذا اتخذنا تقدير ابن هشام لمعيار القلة والكثرة دليلا — حيث قال : « فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالبا ، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب ، والثلاثة قليل ، والواحد نادر » (٥) — فإن هذا يعنى بالنسبة المئوية :

الغالب	٢٠ : ٢٣ = نحو ٧٨ %
الكثير	١٥ : ٢٣ = نحو ٦٥ %
القليل	٣ : ٢٣ = نحو ١٣ %
النادر	١ : ٢٣ = نحو ٤ %

وعلى ذلك فالنسبة التى ذكرناها بين شواهد المولدين وأكبر مجموعة من الشواهد وهى ١٨ إلى ١٠٠ تدخل فى دائرة القليل دخولا بينا ، ولا يمكن أن تعد من النادر الذى لا اعتبار له .

(١) خصصت النحو لأن القصد هنا هو عقد نسبة بين شواهد المولدين والشواهد الأصلية . والشواهد الأصلية فى النحو محدودة يمكن معها عقد تلك النسبة ، بينما الشواهد الأصلية فى متن اللغة يصعب إحصاؤها ، لاتساع اللغة نفسها اتساعاً عظيماً ، واحتياج كل جزئية فيها إلى شاهد ، فلا يتأتى عقد النسبة المذكورة الآن .

(٢) مجموع شواهد « الكتاب » لسيبويه (١٠٥٠) ، وشواهد المغنى (١٨٧٩) شاهداً . انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٩٧٦ .

(٣) شواهد شرح الكافية — حسب ما فى الخزانة — ٩٥٧ شاهداً ، وشواهد شرح الرضى للشافية ١٩٦ مجموعهما ١١٥٣ وانفرد الجار بردى فى شرحه للشافية باثنين وخمسين شاهداً .

(٤) عقدنا هذه النسبة على هذه الصورة من حيث إن المولد قسم للأصل ، ولم نضم المولدة إلى الأصلية ثم نجرى النسبة المئوية ، لأن هذا يجعل النسبة خاصة بمؤلف بعينه . ونحن نظرنا نظرة عامة من ناحية ، وتقريبية فى اتخاذ شواهد شرحى الكافية والشافية ممثلة لأكبر مجموعة من شواهد النحو والصرف من ناحية أخرى .

(٥) انظر المزهرة ١ / ٢٣٤ .

الفصل الثاني

استخلاص

دلالة كثرة الاحتجاجات بما جاوز النطاق الزمني

بَعْدَ أَنْ ثَبِتَ - ثَبُوتاً لا مرء فيه - وقوع الاحتجاج بما خرج عن النطق المضروبة حول معيار الاحتجاج : سواء في ذلك النطق القبلية والمكانية والزمانية - ووجدنا أن ما جاوز النطاق الزمني يمثل نسبة لها دلالتها .

أ - أكثر من مِثْنِي شاهد في النحو عرضنا منها ثمانية وخمسين وأشرنا إلى سائرهما - وذلك من نحو ألف مئة وخمسين شاهداً في النحو . ^{٦١٥}

ب - وستة وتسعون شاهداً في متن اللغة وما إليه عرضنا منها أربعة وستين .

ج - وأربعون شاعراً من المولدين احتج بشعرهم .

- كما وجدنا أن عدداً كبيراً من أئمة مشهورى اللغويين قد احتجوا بشعر أولئك المولدين منهم ستة عشر من الأئمة في متن اللغة ، وستة وعشرون من الأئمة في النحو وما إليه .

- وذكرنا ما صدر عن أولئك الأئمة من تعبيرات صريحة عن قبول الاحتجاج بشعر عدد من المولدين ، وعن توثيق فصاحة كثير منهم .

- أعتقد أنه في ضوء كل ذلك ، وفي ضوء ما يتطلبه الحفاظ على حياة العربية وحيويتها أنه قد آن أن نتخذ من النتاج اللغوى الرفيع لما بعد نطق الاستشهاد - شعراً أو نثراً - موقف الحبير بثروته الحريص عليها ، وعلى نقائها

ونضارتها معاً : فنقبل ما جاء عن ثقات الشعراء الذين يشهد لهم نتائجهم بالتمكن في اللغة وسلامة ملكتها وقوتها لديهم ، كما نقبل عن مضارعهم في هذا من أكابر الأدباء وعلماء اللغة - ما دام ما جاءوا به لا يخرج عن الأصول والضوابط العامة . إن من حق اللغة علينا أن نعد السماع من هؤلاء امتداداً للسمع عن القدماء في حدود الأصول والضوابط المقررة . فإذا جاءت عنهم صيغة أو عبارة لها وجه في تلك الأصول والضوابط ولا يعيبها إلا أنها لم تسمع عن القدماء فلنقبلها ولنضمها إلى ثروتنا اللغوية منبهين على مصدرها ، وكذلك إذا جاء عنهم استعمال للألفاظ أو العبارات في معان جديدة لكنها متطورة عن المعاني القديمة مأخوذة منها أخذاً مقبول الوجه فعلينا أن نقبل ذلك الاستعمال وننبه على مصدره كذلك . إن الحياة في تطور وتجدد بصيب ملاحظته باللهات ، ومن واجب اللغة أن تلاحق الحياة بالتعبير عنها ، ومن واجبنا أن نهيب للغة سبيل تلك الملاحقة إبقاء على حياتها وحيويتها ، وليس من حقنا أن نعوق تلك الملاحقة فنعين خصوم اللغة العربية ومحاربيها - وهم كثيرون - عليها .

- إن خلاصة ما ندعو إليه هو أننا لا ينبغي أن نقف بالسمع والاستشهاد عند النطق التي حددها القدماء ، وأن علينا أن نفتح السبيل للصيغ والتراكيب والاستعمالات التي يبتكرها أصحاب الملكة اللغوية العربية السليمة من الشعراء والأدباء والعلماء ، وكذلك للمعاني الجديدة التي يحملونها للكلمات والصيغ القديمة ما دامت العلاقة بين المعنى الجديد وأصله مقبولة غير متكلفة ، وما دام كل ذلك متسقاً مع الأصول والضوابط العامة للغة .

إننا بهذا لاننازع القدماء حق (تشريع) اللغة ووضع أصولها ورسم ضوابطها ولكننا نسعى لتقرير حقنا في الإبداع والتجديد (والاجتهاد) داخل الأطر التي رسموها .

- ولقد أسلفنا أن ذلك أيضاً حق اللغة ، وأن قبول الاحتجاج في اللغة بمن يوثق بفصاحته من أولئك المولدين هو الرأي الصريح لبعض

اللغويين والنحاة ، وهو الدلالة المستخلصة من احتجاج جمهور المشهورين من اللغويين والنحاة بشعر المولدين .

— ونضيف أن هذا هو أيضا دلالة عمل فريق آخر من أئمة اللغويين وهم الرواة الذين رووا شعر المولدين سواء منهم أصحاب الدواوين الجامعة للمختارات وما إليها كالأمالى والمحالس ونحوها .

— لقد اشتملت كل من حماسة أبي تمام (٢٣١ هـ) ، ووحشياته ، و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة و « الحماسة » للبحرئ (٢٨٤ هـ) ، ولابن الشجري (٥٤٢ هـ) . ولأبي الحسن البصري (٦٥٦ هـ) على مختارات من شعر المولدين ممن ذكرناهم ضمن المحتج بشعرهم — كبشار ومطيع ، وابن مطير ، وأبي عطاء ، وخاف ، ومروان ، والمؤمل ، وأشجع ، وابن منذر ، وأبي نواس ، واليزيدى ، والعتابي ، ومسلم ، وأبي العتاهية ، وعوف بن محلم ، والعتبي ، وأبي تمام ، وعمارة ، وابن المعز ، والمتنبئ — ومن غيرهم كمنصور الثرى (نحو ١٩٠ هـ) ، وبكر ابن النطاح (١٩٢ هـ) ، والعباس بن الأحنف (١٩٢ هـ) ، ومحمد بن يسير (٢١٠ هـ) ، وعلى بن جبلة (٢١٣ هـ) ، وإبراهيم بن المهدي (٢٢٤ هـ) وعبد الله بن أبي عيينة (بعد ٢١٨ هـ) ، وإسحاق بن خاف البهراني (٢٣٠ هـ) ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي (٢٣٥ هـ) ، وإبراهيم الصولي (٢٤٣ هـ) ، وعلى بن الجهم (٢٤٩ هـ) ، ويزيد المهلبى (٢٥٩ هـ) . وابن الرومى (٢٨٤ هـ) (١) .

(١) راجعت الحماسات والشعر والشعراء لابن قتيبة حيث وجدت في كل منها بعضاً من هؤلاء . فأحيل إليها ، وأجتزئ ببيان مواطن شعر بعض المولدين في تلك الدواوين فبشار له في الوحشيات قطع في ص ١٦٤ ، ١٧٧ ، ٢٧٤ ، وله في الشعر والشعراء ص ٧٥٧ وفي حماسة البحرئ ص ٧٠ ، ٧٢ وفي حماسى ابن الشجرى والبصرى . ومسلم بن الوليد له في حماسة أبي تمام . انظر شرح المرزوقى ص ٩٤٢ ، ٩٤٤ وفي وحشياته ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٤٣ وفي الشعر والشعراء ص ٧٣٢ وفي الحماسة البصرية ، وعلى بن جبلة له في الشعر والشعراء ٨٦٤ وفي الحماسة البصرية ، وعلى بن الجهم له في حماسة ابن الشجرى فقط ويزيد المهلبى له فيها وفي البصرية .

= كما اشتمل الكامل للمبرد (٢٨٦ هـ) ومجالس ثعلب (١ ٢٩ هـ) وأمالى الزجاجى (٣٤٠ هـ) ومجالس العلماء له ، وأمالى القالى (٣٥٦ هـ) ، وأمالى ابن الشجرى (٥٤٢ هـ) — وهى كتب يغلب عليها الطابع اللغوى — على قطع وأبيات لعشرات (١) من المولدين الذين ذكرنا أسماءهم من قبل :

— ولولا ثقة هؤلاء وأولئك فى فصاحة أولئك الشعراء المولدين — تلك الفصاحة التى تتضمن أن الشعر الذى أوردوه لهم صحيح ، يحتاج بما فيه من جديد ، ويقاس عليه — لولا تلك الثقة ما رووا شعرهم ولا شرحوه .

— وقد صرح ابن قتيبة — فى مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » — بذلك الذى استخلصناه حيث قال بياناً لسياختياره من اختار لهم أشعاراً : « وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء ، الذين يعرفهم جل أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب ، وفى النحو ، وفى كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) » ، اهـ ونذكر بأنه جاء فى كتابه هذا بأشعار لنحو عشرين من المولدين (٣) ، فهم حسب كلامه « من الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم » .

— وقد أجمع النقاد القدماء على أنه لم يتفق فى اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام فى حماسته (٤) ، وزكوا علمه بالشعر ألفاظه وأساليبه ومعانيه أبلغ تركية حتى قالوا إنه فى اختياره الحماسة أشعر منه فى شعره (٥) ، فإذا لم يحتاج بما أجمعوا على أنه أنقى الشعر أى أخلصه من العيوب مهما كانت وباختيار شاعر عظيم قيل إنه فى اختياره أشعر منه فى شعره ، فإن معيار الاحتجاج نفسه خلىق أن يهتز .

(١) مجالس ثعلب ومجالس العلماء للزجاجى فى كل منهما قطع محدودة للمولدين .

(٢) الشعر والشعراء (شاکر) ٥٩ .

(٣) ترجاتهم فيه بأرقام ١٨٠ — ١٨١ ، ١٨٣ — ١٨٤ . ثم من ١٩٢ إلى ٢٠٦ آخر

الكتاب .

(٤) انظر شرح ديوان الحماسة للدرزوقى (أحمد أمين وهارون) ٣/١ .

(٥) انظر السابق ص ١٠ ثم ص ١٣ — ١٥ .

هذا ، وإن مستوى المختارات والمختارين في سائر الحماسات وفي
الأمالي والمجالس لا يقل عن ذلك . فالمختارون هم بين شاعر عظيم كالبحرئى ،
وعالم لغوى عظيم كالمرد وثعلب والزجاجى والقالى ، وعالم بالشعر كأبى
الحسن البصرى .

وتضيف كذلك أن قبول الاحتجاج بالموثوق بفصاحته ، من المولدين
هو دلالة تلك الشروح والتحليلات اللغوية التى انصبت على شعر المولدين
سواء فى دواوين المختارات كشروح الحماسة (١) ، أو فى غيرها كشروح
ابن الشجرى ، لكثير مما جاء به فى أماليه (٢) ، وكشرح ابن جنى
والواحدى والعكرى لما جاء فى ديوان المتنبى ، وكالشروح المنشورة التى
وقعت فى الكامل ، ومجالس ثعلب وأمالي الزجاجى (٣) .

- ولا أظن أن هناك من يجادل فى جواز احتجاجنا بما قاله المرزوقى
(٥٤٢١) أو التبريزى فى شرح أشعار المولدين فى الحماسة من حيث ألفاظها
أو معانيها أو تراكيبها واستعمالاتها أو دلالاتها ، وبخاصة تخريجاتهم
وتحليلاتهم ، وكذلك الأمر بالنسبة لشروح ابن جنى والواحدى والعكرى
وغيرهم (٤) ، وتحليلاتهم وتخريجاتهم فى ديوان المتنبى ، وبالنسبة لشروح
المرد وثعلب والزجاجى وابن الشجرى ، وقد أشرنا إليها من قبل .

(١) شرحا حماسة أبى تمام المتداولان الآن هما شرح المرزوقى تحقيق أحمد أمين وهارون
والتبريزى تحقيق الشيخ محمد محى الدين . وقد بلغ العلامة عبد السلام هارون بشروحها إلى
أكثر من ثلاثين (شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١١/١ - ١٥) .

(٢) أورد ابن الشجرى فى أماليه كثيراً من القصائد للمتنبى والشرىف الرضى وغيرهما
وأتبع كثيراً منها بشرح نفوى مفصل .

(٣) من مواضع شرح شعر المولدين فى الكامل (الدجمنى) ١١٢/١ - ١١٥ شعر
عمارة ، ١٩/٢ شعر إسحاق بن خلف ، ٣٤/٢ - ٣٥ شعر ابن أبى عينة ، ١٠٥/٢ شعر
إسحاق المولى ، ٦٠/٣ شعر عوف بن محم ، ٧٠/٣ شعر أبى نواس ، ٢٩٣/٣ شعر يزيد
المهلبى . ومن مواضع الشرح فى مجالس ثعلب ص ١٩ شعر أبى نواس ، ٥٤٣ شعر بشار ،
وفى أمالي الزجاجى ١٤٦ - ١٤٧ قصيدة لأبى نواس وشرح لها .

(٤) انظر ديوان أبى الطيب بشرح العكرى ١/ج ، د .

— من هذا كله نصل إلى المعيار الذي ينبغي أن نتخذه بالنسبة لما يقبل أو يحتج به من النتائج اللغوية للمولدين ، وما لا يقبل . ونستعير لتحديده ما قاله ابن جني بشأن انفراد العربي بالحجيء بما يخالف ما عليه الجمهور . (وما يخالف يشمل الجديد الذي انفرد به ، وهذا هو الذي نقصده هنا) قال : « إذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال ذلك العربي وفي ما جاء به . فإن كان الإنسان فصيحاً في جميع ما جاء به ، ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به ، وكان ما أورده مما يقبله القياس ، إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان ، فإن الأولى في ذلك أن يحسن الظن به ، ولا يحمل على فساد . . » (١) (ثم علل ذلك بجواز أن يكون وقع له ذلك من لغة قديمة طال عهدها — أي بادت — على ما قال أبو عمرو : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير ») ثم قال ابن جني : « فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ ، ما وجد طريق إلى تقبل ما يورده ، إذا كان القياس يعاضده ، فإن لم يكن القياس مسوغاً له كرفع المفعول ، وجر الفاعل ، ورفع المضاف إليه فينبغي أن يرد . وذلك لأنه جاء مخالفاً للقياس والسمع جميعاً ، فلم يبق له عصمة تضيفه ، ولا مسكة تجمع شعاعه (٢) » . اهـ . ونحن نطالب بكلام ابن جني هذا معياراً — مع التخفف من قيود نطق الاحتجاج القبلي والمكانية ، والزمانية — ومع التخفف من المسألة التي أورده بشأنها ككون الكلام جاء به (بدوي) فصيح منفرداً به ، وكون الكلام مخالفاً لما عليه الجمهور واشتراط فصاحة العربي — الآتي بذلك الكلام — في (جميع) ما جاء به ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به . نتجاوز عن تلك القيود لنقول إنه إذا جاء مولد بجديد نظر في حاله فإن كان فصيحاً في أكثر ما جاء به ، وكان ما أورده مما يقبله القياس فليقبل منه ، فإن لم يكن القياس مسوغاً له وجب رده .

(١) الخصائص ١/٣٨٥ .

(٢) نفسه ١/٣٨٧ .

وقد تناول ابن جنى المسألة نفسها التي جاء فيها بكلامه السابق - في موضع آخر بمناسبة الألفاظ الجديدة التي جاء بها ابن أحمر ، وحكم فيها بوجوب قبولها لفصاحة ابن أحمر (١) ، وعلى جدتها وانفرادها بها بأنه إما أن يكون أخذها سماعاً من لغة (= لهجة) قديمة لم يشاركه أحد في سماعها (٢) - وهذا قد ذكره قبلاً ، ولكنه هنا أضاف تعليلاً آخر : هو أنه يجوز أن يكون ابن أحمر ارتجل هذه الألفاظ ارتجالاً « فإن الأعرابي إذا قوبت فصاحته ، وسمت طبيعته ، تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به (٣) » وضرب المثل في ذلك برؤية وأبيه . وقد عمم حكمه السابق بقوله : « فأقوى القياسين أن يقبل ممن شهرت فصاحته ما يورده ويحمل أمره على ما عرف من حاله لا على ما عسى أن يكون من غيره (٤) » وقال قبل ذلك : « لكن لو جاء شيء من ذلك (الجديد) عن ظنين ، أو منهم ، أو من لم ترق به فصاحته ولا سبقت إلى الأنفس ثقته كان مردوداً غير متقبل (٥) » اهـ

- نعم . وبهذا كله يتأصل ما أخذ به مجمع اللغة العربية في معجمه الكبير - وهو عين ما توصلت إليه هذه الدراسة - على ما جاء في مقدمته : « واستقر رأى المجمع على أن العربية ليست مقصورة على ما جاء في المعجمات وحدها ، بل لها مغان أخرى يجب تتبعها والأخذ عنها ، وفي مقدمتها كتب الأدب والعلم . ومن الخطأ أن يرفض لفظ لا لسبب اللهم إلا أنه لم يرد في معجم لغوي ، ويرى أيضاً أن اللغة كل متصل بالأجزاء يرتبط حاضره بماضيه ، وهما معا يعدان لمستقباه . وللعربية قدمها الخالد ، وحاضرها الحي ، ومستقبلها الزاهر - إن شاء الله تعالى ، ومن الظلم أن نتف بها عند حدود زمنية معينة . وينبغي أن يعبر المعجم الحديث عن عصور اللغة جميعها : وأن يستشهد فيه بالقديم والحديث

على السواء . . (٦) »

(٢) نفسه .

(١) الخصائص ٢/ ٢٤ .

(٤) نفسه ٢/ ٢٧ - ٨ - ٩ .

(٣) نفسه ٢/ ٢٤ - ٢٥ .

(٦) المعجم الكبير ١/ ١٠ .

(٥) نفسه ٢/ ٢٥ - ١١ .

وقد جاء الجزءان اللذان أخرجهما المجمع من المعجم الكبير تطبيقاً شاملاً ودقيقاً لكل ما استقر عليه رأى المجمع — مما ذكرناه هنا ومما لم نذكره ، وفى الجانب الذى يخص هذه الدراسة من ذلك ، فإن الجزأين اللذين أخرجهما المجمع قد حفلتا بشواهد من شعر الموالدين من أمثال بشار (١٦٧هـ) (١) وأبى نواس (١٩٩هـ) (٢) ، وإبراهيم بن المهدي (٢٢٣هـ) (٣) ، وأبى تمام (٢٣١هـ) (٤) ، وعمارة (٢٣٩هـ) (٥) ، وأحمد بن المعذل (٢٥٠هـ) (٦) وابن الرومى (٢٨٣هـ) (٧) والبحترى (٢٨٤هـ) (٨) وابن المعتز (٢٨٦هـ) (٩) والمتنبى (٣٥٤هـ) (١٠) وأبى فراس (٣٥٧هـ) (١١) ، وأبى الفتح البستي (٤٠٠هـ) (١٢) والشريف الرضى (٤٠٦هـ) (١٣) وأبى العلاء (٤٤٩هـ) (١٤) وعبد الجليل بن وهب (٤٨٠هـ) (١٥) والطغرائى (٥١٤هـ) (١٦) ، وابن صارة الشنترينى (٥١٧هـ) (١٧) والبهاء زهير (٦٥٦هـ) (١٨) ، ثم البارودى (١٣٢٢هـ) (١٩) ، وحافظ إبراهيم (١٣٥١هـ) (٢٠) ، وأحمد شوقى (١٣٥١هـ) (٢١) . وغيرهم (٢٢) .

(١) المعجم الكبير ج ١ تركيب (أدب ، أذن) .

(٢) نفسه تركيب (أتم) .

(٣) (أسو) .

(٤) (أدب) .

(٥) (أنف) .

(٦) (أيم) .

(٧) (أمم / أنف) .

(٨) (أسس ..) .

(٩) (أرش) .

(١٠) (أول ..) .

(١١) (أتو ..) .

(١٢) (أبيورد) .

(١٣) (ألل) .

(١٤) (أجر ..) .

(١٥) (أله) .

(١٦) (ابرينز) .

(١٧) (أبر) .

(١٨) (ألف) .

(١٩) (أدد) .

(٢٠) (أله ..) .

(٢١) (أوه ..) .

(٢٢) انظر فهرس الشعراء المستشهد بشعرهم فى آخر كل من جزأى المعجم الكبير

الأول والثانى .

المراجع

(مرتبة أبجدياً مع التغاضى عن « ال » ، ومع حذف كلمة كتاب

إذا كانت في العنوان إلا في كتاب سيبويه . .)

- ١ - إنحاف الأجداد في ما يصح به الاستشهاد : للسيد محمود شكرى الألوسى . تحقيق عدنان عبدالرحمن الدورى - وزارة الأوقاف - الجمهورية العراقية - (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م)
- ٢ - الإتقان في علوم القرآن : لجلال الدين السيوطى . تحقيق : محمد أبو الفضل . ط ٣ - مصطفى البابى الحلبي .
- ٣ - أخبار النحويين : لشيخ القراء أبى طاهر - عبد الواحد بن عمر ابن محمد بن أبى هاشم المقرئ - تحقيق د . محمد إبراهيم البنا - دار الاعتصام ط ١ (١٤٠١هـ / ١٩٨١ م) .
- ٤ - أخبار النحويين البصريين . لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى - تحقيق د . محمد إبراهيم البنا - دار الاعتصام - ط ١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م) .
- ٥ - الاختيارين : صناعة الأخفش الأصغر - تحقيق فخر الدين قباوة مؤسسة الرسالة - ط ٢ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م) .
- ٦ - أدب الكتاب : لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق محمد الدالى - مؤسسة الرسالة ط ١ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م) .
- ٧ - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى . مطبوعات دار المأمون - بإشراف : د . أحمد فريد رفاعى .
- ٨ - الاستدراك على المعاجم العربية . د . محمد حسن حسن جبل ط دار الفكر العربى .

- ٩ — الأشباه والنظائر في النحو . لجلال الدين السيوطي . تحقيق
د . طه عبد الرؤوف سعد — مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة (١٣٩٥ هـ /
١٩٧٥ م) .
- ١٠ — إصلاح المنطق . يعقوب بن السكيت . تحقيق أحمد محمد شاكر ،
عبد السلام محمد هارون — دار المعارف . القاهرة (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) .
- ١١ — الأصول في النحو . لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج . بتحقيق
عبد الحسين الفتلي . مؤسسة الرسالة . ط ١ (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- ١٢ — أصول معاني ألفاظ القرآن الكريم — رسالة دكتوراه مخطوطة
بكلية اللغة العربية بالقاهرة — جامعة الأزهر — د . محمد حسن حسن جبل .
- ١٣ — أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأى ابن مضاء وضوء علم
اللغة الحديث — د . محمد عيد . عالم الكتب — القاهرة ١٩٧٨ .
- ١٤ — أصول النحو العربي — محمد خير الحلواني .
- ١٥ — الأضداد في اللغة . لمحمد بن القاسم الأنباري — تحقيق : محمد
أبو الفضل — دائرة المطبوعات — الكويت — ١٩٦٠ م .
- ١٦ — الأعلام . خير الدين الزركلي ط ٤ / ١٩٧٩ دار العلم للملايين .
- ١٧ — الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني . (ط دار الكتب) ، (ط الهيئة
المصرية العامة) .
- ١٨ — الأفعال لأبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي — تحقيق د . حسين
محمد شرف — مراجعة د . مهدي علام — مجمع اللغة العربية — القاهرة —
(١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) .
- ١٩ — الاقتراح في علم أصول النحو . لجلال الدين السيوطي — تحقيق
وتعليق د . أحمد محمد قاسم — مطبعة السعادة . ط ١ (١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) .
- ٢٠ — الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي — دار
الجيل ١٩٧٣ م .
- ٢١ — أمالي الزجاني — أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاني

- تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون - المؤسسة العربية الحديثة - ط ١
(١٣٨٢ هـ) .
- ٢٢ - الأمالي الشجرية لهبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني المعروف
بأبن الشجري - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت (بدون تاريخ) .
- ٢٣ - أمالي القالي - أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي .
الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٥ م .
- ٢٤ - الأمثال . لأبي عبيد القاسم بن سلام - تحقيق د. عبد المجيد قطامش
مركز البحث العلمي - جامعة الملك عبد العزيز .
- ٢٥ - إنباه الرواة على أنباه النحاة . جمال الدين القفطي . تحقيق : محمد
أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب / دار الكتب - القاهرة (١٩٧٣) .
- ٢٦ - الإنصاف في مسائل الخلاف - لكمال الدين أبي البركات
الأنباري عبد الرحمن بن محمد . ومعه الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد
محيي الدين . دار الفكر .
- ٢٧ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - عبد الله جمال الدين بن
يوسف بن هشام الأنصاري . ومعه عدة السالك إلى توضيح أوضح المسالك
محمد محي الدين . دار الجليل . ط ٥ (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) .
- ٢٨ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . جلال الدين السيوطي . تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم - عيسى البابي الحلبي (١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) .
- ٢٩ - البيان والتبيين . لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق وشرح
عبد السلام هارون - دار الفكر . ط ٤ (بدون تاريخ) .
- ٣٠ - تاج العروس من جواهر القاموس . (شرح القاموس) للعلامة
مرتضى الزبيدي ط ١ / المطبعة الخيرية - ١٣٠٦ هـ .
- ٣١ - تاج اللغة وصحاح العربية - لإسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق :
أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للدلايين (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) .

٣٢ — تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان . نقله إلى العربية :
د . عبد الحلیم النجار . دار المعارف .

٣٣ — تاريخ بغداد أو مدينة السلام لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب
البغدادی — الخانجي بالقاهرة ، والمكتبة العربية بغداد (١٣٤٩هـ / ١٩٣١م) :

٣٤ — تاريخ التراث العربي . فؤاد سزكين (المجلد الثاني — الشعر)
نقله إلى العربية : د . محمود فهمي حجازي . من مطبوعات جامعة الإمام محمد
ابن سعود الإسلامية (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

٣٥ — تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين . جورج مونين ،
ترجمة د . بدر الدين قاسم . وزارة التعليم العالي . دمشق (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)

٣٦ — التبصرة والتذكرة لأبي محمد عبد الله بن علي الصيمري تحقيق
د . فتحي أحمد مصطفى علي الدين . مركز البحث العلمي . جامعة أم القرى ط ١
(١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

٣٧ — تحرير الرواية في تقرير الكفاية لمحمد بن الطيب الفاسي . تحقيق
د . علي حسين البواب . دار العلوم للطباعة النشر — الرياض (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
(وهو شرح لكتاب : كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأجداني)

٣٨ — التعازي والمراثي لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق :
محمد الديباجي — مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) .

٣٩ — تفسير أرجوزة أبي نواس في تقریظ الفضل بن الربيع صنعة أبي
الفتح عثمان بن جني تحقيق : محمد بهجة الأثری ط ٢ / ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م مجمع
اللغة العربية بدمشق .

٤٠ — تفسير البحر المحیط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي
الغرناطي . دار الفكر . ط ٢ (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)

٤١ — تفسير البيضاوي (على هامش حاشية زادة) (حاشية محي الدين
شيخ زادة — المكتبة الإسلامية — ديار بكر — تركيا) .

— تفسير الزمخشري = الكشف .

— تفسير القرطبي = الجامع .

- ٤٢ — التمام (مقالات) للدكتور نوري حمودي القيسي في الاستدراك على (معجم الشعراء في لسان العرب) . مجالة المجمع العلمي العراقي - مجلد ٣٣ .
- ٤٣ — التنبيه والإيضاح عما وقع في الصمحاء . لأبي محمد عبد الله بن بري المصري . تحقيق وتقديم : مصطفى حجازي . مراجعة : علي النجدي نا صف . مجمع اللغة العربية (مصر) - الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث . ط ١ - ١٩٨٠ م .
- ٤٤ — تهذيب التهذيب . للإمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . مطبعة مجلس دائرة المعارف . حيدر آباد . ط ١ (١٣٢٦هـ) .
- ٤٥ — تهذيب اللغة (معجم) لأبي منصور الأزهري . تحقيق عبد السلام هارون . ومراجعة محمد علي النجار ، وآخرين في تحقيق ومراجعة سائر الأجزاء . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر . الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- ٤٦ — ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية وعلاقتها بالأصول الثلاثة د . أمين فاخر - مكتبة الكليات الأزهرية (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .
- ٤٧ — الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة (مصور عن طبعة دار الكتب) .
- ٤٨ — الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي . تحقيق علي توفيق الحمد ساعدت جامعة اليرموك في دعم تحقيقه . مؤسسة الرسالة ، دار الأمل .
- ٤٩ — جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري . دار صادر .
- ٥٠ — حاشية الحضري للشيخ محمد الدمياطي على شرح عبد الله بن عقيل لألفية ابن مالك . مصطفى البابي الحلبي (١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م) .
- ٥١ — حاشية الشريف الجرجاني على الكشف للزمخشري - انظر الكشف

٥٢ - حاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح على التوضيح . الشيخ
يس زين الدين العليمي الحمصي . (ط على هامش شرح التصريح . التجارية) ،
(ط عيسى البابي الحلبي) .

٥٣ - حاشية الصبان على شرح الاشموني . ومعه شرح الشواهد للعيني .
دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) .

٥٤ - حماسة البحري - تحقيق : لويس شيخو . ط ٢ / ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٥٥ - الحماسة البصرية . صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري
(الجزء الأول) تحقيق : . . عادل جمال سليمان . نشر : لجنة إحياء التراث
الإسلامي . وزارة الأوقاف . القاهرة (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) .

٥٦ - حماسة ابن الشجري تأليف ابن الشجري هبة الله بن علي -
المتوفى ٥٤٢ هـ تحقيق : عبد المعين الماوحى ، أسماء الحمص منشورات وزارة
الثقافة - دمشق ١٩٧٠ م .

٥٧ - الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق وشرح : عبدالسلام
هارون . مصطفى البابي الحلبي . ط ٢ .

٥٨ - خزانة الأدب ولب آباب لسان العرب للشيخ عبدالقادر البغدادي (بولاق)
محل هامشه بكتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور
بشرح الشواهد الكبرى للإمام العيني .

- خزانة الأدب . تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون . الهيئة المصرية
العامة للكتاب (تراثنا) ، مكتبة الخانجي (القاهرة) .

٥٩ - الحصائص . صنعة أبي الفتح عثمان بن جني . تحقيق : الشيخ محمد
علي النجار . دار الكتب المصرية / القسم الأدبي . نشر دار الكتاب العربي .

٦٠ - الدرر اللوامع على جمع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم التربوية
للفاضل الرحالة أحمد بن الأمين الشنقيطي . (أوفست) دار المعرفة - بيروت
(١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) .

٦١ - ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي . تحقيق

د. أحمد مختار عمر . مواجعة : د. إبراهيم أنيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط ١ (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) .

٦٢ — ذيل الأمالي والنوادر . لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي . (طبع مع أمالي القالي) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م .

٦٣ — الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر مصطفى الباني الحلبي . القاهرة ١٩٤٠ م .

٦٤ — الرواية والاستشهاد باللغة د . محمد عيد ط ٢ . القاهرة — عالم الكتب ١٩٧٦ .

٦٥ — الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام . للفقهاء المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي قدم له وعلق عليه وضبطه : طه عبد الرؤوف سعد (دار المعرفة - بيروت) (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) .

٦٦ — الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي تحقيق محمد جبر الألفي لأبي منصور الأزهرى . نشر وزارة أوقاف الكويت ط ١ (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) .

٦٧ — سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للشيخ أبي الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي . ط المكتبة التجارية الكبرى .

٦٨ — الشاهد وأصول النحوي كتاب سيبويه — خديجة الحديثي . مطبوعات جامعة الكويت (٣٧) . (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) .

٦٩ — شرح الأشموني على ألفية ابن مالك — ومعه أوضح المسالك للشيخ محمد محيي الدين . النهضة المصرية . ط ٣ .

٧٠ — شرح التصريح (للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى) على (توضيح) ابن هشام لألفية ابن مالك وبهامشه حاشية الشيخ ياسين زين الدين العليمي الحمصي . عيسى الحلبي والتجارية .

٧١ — شرح الجمل لابن عصفور الاشبيلى تحقيق د . صاحب أبو جناح .

٧٢ — شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي .

نشره : أحمد أمين ، عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ط ٢ (١٩٦٧ - ١٩٦٨ م) .

٧٣ - شرح ديوان لبید بن ربیعۃ العامری . تحقیق : د . إحسان عباس .

٧٤ - شرح شافیه ابن الحاجب للشیخ رضی الدین الأسترباذی مع شرح شواهدہ للشیخ عبد القادر البغدادی . تحقیق الأساتذۃ : محمد نور الحسن ، محمد الزفراف ، محیی الدین . دار الکتب العلمیۃ . بیروت ١٤٠٢ھ / ١٩٨٢م .

٧٥ - شرح شذور الذهب فی معرفۃ کلام العرب . عبد اللہ جمال الدین بن یوسف بن هشام الأنصاری ومعه کتاب : منہی الأرب بتحقیق شرح شذور الذهب . محمد محیی الدین . بدون تاریخ ولا دار نشر .

- شرح الشواهد الکبری للعینی = المقاصد النحویۃ .

٧٦ - شرح شواهد المغنی . جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر السیوطی . تصحیح وتعلیق العلامة الشیخ محمد محمود بن التلامیذ التרכזی الشنقیطی . دار مکتبۃ الحیاۃ - بیروت بدون تاریخ .

٧٧ - شرح القصائد التسع المشهورات . لأبی جعفر النحاس . تحقیق أحمد خطاب - مديريۃ الثقافۃ - وزارة الإعلام بالجمهورية العراقیۃ . (١٣٩٣ھ / ١٩٧٣م) سلسلة کتب التراث (٢٣) .

٧٨ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهلیات لابن الأنباری . تحقیق عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .

٧٩ - شرح قصیدۃ کعب بن زہیر لجمال الدین بن هشام . تحقیق : حسن أبو ناجی الوكالة العامة للتوزیع دمشق (١٤٠١ھ / ١٩٨١م) .

٨٠ - شرح الکافیۃ (کافیۃ ابن الحاجب) للشیخ رضی الدین الاسترباذی . دار الکتب العلمیۃ . بیروت ط ٢ (١٣٩٩ھ / ١٩٧٩م) .

٨١ - شرح الکافیۃ الشافیۃ لابن مالک . لجمال الدین محمد بن عبد اللہ بن مالک . تحقیق : د . عبد المنعم أحمد هریدی . دار المأمون للتراث ط ١ (١٤٠٢ھ / ١٩٨٢م)

- (من مطبوعات مركز البحث العلمى بكلية الشريعة بمكة المكرمة - جامعة أم القرى) .
- شرح كفاية المتحفظ = تحرير الرواية فى تقرير الكفاية .
- ٨٢ - شرح المفصل . تأليف الشيخ موفق الدين بن يعلى النحوى . عالم الكتب . بيروت .
- ٨٣ - شرح المفصليات لأبى زكريا يحيى بن على التبريزى . تحقيق : على محمد البجاوى . دار نهضة مصر (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .
- ٨٤ - شرح مقصورة ابن دريد . للخطيب التبريزى - المكتب الإسلامى للطباعة والنشر بدمشق (١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م) .
- ٨٥ - الشعر والشعراء لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر .
- ٨٦ - شفاء الغليل فى مافى كلام العرب من الدخيل . شهاب الدين الخفاجى تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجى . المطبعة المنيرية : القاهرة (١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م) .
- ٨٧ - شواهد الشعر فى كتاب سيبويه د . خالد عبد الكريم جمعة . مكتبة دار العروبة بالكويت (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) .
- ٨٨ - الشواهد النحوية . د . أحمد ماهر البقرى . دار المعارف (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .
- ٨٩ - الشواهد والاستشهاد فى النحو . عبد الجبار علوان . مطبعة الزهراء بغداد . ط ١ (١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) .
- ٩٠ - الصحاحى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها : أحمد بن فارس . تحقيق د . مصطفى الشومى .
- الصحاحى تحقيق السيد صفوط مطبعة عيسى البابى الحلبي ١٩٧٧ م .
- الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية .

- ٩١ - طبقات فحول الشعراء . تأليف محمد بن سلام الجمحي . قرأه وشرحه :
محمود محمد شاكر . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
٩٢ - طبقات النحويين واللغويين . لأبي محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف (س . ذخائر العرب) (٥٠)
٩٣ - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي د . فتحي الدجني . وكالة المطبوعات
الكويت ط ١ - ١٩٧٤ م .
٩٤ - العقد الفريد . لأبي عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي .
- شرح وتصحيح : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري - لجنة
التأليف والترجمة والنشر .
- طبعة أخرى بتحقيق د . مفيد محمد قبيحة . دار الكتب العلمية بيروت
ط ١ (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) .
٩٥ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ،
الأزدى . تحقيق : محمد محي الدين عبيد الحميد . دار الجليل . بيروت .
٩٦ - عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . الهيئة
المصرية العامة للكتاب (التراث للجميع) ١٩٧٣ م .
٩٧ - غريب الحديث لأبي إسحاق الحربي (المجلدة الخامسة) تحقيق
د . سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد . مركز البحث العلمي جامعة أم القرى ،
٩٨ - غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي تحقيق عبد الكريم العزباوي -
مركز البحث العلمي جامعة أم القرى ط ١ (١٤٠٥ هـ / ١٩٦٤ م) .
٩٩ - غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام . تحت مراقبة د . محمد
عبد المعين خان . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ،
ط ١ (١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) .
١٠٠ - غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق د . عبد الله
الجبوري - وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية .
١٠١ - الفائق في غريب الحديث . للعلامة جابر الله محمود بن عمر الزنجشري

تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم
ط ٢ .

١٠٢ - (فصل المقال) في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (وهو
شرح لكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام) تحقيق : د. إحسان عباس ،
د. عبد المجيد عابدين . دار الأمانة ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩١ هـ /
١٩٧١ م .

١٠٣ - فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي . تحقيق مصطفى السقا ،
إبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلي ط ٢ (١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) . مصطفى
الباني الحلبي .

١٠٤ - فهارس غريب الحديث - د. محمود محمد الطناحي . مجلة البحث
العلمي والتراث الإسلامي - العدد الرابع .

١٠٥ - الفهرست لابن النديم - دار المعرفة . بيروت .

١٠٦ - فوات الوفيات لمحمد بن شاکر الکتبی - تحقيق محمد محي الدين ،
نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١ م .

١٠٧ - في أصول النحو . سعيد الأفغاني . ط ٣ (١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م) .

١٠٨ - القواعد النحوية . مادتها وطريقها . د. عبد الحميد حسن .
مكتبة الأنجلو المصرية ط ٢ - ١٩٥٢ م .

١٠٩ - القياس في اللغة . للشيخ محمد الخضر حسين . المطبعة السلفية
ومكتبتها القاهرة - ١٣٥٣ هـ .

١١٠ - الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد . تصحيح الشيخ إبراهيم
الذلموني .

١١١ - الكتاب لسبويه . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . دار
القلم ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .

١١٢ - كتاب الكتّاب لابن درستويه . تحقيق : د. إبراهيم السامرائي ،
د. عبد الحسين الفتلي . دار الكتب الثقافية - الكويت .

- ١١٣ — كشف اصطلاحات الفنون . للتهانوي . دار خياط (بيروت) .
- ١١٤ — الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل .
تأليف : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . ط :
مصطفى الباني الحلبي . ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- ١١٥ — كنز العمال في سنن الاقوال والافعال للعلامة علي بن حسام الدين
الهندي — مكتبة التراث الإسلامي حلب / مؤسسة الرسالة .
- ١١٦ — لسان العرب طبعة بولاق (إذا رجع إلى غيرها بشار) .
- ١١٧ — لغات البشر — ماريوباي . ترجمة د. صلاح العربي .
- ١١٨ — اللغة العربية المعاصرة . د. محمد كامل حسين . ط دار المعارف
١٩٧٦ .
- ١١٩ — اللمع في العربية . صنفه الشيخ أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق :
فائز فارس دار الكتب الثقافية . الكويت (بدون تاريخ) .
- ١٢٠ — مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى . تحقيق فؤاد سزكين .
مكتبة الخانجي بمصر (بدون تاريخ) .
- ١٢١ — مجالس ثعلب . لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب . شرح وتحقيق
عبد السلام محمد هارون . دار المعارف (من ذخائر العرب (١)) ط ٣ .
- ١٢٢ — مجالس العلماء لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي . تحقيق
عبد السلام محمد هارون . الطبعة الأولى الكويت ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م ،
الطبعة الثانية الخانجي والرفاعي ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ١٢٣ — مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة — العدد الأول .
- ١٢٤ — مجلة مجمع اللغة العربية (المصري) — العدد الأول .
- ١٢٥ — مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم
الميداني . تحقيق محمد يحيى الدين . مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م
- ١٢٦ — المحمل (معجم لغوي) لأبي الحسين أحمد بن فارس . تحقيق : زهير سلطان

١٢٧ - المختص في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق د. علي النجدي ناصف ، د. عبد الحليم النجار ، د. عبد الفتاح شابي / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٦ هـ .

١٢٨ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة . تأليف علي بن إسماعيل بن سيدة (١ - ٦) تحقيق جماعة من العلماء - مصطفى الباني الحلبي ١٣٧٧ هـ / ١٣٩٢ هـ .

١٢٩ - المذكر والمؤنث لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري . تحقيق د. طارق عبد عون الجنابي - العاني ببغداد - إحياء التراث بوزارة الأوقاف - الجمهورية العراقية ط ١ - ١٩٧٨ .

١٣٠ - مراتب النحويين . لأبي الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار نهضة مصر . ط ٢ .

١٣١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي تحقيق محمد محيي الدين . دار المعرفة - بيروت .

- المزهرفي علوم اللغة وأنواعها . للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي . شرحه وضبطه : محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي . دار إحياء الكتب العربية . عيسى الباني الحلبي .

١٣٣ - المسائل البصريات لأبي علي الفارسي . تحقيق محمد الشاطر أحمد ،

١٣٤ - المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات . تحقيق : صلاح الدين عبد الله السنكاوي . العاني - بغداد - إحياء التراث بوزارة الأوقاف - الجمهورية العراقية .

١٣٥ - المساعد على تسهيل الفوائد (شرح لبهاء الدين بن عقيل على تسهيل الفوائد لابن مالك) تحقيق : محمد كامل بركات . مطبوعات مركز البحث العلمي بكلية الشريعة بمكة المكرمة . جامعة الملك عبد العزيز .

١٣٦ - المستقصى في أمثال العرب . جار الله الزمخشري . دار الكتب العلمية ط ٢ (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .

١٣٧ - المشوف المعلم في ترتيب الإصلاحيات على حروف المعجم . لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري . تحقيق : ياسين محمد السواس مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) .

١٣٨ - معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأنخفش الأوسط تحقيق : فائز فارس ط ١ (١٤٠٠ هـ / ١٩٥٩) المطبعة العصرية . الكويت .

- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .

١٣٩ - معجم الشعراء . للإمام أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ومعه المؤلف والمختلف للآمدي) تصحيح وتعليق د . ف . كرنكو . دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢ (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) .

١٤٠ - معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين . د . عفيف عبد الرحمن . دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

١٤١ - معجم الشعراء في لسان العرب . د . ياسين الأيوبي . دار العلم للملايين ط ٢ - ١٩٨٢ .

١٤٢ - معجم شواهد العربية للعلامة عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

١٤٣ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . عمر رضا كحالة . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط ٣ (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) .

١٤٤ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس - تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون . مصطفى البابي الحلبي . ط ٢ (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) .

١٤٥ - معجم نظام الغريب لعيسى بن إبراهيم الربيعي - استخرجه وصححه : بولس برونل . مطبعة هندية بالموسكي . القاهرة الطبعة الأولى .

١٤٦ - المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية (بمصر) . الإدارة العامة للمجموعات وإحياء التراث . مطابع دار المعارف ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

١٤٧ - المعنى اللغوي . دراسة نظرية وتطبيقية . د . محمد حسن حسن جبل . مطبعة السعادة ط ١ (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .

١٤٨ - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب . لعبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن هشام الأنصارى . تحقيق وضبط : محمد محيى الدين . مكتبة صبيح (بدون تاريخ) .

١٤٩ - المفضليات . اختيار المفضل محمد بن يعلى الضبي . تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون . دارالمعارف . ط ٦

١٥٠ - المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى للإمام العيني . بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحلبي العيني . (طبع على هامش خزانة الأدب . الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق) .

١٥١ - المقتضب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق محمد عبد الحالى عزيمة ، الطبعة الثانية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٦ هـ

١٥٢ - مقدمة ابن خلدون . تحقيق د. على عبد الواحد وافي . دار نهضة مصر . ط ٣ .

١٥٣ - من أسرار اللغة . د. إبراهيم أنيس ط ٦ الأنجلو المصرية ١٩٧٨ .

١٥٤ - المنصف لابن جنى (شرح كتاب النصريف للمازنى) . تحقيق : إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين . إدارة إحياء التراث القديم . إدارة الثقافة بوزارة المعارف (مصر) . مصطفى البابي الحلبي . ط ١ (١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م)

١٥٥ - المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية . الشيخ حمزة فتح الله . نظارة المعارف العمومية (مصر) . المطبعة الأميرية ١٣١٢ هـ

١٥٦ - الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء . تأليف : أبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، وقف على طبعه واستخرج فهارسه : محب الدين الخطيب . المطبعة السلفية ومكتبتها . القاهرة ط ٢ (١٣٨٥ هـ)

١٥٧ - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف د . خديجة الحديثى . وزارة الثقافة العراقية . دار الرشيد للنشر . ١٩٨١ م

- ١٥٨ — نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — مطبعة المدني .
- ١٥٩ — النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) المكتبة الإسلامية (بدون تاريخ)
- ١٦٠ — دمع المواعع في شرح جمع الجوامع . للإمام جلال الدين السيوطي . تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، عبد العال السيد مكرم ، ساعدت جامعة الكويت على نشره . ط ١
- ١٦١ — الوحشيات (كتاب الوحشيات) وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي تحقيق وتعليق : عبد العزيز الميمنى ومحمود محمد شاكر — دار المعارف ١٩٦٣ م
- ١٦٢ — الوساطة بين المتنبي وخصومه . القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، على محمد البجاوي . عيسى البابي الحلبي ط ٣

فہرہس الموضوعات

٣ مقدمة

١١ الباب الأول : السليقة اللغوية وحققتها في تحديد معالم الصواب اللغوي

١٣ الفصل الأول : السليقة اللغوية - معنى السليقة

الفصل الثاني : سليقة اللغة العربية : قوتها ، وأساس هذه

١٧ القوة ، وأثرها

الفصل الثالث : سليقة الصواب اللغوي عند عرب عصر

٣١ الاحتجاج

٤٧ الفصل الرابع : السليقة . وضرورة الشواهد

٥١ الباب الثاني : الشاهد ومعنى الاستشهاد

٥١ الفصل الأول : الشواهد وأنواعها

٦١ الفصل الثاني : التعريف الإصلاحي للشاهد اللغوي وتفصيله

٦٩ الباب الثالث : ما يحتاج به من الكلام - معيار الاحتجاج ونطاقه

الفصل الأول : الاحتجاج اللغوي بالقرآن الكريم والحديث

٧١ الشريف

الفصل الثاني : الاحتجاج بكلام العرب : ونطق ما يحتاج

٧٥ به منه

٨٥ الباب الرابع : أثر نطق الاحتجاج ومناقشتها

٨٥ الفصل الأول : صورة عامة لأثر نطق الاحتجاج

٨٩ الفصل الثاني : صورة واقعية تفصيلية

٩٩ الفصل الثالث : مناقشة نطق الاحتجاج

الصفحة

الباب الخامس : الاحتجاج بما جاوز النطاق القبلي وبما جاوز النطاق	
المكاني	١٠٥
الباب السادس : الاحتجاج بما جاوز النطاق الزمني	١٠٩
الفصل الأول : شعراء أواخر القرن الثاني الذين احتج	
بشعرهم	١١١
الفصل الثاني : شعراء القرن الثالث الذين احتج بشعرهم ...	١٤١
الفصل الثالث : شعراء القرن الرابع الذين احتج بشعرهم ...	١٧٧
الفصل الرابع : شعراء القرن الخامس الذين احتج بشعرهم ...	١٨٧
الفصل الخامس : شعراء القرن السادس الذين احتج بشعرهم ...	١٩٥
الباب السابع : الأئمة الذين احتجوا بشعر المولدين	١٩٩
الباب الثامن : تحقيق واستخلاص	٢١٥
الفصل الأول : تحقيق وقوع الاحتجاج بما جاوز النطاق	
الزمني	٢١٥
الفصل الثاني : استخلاص دلالة كثرة الاحتجاجات بما	
جاوز النطاق الزمني	٢٣٥
المراجع	٢٤٣

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٤٤٤ - ٨٦ الدولي ١ - ٠٢٤٨٠ - ١٠ - ٩٧٧